نموذج ترخيص

أنا الطالب : عبدالرحمن محمد "شفيق" سليمان الصبيحة أمنح الجامعة الأردنية و/ أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو استغلال و / أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونية أو غير ذلك رسالة الماجستير / ~~الدكتوراه~~ المقدمة من قبلي وعنوانها.

تأثير البيئة على الفكر العقدي الإسلامي

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليمية والجامعات و / أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميع أو بعض ما رخصته لها.

اسم الطالب: عبدالرحمن محمد "شفيق" سليمان الصبيحة

التوقيع:

التاريخ: ٤/٩/٢٠١٤

تأثير البيئة على التفكير العقدي الإسلامي

"تأصيل وتطبيق"

إعداد

عبدالرحمن "محمد شفيق" سليمان طبنجة

المشرف

الدكتور عطا الله بخيت المعايطة

قدمت هذه الرسالة استكمال لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية



آب، ٢٠١٤ م

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة: "تأثير البيئة على التفكير العقدي الإسلامي " تأصيل وتطبيق" بتاريخ ٣/٨/٢٠١٤م

أعضاء اللجنة

الدكتور عطاالله بخيت المعايطة، أستاذ مشارك، العقيدة الإسلامية — مشرفاً ....

الدكتور محمد نبيل العمري، أستاذ مشارك، العقيدة الإسلامية — عضواً ....

الدكتور أحمد عبد حسين العوايشة، أستاذ مشارك، العقيدة الإسلامية — عضواً ....

الدكتور عامر سلامة الملاحمه، أستاذ مساعد، العقيدة الإسلامية، جامعة العلوم الإسلامية العالمية — عضواً خارجياً ....

الإهداء

إلى والدَيَّ

" رب ارحمهما كما ربياني صغيرا "

الشكر والتقدير

يقول ﷺ:" لا يشكر الله من لا يشكر الناس ". فبعد أن أكرمني الله -عز وجل – بالدخول إلى الجامعة الأردنية و دراسة العقيدة في كليتها الزاهرة، وجب علي أولا شكر الله على هذه النعمة و أساله التوفيق و السداد.

ثم الشكر الوافر للأساتذة في كلية الشريعة عامة و في قسم أصول الدين خاصة على ما جادوا به من علوم على طلبتهم.

ثم الشكر الكامل للدكتور الفاضل "عطا الله بخيت المعايطة" على قبوله الإشراف على هذه الرسالة، وجزاه الله خيراً أضعاف ما قدم و الشكر الوافي للجنة المناقشة المتمثلة بالدكتور محمد نبيل العمري والدكتور أحمد العوايشة والدكتور عبد الرحمن ذويب على تشريفهم لي بقبول مناقشة هذه الرسالة.

كما أني أشكر شكراً عظيما لوالدي – رحمه الله – و الذي تنفست من مكتبته حب العلم و عشق الكتاب منذ صغري.

و أشكر والدتي – بارك الله بها – شكراً متواصلاً إلى انقطاع النفس، و التي كنت استشعر دعواتها و أنا أكتب سطور هذه الرسالة.

والشكر لإخواني الأفاضل والذين ما كبرت إلا بهم.

والشكر الصادق لزجتي و لأبنائي و الذين من دون صبرهم عليَّ ما كنت لأنجز هذه الدراسة.

وإلى كل من قدم لي العون و النصح و الإرشاد في كل مكان و زمان.

جزأكم الله خيرا

قائمة المحتويات

تأثير البيئة على الفكر العقدي الإسلامي

إعداد

عبد الرحمن " محمد شفيق " سليمان طبنجة

المشرف

الدكتور عطا الله بخيت المعايطة

الملخص

تتناول هذه الدراسة البيئة التي يمارس بها الفرد نشاطه العقدي، فتشرع في تعريف البيئة في اللغة والاصطلاح، ثم تظهر مدى عناية الإسلام ببيئة المكلف العقدية وذلك باستعراض الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، اللذان ينظمان البيئات المتنوعة التي ينشط بها الفرد، وإظهار بعض البيئات إلى أمر الإسلام بالتزامها أو نهى عنها، وعرض العقوبات للمخالف في ذلك، ثم تعرض الدراسة لبعض التطبيقات لتأثير البيئة على الفكر العقدي الإسلامي مثل البيئة الفكرية للديانات الشرقية كالفارسية والسمنية والبوذية، ومثل البيئة الفكرية لأهل الكتاب، وكذلك دور البيئة الاجتماعية في تشكيل معتقدات الفرد العقدية، وقد جاءت هذه الدراسة بفصل تمهيدي وأربعة فصول بعده، وختمت بالنتائج والتوصيات.

المقدمة

الحمد الله الذي أكرمنا بالإسلام، وأتم علينا النعمة بكمال هذا الدين، وجعلنا من أمة محمد، على شريعة لا تنسخ و لا تتبدل، وحفظها رب العالمين من الزيادة والنقصان.

فكان شرعه ﷺ مناسباً لكل زمان ومكان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن هذا الدين جاء ليناسب حاجات الإنسان، مهما اختلفت به الأوطان واللغات والأزمنة، فهو دين جاء يخاطب كل البشر على اختلاف أجناسهم و ثقافاتهم.فالاختلاف بين البشر يتبعه اختلاف في الفهم و التعامل مع نصوص الوحيين – الكتاب و السنة -، و كذلك الاختلاف في الظروف المحيطة بالمكلف، ينبني عليها تباينٌ في فهم المراد من النصوص، فمن نشأ في بيئة قريبة من السنة و آثارها، لا بد أن يكون فهمه مغايراً لمن نشأ في بيئة تقل بها الآثار النبوية، وكذلك من تلقى العلوم في بيئة يغلب عليها الجدال والنقاش العقليين لا بد له أن يتعامل مع نصوص الوحيين باسلوب مغايرٍ لمن تلقى العلوم في بيئة علمية يغلب عليها التقيد بنصوص الوحيين.

فكما أن الفتوى الفقهية تختلف باختلاف الزمان و المكان و المكلفين، فكذلك بيئة المكلف قد تؤدي إلى اختلاف في طريقة فهم بعض المسائل العقدية، فهنا تظهر مشكلة الدراسة في مدى اعتبار الشريعة الإسلامية لبيئة المكلف العقدية.

١ - مشكلة الدراسة:

تتناول هذه الدراسة البيئة المحيطة بالفرد، فالإنسان مدني بطبعة، ولا بد له من محيط يتفاعل معه، ويؤثر فيه و يتأثر منه، في كل جوانب حياته.

ويندمج المكلف مع هذا المحيط فيكتسب منه – من حيث يدري أو لا يدري – كثيراً من عاداته وتقاليده، بل إن المكلف قد يتعلق بأمر و يحبه أو يبغضه فقط لأن المجتمع من حوله أحب هذا الأمر أو بغضه.

وتأثير البيئة على الفرد يقع كذلك على معتقده، فينمو ويكبر وهو يتشرب هذه المعتقد، ويتعامل معه بتسليم كبير وانقياد تام.

فتسهم البيئة المحيطة بالمكلف في توجيه معتقداته وأفكاره، وترسم له طريقاً في فهم هذا المعتقد.

فالذي يولد في بيئة تذم الصحابة مثلا فإن هذا النشأ الجديد يكتسب ممن حوله هذا المعتقد و يتبناه من غير تمحيص و بحث مكتفياً بالقناعة التي يراها في مجتمعه لهذا المعتقد.

فبيئة المكلف لها توجيهٌ كبيرٌ في ترسيخ معتقداته تماماً كما يقوم البحث العلمي بذلك.و بيئة المكلف قد تكون سياسية أو فكرية أو اجتماعية أو غيرها من البيئات التي يتواجد بها المكلف، خارجية أو داخلية، مما يجعل هذه البيئة موضوعا للدراسة فتجيب عن الأسئلة التالية:

١- هل راعت الشريعة الإسلامية البيئة التي يحيا بها المكلف وهل نجد في كتاب الله وسنة نبيه وفعل السلف الصالح ما يدل على أن بيئة المكلف تعد محط اهتمام الشارع ومقصداً من مقصدها؟

٢- هل تنعكس البيئة الفكرية التي تحيط بالفرد تفكيره العقدي؟

٣- هل يسهم النظام السياسي في تشكيل أو توجيه معتقدات المكلف؟

٤- هل تسهم الأسرة في ترسيخ المعتقدات لدى المكلف وتوجهه في طريقة فهم هذه المعتقدات؟

٢- أهمية الدراسة:

تظهر أهمية الدراسة بارتباطها بالكتاب والسنة، وكذلك بارتباطها ببيئة الإنسان ومدى تأثير هذه البيئة في العقائد وتفصيلاتها.

وتبين هذه الدراسة أثر البيئة المحيطة بالمكلف في ظهور بعض القضايا الاعتقادية وصياغتها مما أسهم في ظهور المدارس العقدية.

وتسعى هذه الدراسة إلى التماس العذر المدارس الإسلامية في طرحها لبعض القضايا؛ تجاوبا مع البيئة المحيطة.

وتدعو الدراسة إلى نزع روح التعصب بين المدارس العقدية المختلفة،وذلك بمعرفة أثر البيئة في الاختلاف المدرسي العقدي.

٣- منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المناهج التالية:

١- المنهج التحليلي: المعتمد على تحليل النصوص التاريخية مع إبراز النقاط المفصلية التي أسهمت في ظهور معتقدٍ ما.

٢- المنهج الاستقرائي: المعتمد على الاستقراء الناقص، وذلك بجمع المسائل المقصودة من المصادر والمراجع المختلفة و إدراجها تحت عنوان واحد

٣- المنهج الاستنباطي: حيث يتم من خلاله استخراج الدافع لطرح بعض المسائل العقدية في المحيط الذي وجدت فيه.

٤- المنهج النقدي: وذلك بعد دراسة البيئة التي رافقت ظهور بعض المسائل العقدية، وتقيِمها ونقد مواطن الزلل التي قادت إلى ظهور هذه المسائل العقدية

٤- الدراسات السابقة:

من خلال بحثي المتواضع لم أجد من كتب في تأثير البيئة على التفكير العقدي الإسلامي، فلم تبحث مسألة ارتباط البيئة المحيطة بالمكلف بالتفكير العقدي من قبل.

٥- خطة الدراسة:

الفصل التمهيدي: البيئة العقدية في الجزيرة العربية قبل الإسلام.

المبحث الأول: تعريف بمصطلحات البحث.

المبحث الثاني: الواقع العقدي للعرب الوثنيين في الجزيرة العربية زمن البعثة النبوية.

المبحث الثالث: الواقع العقدي لأهل الكتاب في الجزيرة العربية زمن البعثة النبوية.

الفصل الأول: التأصيل الشرعي لتأثير البيئة على التفكير العقدي الإسلامي

المبحث الأول: التأصيل الشرعي من القرآن الكريم و السنة النبوية.

المبحث الثاني: التأصيل الشرعي من عهد الخلافة الراشدة.

المبحث الثالث: التأصيل الشرعي من خلال مقاصد الشريعة.

الفصل الثاني: البيئة الفكرية و تأثيرها على الفكر العقدي الإسلامي.

المبحث الأول: تأثير البيئة الفكرية للديانات الشرقية على بعض القضايا في الفكر العقدي الإسلامي.

المبحث الثاني: تأثير البيئة الفكرية لأهل الكتاب على بعض القضايا في الفكر العقدي الإسلامي.

الفصل الثالث: البيئة السياسية و تأثيرها على الفكر العقدي الإسلامي.

المبحث الأول: تأثير البيئة السياسية على الفكر العقدي عند الخوارج.

المبحث الثاني: تأثير البيئة السياسية على الفكر العقدي عند المرجئة.

المبحث الثالث: تأثير البيئة السياسية على الفكر العقدي عند الشيعة.

الفصل الرابع: تأثير البيئة الاجتماعية على الفكر العقدي الإسلامي.

المبحث الأول: دور البيئة الاجتماعية على الفكر العقدي للفرد.

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية لتأثير البيئة الاجتماعية على الفكر العقدي الإسلامي

الخاتمة: أهم النتائج و التوصيات التي توصل إليها الباحث.

الفصل التمهيدي

البيئة العقدية في الجزيرة العربية قبل الإسلام

يحوي ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف بمصطلحات البحث.

المبحث الثاني: الواقع العقدي للعرب الوثنيين في الجزيرة العربية زمن البعثة النبوية.

المبحث الثالث: الواقع العقدي لأهل الكتاب في الجزيرة العربية زمن البعثة النبوية.

الفصل التمهيدي

البيئة العقدية في الجزيرة العربية قبل الإسلام

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث

١- التأثير:

من الجذر اللغوي (أ ث ر) جاء في معجم مقاييس اللغة: الهمزة و الثاء و الراء له ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي، والأثر بقية ما يرى من كل شيء. والإثارة البقية من الشيء والجمع أثارات ومنه قوله تعالى: (أو أثارة من علم) الأحقاف: ٤[١].

وفي القاموس المحيط: الأثر: بقية الشيء و أثر تأثيرا: ترك فيه أثرا[٢].

٢- البيئة:

من الجذر اللغوي (ب و أ) وقد ورد هذا الجذر في المعاجم اللغوية باستخدامات متعددة ومن ذلك:

- في **كتاب العين**: الباءة منزل القوم حين يتبوءون قبل واد أو سند جبل و يقال: بل هو كل منزل ينزله القوم [٣].
- وفي **مختار الصحاح**: تبوأ منزلا: أي نزله و باؤوا: رجعوا [٤].

---

١ ابن فارس، احمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥ هـ،معجم مقاييس اللغة،دار الفكر ١٩٧٩، ج١،ص ٥٣ و٥٤.
٢ القاموس المحيط، مرجع سابق، ص٣٠٨، وانظر ابن منظور، محمد بن جمال الدين بن مكرم ت ٧١١هـ، لسان العرب، دار صادر بيروت، بنفس المعنى مادة اثر ج١، ص٥٢.
٣ الفراهيدي، الخليل بن أحمد ت ١٧٣هـ، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، ترتيب عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤ هـ، ج١، صفحة ١٧٠.
٤ الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ت ٦٦٦هـ، مختار الصحاح، مؤسسة دار الكتب الثقافية بيروت، طبعة جديدة، ٢٠٠١،ص٤١.

- و في **لسان العرب:** باء بذنبه:اي احتمله و صار المذنب مأوى للذنب، وفي الحديث النبوي: " ابوء بنعمتك علي و أبوء بذنبي "[١] أي التزم و أرجع و أقر... وأصل البواء اللزوم وفي الحديث النبوي " فقد باء بها أحدهما "[٢] أي التزمه و رجع إليه.
- و أبأت المكان بمعنى اقمت به و بوأتك بيتاً اتخذت لك بيتا و البيئة و المباءة و الباءة بمعنى المنزل [٣]
- و في **القاموس المحيط:** باء إليه بمعنى رجع أو انقطع و أصل البواء اللزوم، و البيئة بمعنى الحالة. [٤]

في كتاب الله: ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِۗ ﴿٦١﴾ ﴾ البقرة: ٦١، باؤا قال ابن جرير: انصرفوا و رجعوا [٥] وفي مقدمة فتح الباري باء: أي رجع ومنه باء بها أحدهما و باؤوا و تبوء و قيل باؤوا انقلبوا[٦].

قلت: المعاني السابقة في بيان معنى البيئة جاءت كل واحدة منها لتوضح جانباً من جوانب هذه الكلمة فهي بمعنى رجع أو انقطع فبيئة الانسان هي التي يرجع إليها في توجيه أفكاره و سلوكه و يرجع إليها لتؤويه، و ينقطع لها أي يلتزم بيئة واحدة و ينقطع لها.

و جاءت بمعنى اللزوم: حيث إن البيئة تلزم الإنسان بمفرزاتها و هو أيضا ملازم للبيئة في كل حياته و البيئة الاسم وجاءت بمعنى الحالة و هي تظهر بالإضافة فنقول بيئة دعوية أي بيئة حالها انها بيئة دعوية

وتبوأ: أي اتخذ موطنا والموطن هو حاضن البيئة وقد جاءت بمعنى: انصرفوا ورجعوا واستوجبوا والحالة وهي مُرشده و مُلازمة للمكلف في سائر شؤون حياته.

---

١ ابن حنبل، أحمد بن محمد ت ٢٤١ هـ، المسند، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ، ج ٣٨، ص ١١٩، حديث رقم ٢٣٠١٣، قال المحقق اسناده حسن.

٢ البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ت ٢٥٦ هـ، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ،كتاب الأدب،باب من كفر أخاه من غير تأويل فهو كما قال، ج٨، ص٢٦،حديث رقم ٦١٠٣

٣ ابن منظور، محمد بن جمال الدين بن مكرم ت ٧١١هـ، لسان العرب، دار صادر بيروت ، ط٤، ٢٠٠٥م ج ٢،ص ١٧٤ و ص ١٧٥.

٤ الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ، القاموس المحيط، دار الفكر ١٩٩٥، بدون رقم طبعة ص ٣٤ باب الهمزة فصل الباء.

٥ ابن كثير، اسماعيل بن عمر ت٧٧٤هـ، تفسير القران العظيم، دار الصديق، ط١، ٢٠٠٤، ج١، ص ١٥٧ و انظر زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين بن علي بن محمد الجوزي ت ٥٩٧هـ، المكتب الاسلاميعمان و دارابن حزم بيروت، ط٢٠٠٢،١م، ص ٦٥.

٦ العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر ت ٨٥٢هـ، هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار السلام الرياض، ط٢، ٢٠٠٠م ص ١١٦

من التعاريف السابقة يمكن تعرف البيئة اصطلاحاً: مجموعة المؤثرات الثقافية والاجتماعية والحضارية والنفسية والسياسية التي تؤثر في فكر المكلف العقدي، سواء أكانت داخلية أو خارجية، فردية أو جماعية.

٣- التفكير:

من الجذر اللغوي (ف ك ر)، وهو بمعنى:

الفكر: الفكر: اسم التفكر، فكر في أمره و تفكر، ورجل فكير: كثير التفكر، والفكرة والفكر واحد. [١]

٤- العقدي:

نسبة إلى العقيدة وهي من الجذر (ع ق د):

وهو بمعنى الابرام و الإحكام و الاستيثاق، و العهد و الوجوب، و الشد و هو نقيض الحل.[٢]

وهو ما يعقد بالقلب و استعمل في التصميم و الاعتقاد الجازم [٣].

والعقيدة: الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده و يجب أن يكون مطابقا للواقع لا يقبل شكا و لا ظنا فإن لم يصل الإيمان الى درجة اليقين الجازم لا يسمى عقيدة [٤].

---

١ كتاب العين، الفراهيدي، مرجع سابق، ج٥، ص ٣٥٨، باب الكاف و الراء و الفاء معهما.
٢ انظر: القاموس المحيط، مرجع سابق، ص ٢٧٢ و مختار الصحاح، مرجع سابق، ص ٢٢. و لسان العرب، مرجع سابق، ج١٠، ص ٢٢١ و ٢٢٢. و كتاب العين مرجع سابق ج٣، ص ١٩٨ و ١٩٩. وتاج العروس، مرجع سابق ج٨، ص ٣٩٤.
٣ العسكري، الحسن بن عبد الله أبو هلال ت ٣٩٥هـ، الفروق اللغوية، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ، ج١، ص ٣٦٥.
٤ الأثري، عبدالله بن عبدالحميد، الوجيز في عقيدة السلف، بدون تاريخ، صفحة ١٤.

المبحث الثاني: البيئة العقدية للعرب الوثنيين في الجزيرة العربية قبل البعثة النبوية

الجزيرة العربية بلاد خصبة بالمعتقدات، فتتنوع فيها الأديان من الحنفية إلى الوثنية، وبها نشاطات زراعية وتجارية ورعوية تقطعها الحركات التجارية والهجرات السكانية من الجنوب إلى الشمال ومن الشرق إلى الغرب، وكل منطقة فيها امتازت عن الأخرى بعقليتها وذهنيات أهلها، فتباينت بها المعتقدات والأفكار.

والفترة الزمنية المقصودة هنا هي الفترة التي سبقت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لأنها – انعكست بأفكارها ومعتقداتها على الدعوة الإسلامية فيما بعد – كما سوف يأتي بيانه.

والتحديد الجغرافي – وإن كان عنوان الفصل عن الجزيرة العربية – إلا أن هذا العنوان لا يعني عدم النظر في معتقدات الحضارات المحيطة في الجزيرة العربية؛ فالمعتقدات والأفكار أكثر حريةً وسرعةً في الانتقال والتأثير في الآخرين، فالفكرة تنبت في الشرق وتكبر وتنمو في الغرب لا تعيقها المسافات ولا الحدود والحواجز السياسية أو الجغرافية.

المطلب الأول: انعكاس بيئة العربي على معتقداته

عند دراسة معتقدات العرب في الجزيرة العربية تجد أن كثيراً منها ما هو إلا استجابة من العربي للمؤثرات المحيطة به، ويظهر أن العربي كان يعبد ما يلبي حاجاته ويتفاعل معها.

فعكس العربي نظراته في السماء وسيّره في الصحراء إلى معتقدات يتبناها ويعبدها، بل ويورث هذه المعتقدات إلى أبنائه وينشرها في عائلته ويحارب من دونها؛ فالمعبودات التي عبدها العربي استمدها من بيئته:

أولاً: الكواكب

العربي سواء أكان مزارعاً من الجنوب أو راعياً في الصحراء أو تاجراً يقطع الليل بتجارته، فهو يتطلع إلى الكواكب كرفيقة له في عمله وفي دربه[١]؛ لذا تعلق العربي بهذه الكواكب والسيارات، ثم ما لبث أن عظّمها ثم عبدها.

قال تعالى: (**لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**) [فصلت: ٣٧].

---

١ ابن قتيبة، محمد بن عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦ هـ، الأنواء في مواسم العرب، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٨، ص١٠٠ وما بعدها.

يقول الإمام الطبري عن الشمس و القمر: " فإنهما وإن جريا في الفلك بمنافعكم، فإنما يجريان به لكم بإجراء الله إياهما لكم طائعين له في جريهما ومسيرهما، لا بأنهما يقدران بأنفسهما على سير وجري دون إجراء الله إياهما وتسييرهما، أو يستطيعان لكم نفعا أو ضرّا، وإنما الله مسخرهما لكم لمنافعكم ومصالحكم، فله فاسجدوا، وإياه فاعبدوا دونها "[١].

فلعل الاقتران بذكرهما معاً سببه أنهما كانا يعبدان معاً من دون الله عز وجل، لذا جاء النهي عن عبادتهما في آية واحدة.

عن ابْنُ عَبَّاسٍ مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النبي ﷺ فقَالَ: « أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ قَالُوا هَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا ». قَالَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ (فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ... رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) (الواقعة ٨٢).

والعرب كانت تعبد بعض الكواكب خوفاً منها ومن شؤمها مثل الدبران وهو كوكب يأتي بعد الثريا يسمى بالراعي والتالي والحادي، عبدته طائفة من بني تميم وبني كنانة وقريش.

فهذا معبود فرضته بيئة العربي عليه، فقد ربط العربي بيئته بهذا الكوكب وبين الجدب والقحط وقلة المطر، فعبدته العرب اتقاءً لشره[٢]، وكذلك الحال مع نجم سهيل الذي عبدته طيء خوفاً منه لإعتقادهم أن سهيلاً يهلك الجمل إذا صادفت عين الجمل عين النجم [٣].

وعبدت العرب نجم الثريا حباً له لثراء نعمه عليهم وكثرة عطائه – على عكس الدبران وسهيل – وكذلك المشتري وزحل والجوزاء وعطارد والشعريان[٤].

ثانياً: الجن

كانت الجن مصدر خوف للعربي؛ لذا عبدها اتقاءً لشرها، فقد كان العرب يكرمون الجن، وإذا أرادوا بناء بيت أو حفر بئر، أو إذا نزلوا وادياً في ترحالهم استعاذوا بكبير ذلك الوادي من الجن. قال تعالى: (**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنْ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنْ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً**) [الجن: ٦]، وروي أن بني مليح من خزاعة كانت تعبد الجن، وكانوا يعتقدون أن الجن تركب الحيوانات وسموها مطايا الجن[٥].

---

١ الطبري، محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م، ج٢١، ص٤٧٣.

٢ الألوسي، محمود شكري، ت ١٢٧٠ هـ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ط٢، ج٣، ص٢٣٧.

٣ ادغيم، سميح، أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، دار الفكر اللبناني، ط١، ١٩٩٥م، ص ١٦٤

٤ المرجع السابق، ص١٨.

٥ سميح ادغيم، سميح، أديان ومعتقدات العرب، مرجع سابق، ص١٥٦.

وعند الرجوع إلى التراث العربي قبل الإسلام، تجده مليئاً بقصص الجن ومواطنها وصورها وتشكلها وتزوجها من الإنس[١].

وقد خافت العرب من الغول والسعلاة وهي إناث الجن كما يزعمون[٢]، وسبب خوفهم هو اعتقادهم أن للجن قدرات خفية مثل الجن الهاتف[٣] والرئي[٤]، لذا عبدها العرب اتقاءً لشرها.

ثالثاً: النار

فهي موجودة حول العربي يستخدمها ويعرف قوتها؛ لذا فإن للنار عند العربي أكثر من وظيفة ودور، فكان عندهم نار التحالف التي توقد عند عقد التحالفات، وكذلك نار المُهَوِّلِ، ونار الطرد، والحرب، ونار السلامة، ونار المسافر، ونار القرى[٥]، ونار المزدلفة التي تنسب إلى قصي بن كلاب[٦].

فكلها معبودات تتعلق بأحوال العربي وحياته ومعيشته اليومية[٧]، وتأثير النار يرجع إلى تأثير الفرس وبقاياهم، فهناك من العرب من اعتنق المزدكية الفارسية الإباحية مثل حاجب بن زرارة الذي تزوج ابنته وندم بعد ذلك[٨].

و تأثر العرب بالفرس بسبب طول المجاورة لهم في اليمن و البحرين و عمان و اليمامة، وانعكس ذلك على العادات والتقاليد والأفكار بشكل متبادل بين الفرس والعرب[٩]؛ فهذه المعبودات كانت مأخوذة من محيط العربي الذي يعيش فيه ويمارس به نشاطات متنوعة.

---

١ بلوغ الأرب، مرجع سابق، ج٢، ص٣٢٣. وانظر أيضاً: عجينة، محمد، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، دار الفارابي، ط١، ١٩٩٤، وقد خصص الكاتب ما يقرب من ٧٥ صفحة من الجزء الثاني عن الجن وبشكل مفصل.

٢ القاسمي، جمال الدين ت ١٩١٤م، مذاهب العرب وفلاسفة الإسلام في الجن، مؤسسة قرطبة، بدون تاريخ، ص١٧.

٣ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير ت ٧٧٤هـ، البداية والنهاية، دار ابن الجوزي، ط١، ٢٠٠١م، المجلد الأول، ج٢، ص٣٣٥، حيث يذكر نماذج متعددة للجن الهاتف المبشر بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم.

٤ روى الكلبي في كتاب الأصنام، ص٥٤ أن عمرو بن لحي كان له رئي من الجن.

٥ العلي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، طبع بدعم من جامعة بغداد، ط٢، ١٩٩٣م، ج٦، ص٥١ وما بعدها.

٦ المرجع السابق، ج٦، ص٦٩٩.

٧ موسوعة أساطير العرب، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٣.

٨ ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، ط٤، ٦٢١.

٩ العلي، جواد، المفصل في تريخ العرب قبل الإسلام، نشر بمساعدة جامعة بغداد، ج٦ ٦٩٣، حيث نقل صور تأثير المجوسية على العرب في اليمن و عمان و البحرين و اليمامة و أديان العرب، الدغيم، مرجع سابق، ص٣٩.

فقد كان للنار مكانة عظيمة في حياة العربي لا تقل عن مكانة الشمس و القمر؛ فقد ربط العربي النار بمعتقدات و عباداته و عاداته:

أما المعتقدات: فقد" عبد مجموعات من العرب النار و دخلوا في المجوسية" [١]" و كانوا يعتقدون أن لها دورا في الحكم بين الناس فتأكل الظالم و تترك المظلوم و كانت هذه النار عند حمير" [٢]

وفي الأيمان و التحالف كان لدى العرب نار المهول و نار التحالف حيث أن من أراد حلف اليمين أو أراد الدخول في حلف لا يصح منه ذلك إلا إذا أتى النار و أقسم عندها. و كانوا يعتقدون بتأثير النار في جلب الأمطار من السماء لذا كان لهم نار يستمطرون بها و في العبادات كان لهم نار توقد فوق مزدلفة تنسب الى قصي بن كلاب[٣] و قد بقيت حتى أزالها الإسلام.

عصبية العربي لمعبوداته

و العربي يتعصب لمعبوداته ويموت دونها، ويأنف أن يعبد صنماً أو معبوداً لغير قبيلته أو حيه؛ لذا كان نتيجة هذه العصبية أن كل حي من أحياء العرب له صنمه الخاص يسمى بأنثى بني فلان[٤].

وهذه العصبية أدّت إلى ظهور مراكز دينية جاهلية جديدة تنافس الكعبة مثل: صنم العزى الذي أوجده عمرو بن لحي الخزاعي[٥] أو عمرو بن ربيعة، و الحارث بن كعب، بل كان عمرو بن ربيعة يقول إن ربكم يتصيف باللات لبرد الطائف، ويشتو بالعزى لحر تهامة[٦].

---

١ الألوسي مرجع سابق، الجزء الأول ص ٣٤٨ و الجزء الثاني ص ٢٣٣ بدون تاريخ
٢ المقدسي / المطهر بن طاهر، البدء و التاريخ، مكتبة الثقافة، الجزء الرابع ص ٣١ بدون تاريخ
٣ المفصل مرجع سابق الجزء السادس صفحة٦٩٩
٤ تفسير الطبري، مرجع سابق، ج٩، ص٢٠٩.
٥ المفصل ، ج٦ ، ص ٢٣٧
٦ الأزرقي، محمد بن عبد الله (ت ٢٥٠ هـ)، **أخبار مكة**، (تحقيق: عبد الملك بن عبد الله)، مكتبة الأسدي، ط١، ٢٠٠٣م، ص١٩٨

فكان للعزى حِمىً وسدنة مثل الكعبة ولا يتحللون إلا عندها ويعكفون عليها بعد الحج يوماً وليلة [١]، وقد ضحى المنذر بن ماء السماء بابن عدوه الحارث بن جبلة ملك الغساسنة، ضحى به عند العزى، وكذلك قدم مجموعة من الراهبات المسيحيات للعزى [٢].

ومن المراكز الدينية التي أحدثتها عصبية العربي ذو الخَلَصَة أو الكعبة اليمانية، وتقع بين مكة واليمن في منطقة تبالة، وكان لها منزلة تفوق الكعبة عند بعض العرب [٣].

وقد كان تعامل العربي مع آلهته يشابه تعامله مع تجارته أو متاعه، فقد يخوض العربي حرباً لأجل صنمه الذي يعبده كما حدث حين أخذ بنو مراد صنم يغوث من بني أنعم، فما كان من بني أنعم إلا أن استنجدت ببني الحارث وبقبائل همدان على بني مراد، وخاضوا حروباً سميت الرزم في سنة (٦٢٣ م) من أجل صنم يغوث، وانتهت الحرب بهزيمة بني مراد واسترداد بني أنعم لصنمهم يغوث[٤].

لقد كان التعامل و الاحتكاك بين الحجاز والشام سبباً في دخول عبادة الأصنام إلى مكة، فقد قال صلى الله عليه وسلم: إن أول من سيب السوائب، وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر، وإني رأيته يجر أمعاءه في النار"[٥]

و قد ورد ذكر عمرو بن لحي الخزاعي في السيرة النبوية لابن هشام فقال: " حدثني بعض أهل العلم: أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره، فلما قدم مآب من أرض البلقاء، وبها يومئذ العماليق، وهم ولد عملاق، ويقال: ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، رآهم يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟

قالوا له: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: ألا تعطوني منها صنما فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه؟ فأعطوه صنما يقال له: هبل، فقدم به مكة فنصبه، وأمر الناس بعبادته وتعظيمه "[٦].

فهذا كان أول دخول للأصنام إلى مكة المكرمة وافدةً من الشام والذي مهد قبول الأصنام في مكة المكرمة هو ما كانت عليه العرب في عاداتها من أخذ حجارة الكعبة معها أين ما حلت و

---

١ المرجع السابق، ص١٩٩.
٢ المفصل، ج٦، ص ٢٣٧
٣ المرجع السابق، ص٣٤.
٤ الطبري، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص١٩٨. والحموي، ياقوت بن عبد الله ت ٦٢٦ هـ، معجم البلدان، دار صادر، ١٩٧٧م، ج٥، ص٤٣٩، واختار هذا التاريخ جواد العلي، مرجع سابق، ج١١، ص٢٦٠، وقال: إن يوم المعركة صادف يوم معركة بدر.
٥ مسند الإمام أحمد ، مرجع سابق ، ج٧، ص٢٩٢ ، حديث رقم ٤٢٥٨ ، قال الشيخ شعيب : صحيح لغيره .
٦ اب هشام ، عبدالملك بن هشام المعافري ت(٢١٨)هـ ، السيرة النبوية ، (تحقيق : احمد عادل عبد الموجود و الشيخ علي محمد عوض) مكتبة العبيكان ، ط١ ، ١٩٨٨م ، ج١ ، ص ١٢٥

ارتحلت فقد ورد في سيرة ابن هشام: " قال ابن إسحاق: ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل عليه السلام، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم، والتمسوا الفسح في البلاد إلا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم، فحيث ما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة، وأعجبهم حتى خلفت الخلوف، ونسوا ما كانوا عليه ".

و في صحيح البخاري عن أبي رجاء العطاردي يقول " أبا رجاء العطاردي يقول: " كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجرا هو أخير منه ألقيناه، وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجرا جمعنا جثوة من تراب، ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه، ثم طفنا به "[1]

فتعلق العربي الجاهلي بحجارة الكعبة مهدت لقبول عبادة الأصنام في مكة، فمجاورة أهل الشام أدخلت عبادة الأصنام إلى أهل مكة، و لقيت هذه الأصنام قبولاً ورواجاً بسبب عبادة العرب لحجارة الكعبة، فاستبدل الجاهلي الحجارة بالأصنام.

المطلب الثاني: بعض عقائد العرب قبل البعثة النبوية

يبرز تأثير البيئة على مختلف معتقدات العربي و يمكن توضيح ذلك من خلال: **أولاً:الإيمان باليوم الآخر والبعث والنشور:** وُجد في العرب من ينكر هذه العقيدة، و بعضهم الآخر كان يؤمن بها. فمن المنكرين: أبي بن خلف حين جاء بعظم رميم بالٍ وكسره أمام رسول الله ﷺ ثم قال: كيف يبعث الله هذه وهي رميم؟ فأنزل الله عز وجل: **(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ)** [يس: ٧٩][2]. هذه الحادثة دلالة على إنكار أبي بن خلف للميعاد والنشور، و قد سجل القران الكريم اعتراضهم بقوله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾ ﴾ التغابن وهم الدهرية:"فرقة من الكفار

---

١ صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج٥ ، ص١٧١ ، كتاب المغازي ، باب وفد بني حنيفة و حديث ثمامة بن أثال رضي الله عنه

٢ تفسير الطبري، ج٢٠، ص٥٥٤.

ذهبوا الى قدم الدهر واستناد الحوادث الى الدهر كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الجاثية: ٢٤..... فما ثمّ إلّا أرحام تدفع وأرض تبلع..." [١]

ومن المؤمنين بالبعث والنشور: عامر بن الظرب العدواني،حكيم العرب[٢]، الذي كان يقول: إني أرى أموراً شتى وحتى!

قيل: وما حتى؟

قال: حتى يرجع الحي حياً ويعود ما ليس بشيء شيئاً[٣].

ومن المؤمنين باليوم الآخر: عبد المطلب بن هاشم حيث كان يقول: "والله إن وراء هذه الدار، دار يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء [٤].

وقد عبر العربي عن إيمانه باليوم الآخر بعادة من عاداته وهي عادة البلية: فقد كان العرب يربطون الناقة عند قبر صاحبها حتى تموت عنده من الجوع والعطش، وذاك لاعتقادهم أن من مات ولم تربط عنده ناقته حشر ماشياً، ومن مات وماتت عند قبره ناقته حشر راكباً[٥].

ثانيا: الإيمان بالقضاء والقدر عند العرب في الجاهلية

هذه العقيدة أيضاً محل خلاف بين العرب في الجاهلية، فمن العرب من كان يؤمن بالجبر، ومنهم من يقول بنفي القدر، وثالث لا يعرف القدر إلا بمعنى التشكي والتحسر على أمر أصابه ما كان له أن يغيره أو يبدله[٦].

---

١ التهاوني ، محمد بن علي بن محمد ت (١١٥٨)هـ ، كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم ، (تحقيق : علي دحروج) ، مكتبة لبنان –بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦ / ج١ ، ص٨٠٠

٢ عامر بن الظرب بن عمرو بن عياذ العدواني، حكيم وخطيب ورئيس، من الجاهليين، كان إمام مضر وحاكمها وفارسها، وهو ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية، وكانت العرب لا تعدل بفهمه فهما ولا بحكمه حكماً، وهو أحد المعمرين في الجاهلية. أنظر: الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م، ج٣، ص٢٥٢.

٣ الجارم ، محمد نعمان ، أديان العرب في الجاهلية ، مطبعة السعادة ، ط١ ، ص١١٣.

٤ الحلبي، علي برهان ت ١٠٤٤هـ، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، دار المعرفة، ١٤٠٠هـ ج١، ص٧.

٥ ابن صاعد، أحمد بن عبد الرحمن ت ٤٦٢ هـ، طبقات الأمم، تحقيق: لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، ١٩١٢م، نشر بشكل متتابع في السنة ١٤ من مجلة الشرق، ص٤٤. وانظر أيضاً: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨ هـ،الملل و النحل، مكتبة الإيمان، ط١، ٢٠٠٦م، ج٢، ص٤٤٥.

٦ المفصل، جواد العلي، مرجع سابق، ج٦، ص١٤٥.

وقد ذكر القضاء والقدر في الشعر الجاهلي كثيراً، ومنها قول عمرو بن كلثوم ت (٥٨٤) م: "وإنا سوف تدركنا المنايا مقدرةً لنا ومقدرينا"[١].

وقد حاول العربي معرفة ما قدر له من أمور غيبه عن طريق أساليب وعادات يمارسها عند الحاجة مثل: زجر الطير[٢]، والاستقسام بالأزلام[٣]، والكهانة[٤].

ولم تكن نتيجة هذه الوسائل ملزمة، بل كان العربي يخالفها إذا شاء كما حصل لامرئ القيس حين استقسم عند صنم ذي الخَلَصَة بشأن غزو بني أسد فظهر له سهم ينهاه عن ذلك، فما كان من امرئ القيس إلا أن رمى بالأسهم بوجه ذي الخلصة وقال له: "لو كان أبوك قتل ما عوقتني " ثم خالف ذي الخلصة وغزا بني أسد وظفر بهم[٥].

المطلب الثالث: استخدام رسول الله ﷺ بيئة العرب لدعوتهم:

لقد استمد العربي كثيراً من معبوداته ومعتقداته من بيئته التي يمارس فيها نشاطه. ثم أخذ يعارض دعوة الإسلام بهذه المعتقدات؛ فالذي كان يؤمن بالكهانة من العرب اتهم رسول الله ﷺ بأنه كان كاهناً، ومن كان يعبد الجن من العرب اتهم رسول الله ﷺ بأنه كان يأتيه رئي من الجن، والذي كان لا يؤمن بالبعث والنشور اشترط على رسول الله ﷺ أن يحيي لهم قصي بن كلاب ليسألوه عن صدق رسول الله ﷺ[٦].

---

١ ابن كلثوم، عمرو بن كلثوم التغلبي، ديوان شعر عمرو بن كلثوم، تحقيق: أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٩١م، ص٦٦، بيت ١١ من قافية النون.

٢ زجر الطير: هي مراقبة حركة الطير بعد أن يطير، فإن توجه جهة اليمين تفاءلوا بذلك، وإن توجه جهة الشمال نفروا من الأمر. انظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أدب الكاتب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، ط٤،، ١٩٦٣م، ص١٦٠.

٣ الاستقسام بالأزلام: أن تطلبوا علم ما قسم لكم أو لم يقسم لكم بالأزلام وهو طلب الرزق والحاجات. أنظر: تفسير الطبري، مرجع سابق، ج٩، ص٥١٠.

٤ الكهانة: يطلق اسم الكاهن على كل من يعلم علماً دقيقاً أو غيبياً. أنظر: ابن منظور، جمال الدين بن محمد بن مكرم ت ٧١١ هـ، لسان العرب، دار صادر، ط٤، ٢٠٠٥م، ج١٣، ص١٢٨، مادة: ك هـ ن.

٥ الأصنام، للكلبي، ص٤٧.

٦ ابن هشام، عبد الملك بن هشام المعافري ت ٢١٨ هـ، سيرة ابن هشام، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط١، ١٩٩٨م، ج١، ص٣٢٣.

والنبي ﷺ يُنَبهُ العربي إلى صدق دعوة التوحيد عن طريق دعوة العربي لأن يتفكر في بيئته ومحيطه:

- فمن كان يعبد الشمس من العرب[1]، ينبِهُهُ النبي ﷺ إلى أنها مخلوقة مسيرةٌ ومنقادةٌ لخالقها كما في قوله تعالى: **(وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)** [يس: ٣٨].
- والذي كان يعبد القمر[2]، يخاطبه رسول الله ﷺ بقوله تعالى: **(اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ)** [القمر: ١].

وفي قوله تعالى: **(وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ)** [يس: ٣٩]. و قد جاء ذكرهم في حديث النبي صلى ﷺ حين قال: ".... يحشر الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبع، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت.... [3] "

ويدعو كتاب الله الذين كانوا يعبدون الكواكب والسيارات والأنواء يدعوهم إلى التفكر في حال هذه المعبودات الزائفة، وذلك بقوله تعالى:

١. **(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ)** [آل عمران: ١٩٠].
٢. **(وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ)** [الأنبياء: ٣٢].

ومن كان يعتمد على الطير وزجرها يخاطبه القرآن بقوله تعالى: **(أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)** [النحل: ٧٩]. بل إن رسول الله ﷺ ليقدم المعجزات للمكلفين بما يناسبهم ويناسب أحوالهم.

- فعبد الله بن مسعود كان راعياً للأغنام، وعلى علم بحال هذه الأغنام، يدعوه رسول الله للإسلام عن طريق معجزة تناسب حال الراعي المؤتمن، فيحلب له رسول الله شاة لا لبن فيها أصلاً، ويشرب ويسقي الصديق ثم يسقي عبد الله بن مسعود فيؤمن ويسلم من فوره[4]، لعلمه أن الشاة التي لم يقربها الفحل لا يكون فيها أي حليب، وأن ما قام به رسول الله ما هو إلا معجزة خاصة تلائم حال ابن مسعود.

---

١ المفصل، جواد العلي، مرجع سابق، ج٦، ص٥١.
٢ مثل قبائل ضبة، وتميم، وعدي، وعطل، وثور المفصل، جواد العلي، مرجع سابق، ج٦، ص٥١ و ص٥٥.
٣ صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج١ ، ص١٦٠ ، حديث رقم ٨٠٦ ، كتاب الأذان ، باب فضل السجود
٤ المسند مرجع سابق، ج ٦، ص٨٢، حديث رقم ٣٥٩٨، قال المحقق اسناده حسن

- وكذلك قصة ذاك الأعرابي الذي يدعوه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فيقول: ومن يشهد لك - يا محمد - على ما تقول؟

فيقول رسول الله ﷺ: هذه السَلَمَة – شجرة صغيرة-، فيدعوها رسول الله فتأتي الشجرة من طرف الوادي وهي تخد الأرض خداً ثم تشهد لله بالوحدانية ولرسول الله بالرسالة ثم تعود إلى مكانها فيسلم ذلك الأعرابي[١].

- والعربي يَعْظُمُ في نظره اتساع السموات فيخاطبه رسول الله ﷺ بأن يقول: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ الغاشية: ١٧.

إن تتبع كل الأمثلة التي استخدم فيها رسول الله ﷺ بيئة العرب لدعوتهم إلى الإسلام أمر يطول، فرسول الله ﷺ كان لا يترك باباً أو أسلوباً إلا يستخدمه لدعوة الناس، ومن هذه الأساليب استخدام بيئة المكلف التي يمارس بها نشاطه ليدعوه إلى الله، فهذا مما يناسب المكلف ويكون قريباً إلى تفكيره وعقله.

---

١ الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل، ت ٢٥٥ هـ، مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المفتي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٢هـ، ج١، ص١٦٦، حديث رقم ١٦، قال المحقق: حديث صحيح، باب إكرام الله تعالى لنبيه ﷺ من إيمان الشجر والبهائم والجن.

المبحث الثالث: الواقع العقدي لأهل الكتاب في الجزيرة العربية

المطلب الأول: الواقع العقدي لليهود في زمن بعثة رسول الله ﷺ

لقد كان لليهود حضورٌ قويٌ في الجزيرة العربية، فقد نزلوا عدة مناطق في الجزيرة العربية مثل: خيبر، وتيماء، ووادي القرى، والمدينة النبوية[١].

و تهود قوم من بني الحارث بن كعب، وقوم غسان، وقوم من جذام وحِمير بأكملها، وقبائل كنانة وكندة وتهود قوم من غسان[٢].

و لم يكن توافد اليهود إلى الجزيرة العربية بالأمر العشوائي أو العَرَضي، بل كانت استجابة للبشارات التي يعرفونها في قرب ظهور النبي الخاتم، فقد كانوا على يقين بأنه سوف يخرج في مكة ويهاجر إلى المدينة النبوية، والبشارات في التوراة كثيرة، و كان أحبار اليهود يعرفونها؛ لذا قصدوا إلى الجزيرة العربية يترقبون زمان ظهور آخر وخاتم الأنبياء. و سبب عدم سكنى اليهود في مكة يرجع إلى الأوثان التي كانت حول الكعبة، و الدماء التي تذبح عندها فكان ذلك سببا حال دون ان يستوطن اليهود في مكة[٣].

ومن الروايات التي تدل على قصد اليهود التوجه الى الجزيرة العربية:

١. **ابن الهيبان:**

وهو رجل يهودي خرج من الشام إلى الجزيرة العربية، وهو من أصحاب الدين والورع والعلم، وقد كان بنو قريظة يستسقون بدعائه.

يقول ابن الهيبان: "يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قلنا: إنك أعلم. قال: إنما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبي قد أظل زمانه، وهذه البلدة – أي المدينة – مهاجره فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه وقد أظلكم زمانه فلا تسبقن إليه يا معشر يهود" [٤].

---

١ المفصل، مرجع سابق، ج٦، ص٥١٦. وانظر: دروزة، محمد عزت، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، المكتبة العصرية، ١٩٦٩م، ص٧ وما بعدها.

٢ المعارف، ابن قتيبة، مرجع سابق، ص٦٢١. وانظر: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، ج٢، ص٢٥٧. وانظر: المقدسي، المطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بدون تاريخ، ج٤، ص٣١.

٣ ابن كثير ، اسماعيل بن كثير الدمشقي ـ (٧٧٤)هـ ، البداية و النهاية ، دار ابن الجوزي ، ط١ ، ٢٠٠٩م، المجلد الأول ، ج ٢ ص ١٧٧

٤ سيرة بني هشام، مرجع سابق،ج١، ص٢٥٨.

٢. عبد الله بن سلام رضي الله عنه:

عن أنس رضي الله عنه، قال: بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأتاه، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خبرني بهن آنفا جبريل» قال: فقال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد: فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها " قال: أشهد أنك رسول الله، ثم قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أي رجل فيكم عبد الله بن سلام» قالوا أعلمنا، وابن أعلمنا، وأخيرنا، وابن أخيرنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أفرأيتم إن أسلم عبد الله» قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، فقالوا: شرنا، وابن شرنا، ووقعوا فيه[١]

فكل هذه النصوص تظهر أن اليهود كانوا على علم بموطن نبي آخر الزمان؛ لذا فإن قدومهم إلى الجزيرة العربية كان انتقاءً مدروساً، وكانوا ينتظرون نبي آخر الزمان لينتصر لهم بعد الذي ذاقوهُ من التهجير والاضطهاد منذ زمن فرعون و كان آخر تهجير لهم من فلسطين على يد القائد الروماني أدريانوس[٢].

---

١ صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص١٣١ ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب خلق آدم صلوات الله عليه و ذريته، حديث رقم ٣٣٣٠

٢ الخطيب ، محمد أحمد ، مقارنة الأديان ، دار المسيرة –عمان ، ط٢ ، ٢٠٠٩م ، ص ٧٣

عقائد اليهود:

الغرض من ذكر بعض عقائد اليهود هنا هو توطئة لبيان مدى تأثيرهم على التفكير العقدي الإسلامي في الفصل الثاني من الدراسة.

فعقيدة اليهود في الله يملؤها التجسيم والتجسيد، فهو إله يتعب ويستريح[١]، ويتذكر[٢] وينوح[٣]، ويولول وغيرها من الصفات التي تظهر أن الإله ما هو إلا بشر بقدرات خارقة.

وسوف تنتقل هذه العقيدة – عقيدة التجسيم – إلى بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام فيما بعد. وعقيدتهم في الأنبياء تخلو من أي عصمة أو تقدير لمقام النبوة، فالأنبياء منهم الزاني[٤]، أو يعبد العجل[٥].ومنهم من لا يؤمن بالملائكة كفرقة الصدوقيون، و بعضهم يؤمن بالملائكة كفرقة الأسينيين[٦].

وأما عقيدتهم باليوم الآخر فلم يكن لها وجود في التوراة المحرفة لا في أسفار موسى ولا في سفر القضاة، بل كان هذا اليوم من أسباب السخرية بينهم[٧]، إلا أنهم باحتكاكهم بالحضارات الأخرى تسرب فكرة اليوم الآخر أو العالم الأسفل إلى الفكر اليهودي العقدي [٨].ولم تجد فكرة البعث لها أرضاً خصبة في اليهودية، فمعظم طوائف اليهود لا تعرف اليوم الآخر[٩].

---

١ سفر الخروج، ١٧/٣١: وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل. فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل.

٢ سفر التكوين، ٩/ ١٦:...... فمتى كانت القوس في السحاب، أبصرها لأذكر ميثاقا أبديا بين الله وبين كل نفس حية في كل جسد على الأرض.....

٣ سفر ميخا، ٨/١:.... من أجل ذلك أنوح وأولول. أمشي حافيا وعريانا.....

٤ صموئيل /٢: ١١: ١٢٧ وهي تنسب كذباً الزنى لسيدنا داود عليه السلام بامرأة أحد مقاتليه.

٥ سفر التكوين،- ١٣١٨/٣٨، ٣٠٣١/١٩.

٦ الصدوقيون: ينتسبون إلى صدوق الكاهن الأعظم لداود، هذه الفرقة هي عقيدة الخاصة من المثقفين والطبقة الارستقراطية.

الأسنيون: كانت هذه الفرقة على أيام المسيح – عليه السلام – أكثر فرق اليهود نشاطاً.

أنظر: ظاظا، حسن، الفكر الديني اليهودي، دار القلم ودار العلوم، ط٢، ١٩٨٧، ص٢١٤ وما بعدها، وص٢٢١ وما بعدها.

٧ المرجع السابق، ص٩٧.

٨ شلبي، أحمد، اليهودية، مكتبة النهضة المصرية، ط٨، ١٩٨٨م، ص١٩٥.

٩ المرجع السابق، ص١٩٦.

المطلب الثاني: الواقع العقدي للنصارى في الجزيرة العربية في زمن بعثة محمد ﷺ:

قال تعالى على لسان عيسى بن مريم - عليه السلام-: ((قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤))) (مريم: ٣٠ – ٣٤).

هذا هو أفضل تعريف لعيسى بن مريم عليه السلام، عبد لله موحد قائم بالعبادات وباراً بوالدته، يولد ويبعث ويرفع.

لقد بدأت شريعة عيسى -عليه السلام - توحيدية خالصة تدعو إلى توحيد الله عز وجل فقد كانت دعوته مثل كل دعوات الرسل من قبله، قال تعالى: ((قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)) [البقرة: ١٣٦].

لكن المسيحية لم تبق على ذلك بل تبدلت واستقرت على عقائد جديدة لم يقل بها نبي ولا رسول من قبل.

فبعد أن كان الاله إلهاً واحداً لا شريك له ولا زوجة ولا ولد، تبدل الحال في النصرانية ليصبح الاله مكون من ثلاثة اب وابن والروح القدس، لقد تحول التوحيد إلى تثليث ينص هذا التثليث على: "نؤمن باله واحد، الأب والابن والروح القدس، اله واحد وجوهر واحد، متساويين في القدرة والمجد[١].

لقد استقر الثليث كعقيدة في النصرانية بعد مجمع القسطنطينية الأول (٣٨١)م وفيه استقر الرأي على الوهية الروح القدس وقد سبقه مجمع نيقيه (٣٢٥)م والذي اقر الوهية عيسى عليه السلام.

---

١ كساب، حنانيا الياس، مجموعة الشرع الكنسي، الطبعة الثانية، ١٩٩٨، منشورات النور، بيروت، ص ٤٣.

ولم تكن المسيحية لتصل إلى هذه النتائج لولا عوامل ثلاث هي:

الأول: بولس اليهودي[١]: الذي بدل العقائد المسيحية وغير بالشرائع ولم يكن يعرف في المسيحية إلا القول بصلب المسيح، يقول بولس: لأني لم اعزم أن اعرف شيئاً بينكم إلا ليسوع المسيح واياه مصلوباً[٢].

فهو يهودي ماكر زعم أنه تلقى تعاليم الديانة إلهاماً [٣]من يسوع المسيح و بذلك سد الطريق على كل المعترضين عليه بأنه لم يلق عيسى عليه السلام، و قد كان نشيطا بارعا ذكيا له تأثير بالغ في نفوس الجماهير[٤].

لقد كان يسعى إلى كسب الناس من حوله بأي ثمن فهو يتلون بحسب الحال و يقول عن نفسه: " فإني إذا كنت حرا من الجميع استعبدت نفسي لأربح الأكثرين فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهودية، و للذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس"[٥].

فهو يلبس لباس من يُخالط فمرة يكون حرا و ثانية يكون يهوديا و ثالثة نصرانيا.

وقد جاء بعقيدة التجسيد والصلب و بنوة المسيح و هي أفكار **كانت شائعة في البيئة المحيطة** (بطرسوس) التي عاش فيها وشرب من بيئتها و تعلم **من الفلسفة الوثنية**[٦] و على هذا المنوال جاء شاؤول اليهودي الأصل و النشأة بدين اليهودية و كتبهم و **اخذ يستنبط مما في العهد القديم** و كتابات اليهود بما يبشر به بعيسى عليه السلام فنقل ثقافته اليهودية والوثنية و الفلسفية - والتي كان بارعا بها - نقلها إلى النصرانية فبدل وغير بها حتى أصبحت ديانة بولس لا ديانة المسيح عليه السلام.

١انظر ترجمة بولس في بوست، جورج، قاموس الكتاب المقدس، ج١، ص ٢٥٨، وما بعدها حيث جاء بها: بولس: واسمه العبراني شاؤول ولد في طرطوس، كان والده من طائفة الفريسيين، درس العلوم اليهودية في القدس على يد الحاخام عمالائيل، وكان شاؤول نبيهاً مجتهداً، واصبح معلماً للناموس، كان عالماً بالغة اليونانية وفلسفتها، و كان قائداً لمضطهدي المسيح يخرجهم إلى القدس، و زعم انه لقي يسوع أثناء ذهابه إلى القدس، وقال له يسوع انا يسوع الناصري الذي انت تضطهده فعرف بولس عظيم اثمه ثم امن بابن الله. – تعالى الله عما يقولون علوا عظيما

٢ رسالة بولس الاولى إلى كورنثوس: ٢:٢.

٣ الميداني، عبدالرحمن حسن، مكايد اليهود عبر التاريخ، دار القلم، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٨ م ص ٣٥

٤ أبو زهرة، محمد، محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي،القاهرة، ط٣، ١٩٦٦م،ص ٧٤

٥ رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس: ٩: ١٨ ٢٢

٦ نقولا، نبيل – و هو مسلم ونصراني سابق، المسيحية دين الله الذي أنزله على المسيح أم ديانة بولس، بدون دار نشر الطبعة الثانية، ٢٠٠٧ م ص ٥١

العامل الثاني: قسطنطين[١] الوثني[٢]

وهو أول ملك روماني يدخل النصرانية – ولو ظاهريا -، وهو مولود من أم نصرانية هي هيلانة و أب وثني هو الامبراطور قسطنطيوس، و لقد نشأ و تربى على هذا الخليط الديني ثم إنه ورث عن أبيه مملكة مترامية الأطراف متصارعة في الأديان، بين وثنية قديمة متجذرة و نصرانية حديثة تقاتل لتفرض نفسها في داخل جسم الدولة الرومانية. لقد أراد قسطنطين أن يحافظ على تماسك دولته؛ فصاغ من المعتقدات الموجود ة الوثنية والنصرانية ديناً جديدا مكوناً منهما.

فإذا كانت الوثنية تؤمن بتعدد الآلهة فإن قسطنطين أيد و نصر القائلين بتعدد الآلهة حين اجتمعوا في مجمع (نيقيه) المسكوني الأول[٣]، و الذي صدر عنه قانون الإيمان النيقاوي و الذي كانت أهم مقرراته هو (أن عيسى -عليه السلام - مولود غير مخلوق، إله ابن إله، و هو مساو للاب في الجوهر و الذات).

لقد كانت وثنية قسطنطين و سعيه لتوحيد دولته[٤] هما الموجهان اللذان أثرا في النصرانية و حولها بقوة الحاكم من التوحيد الى التثليث.

لقد كانت بيئة قسطنطين الوثنية و النصرانية، و دوره كقائد سياسي سببا في حرف النصرانية عن أصولها السماوية إلى الوثنية، و قد رضي النصارى بهذه العقيدة استرضاء لقسطنطين و طمعا في إقامة دولة نصرانية[٥].

العامل الثالث: الفلسفة اليونانية الغربية

لقد كانت الدولة الرومانية حاضنة الديانة النصرانية، فقد أصبحت النصرانية هي دين الدولة الرسمي، إلا أن النصرانية قد تأثرت بعمق بالاتجاهات الفكرية السائدة في الدولة اليونانية خاصة الفكر الفلسفي؛ الذي تم استخدامه لشرح و بيان الكلمات و المصطلحات النصرانية [٦]، فقد أخذ رجال الدين النصراني يفسرون نصوص الإنجيل تفسيرا فلسفيا حتى توصلوا الى النظريات التي تؤله عيسى عليه السلام [٧].

---

١ قسطنطين: هو فلافيوس فاليروس تربى بالرها وتعلم كلمة اليونان، ولد سنة ٢٧٤ وتوفي ٣٣٧م.
٢ العوايشة، احمد عبد، دور قسطنطين في تطوير العقيدة الكنسية، مجلة دراسات علوم الشريعة و القانون، الجامعة الاردنية،المجلد ٣٤ العدد الثاني، تشرين ٢٠٠٧ م
٣ محاضرات في النصرانية، مرجع سابق، ص١٢٤.
٤ ديورانت، ويل وايزل، قصة الحضارة، ج١١،، بيروت، بعنوان قيصر و المسيح، ص ٢٩٣ ٢٩٦
٥ الندوي، ابو الحسن، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مكتبة الإيمان، بدون تاريخ، ص ١٥٠
٦ الحاج، محمد احمد، النصرانية من التوحيد الى التثليث، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٢م ص ١١٨
٧ المرجع السابق ص ١٢٠

وتتبع كل المسائل التي أثرت بها الفلسفة على الديانة النصرانية أمر يطول بيانه إلا أني أضرب مثالاً على ذلك من خلال **مسألة التثليث:**

حيث إن التثليث لم يذكر في الكتاب المقدس، بل تم جمعها و تكلف تفسيرها من شتات الكتاب المقدس، و يعبر عنها باسلوب فلسفي[١]؛ فلفظ أقنوم و الذي يقصد به في اللاهوت المسيحي واحد من الأقانيم الثلاثة (الأب و الأبن و الروح القدس) هو نفسه موجود في فلسفة أفلوطين[٢]، فالأقنوم عند أفلوطين هو احد مبادئ العالم الثلاثة و هي: الواحد الأزلي و العقل و النفس الكلية [٣].

فالثالوث الفلسفي هو ذاته الثالوث الإلهي عند النصارى[٤]، و بذلك تأثرت النصرانية بشدة بالفكر الفلسفي الروماني، و وضعت الفلسفة بصمتها في عمق عقائد النصارى [٥] و كذلك تأثرت المسيحية بشدة بالديانات الهندية و بالذات الديانة البوذية، لدرجة التطابق في بعض المسائل و التواريخ [٦]

فالخلاصة أن عقيدة الألوهية في النصرانية قد تأثر بثالوث فكري من نوع آخر هو (يهودية بولس و وثنية قسطنطين و فلسفة اليونان)، فنتج عن ذلك دين ممسوخ مشوه كان ضعيفا بمواجهة هذه المدارس الفكرية القوية، فأثرت فيه و بأصوله و لم تؤثر النصرانية بهم و لا غيرتهم بل هي الحلقة الأضعف التي سعت إلى النجاح ولو على حساب دينها، فاكتسبت النصرانية دولة و خسرت دينا.

---

١ دائرة المعارف الكتابية، مجموعة مؤلفين، دار الثقافة، بدون تاريخ أو مكان نشر، المجلد الثاني ص ٤٢٨ و ما بعدها

٢ أفلوطين، مصري من كبار فلاسفة العالم القديم ولد عام ٢٠٥م، وتوفي عام ٢٧٥م، كان لا يثق بالماديات، رحل إلى بلاد الفرس، وهو ابو الافلاطونية الحديثة.

٣ المعجم الفلسفي، اصدار مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع، مصر، ١٩٨٣ م ص ١٩

٤ ابو زهرة، محمد، محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربية، ط٣، ١٩٦٦ م ص ٢١

٥ الفيومي، محمد ابراهيم، في الفكر الدين الجاهلي، دار المعارف، مصر، بدون تاريخ، ص ٩١

٦ شلبي ، محمد ، المسيحية ، مكتبة النهضة ، مصر ، ط١٠ ، من ص ١٨٣ إلى ص ١٨٧ .

عقيدة النصارى في الانبياء

عقيدة الإيمان بالأنبياء في النصرانية:

كما هو الحال بعقيدة الألوهية عند النصارى فإن عقيدة الإيمان بالأنبياء كذلك مضطربة ومتداخلة بشدة، فقد جاءت النصرانية بأحكام جديدة في النبوة لم تسبق اليها ومنها:

١- إن النصرانية و لغايات اثبات ألوهية عيسى عليه السلام فإنها عدت كل الانبياء السابقين مذنبين وغير معصومين و الوحيد الذي لم يذنب هو عيسى عليه السلام؛ لأنه إله كما يقولون - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا –.

يقول البابا شنودة:

" ان كان ليس احدٌ صالحاً أو هو الوحيد الصالح اذن هو الله، و قد ثبت أن المسيح صالح أو هو الوحيد الصالح اذن هو الله هذا الذي انفصل عن الخطاة و صار أعلى من السموات "[١] فهذا النص يجعل من عيسى -عليه السلام - إلهاً لأنه رجل صالح لا يخطئ، و قد و رد في الانجيل أن عيسى -عليه السلام - يصف كل الانبياء من قبل بأنهم سراق لصوص فيقول: " جميع الذين أتو قبلي سراق و لصوص " [٢]

لقد ارتضت النصرانية أن ينسب لعيسى -عليه السلام -أنه شتم الانبياء من قبله ليثبتوا بعد ذلك أن عيسى عليه السلام معصوم لم يخطئ لأنه إله لا يعرف الخطأ.

٢- ان الانبياء في النصرانية يبعثون من قبل الرسل الذين اختارهم عيسى عليه السلام من بعد قيامته – المزعومة – من قبره.

فأما بعث الرسل: فقد جاء في الانجيل:

"وأنه دفن، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب وأنه ظهر... ثم للاثني عشر وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمئة أخ، أكثرهم باق إلى الآن. ولكن بعضهم قد رقدوا وبعد ذلك ظهر ليعقوب، ثم **للرسل** أجمعين "[٣]

فهذا النص يظهر أن الذين ظهر لهم بعد قيامته – المزعومة – كانوا هم الرسل الذين اختارهم ليبلغوا رسالته و يكرزوا باسمه.

---

١ شنودة، البابا شنودة، لاهوت المسيح، الكلية الاكليريكية للأقباط الأرثوذكس، الطبعة الأولى ١٩٩١ القاهرة ص ٧٠

٢ انجيل يوحنا: ١: ٣٠

٣ رسالة بولس الأولى لكورنثوس: ١٦: ٤ ٧

و أما بعث الرسل للأنبياء فقد جاء بالإنجيل: " ولما وضع بولس – وهو من الرسل - يديه عليهم حل الروح القدس عليهم، فطفقوا يتكلمون بلغات و **يتنبؤون** " [١].

فبعث الانبياء من قبل الرسل هذا أمر لم يعرف في تاريخ الوحي من قبل ما جاء في الانجيل المحرف.

و الانبياء و الرسل في النصرانية لديهم من المعجزات التي قد تفوق معجزات سيدنا عيسى عليه السلام و هذا يستفاد من قول عيسى -عليه السلام- في الانجيل المحرف: " الحق الحق أقول لكم: من يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضا، ويعمل أعظم منها "[٢]

بل حتى إن الانبياء الكذبة لهم معجزات خارقة و لكنها لا تدل على نبوتهم بل إن عيسى عليه السلام سوف يتبرأ منهم في يوم الحساب حيث جاء في الانجيل المحرف: "كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يا رب، يا رب ! أليس باسمك تنبأنا، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ "[٣]

ثانياً: اثر العقيدة الوثنية في تأليه عيسى عليه السلام على الايمان باليوم الأخر:

فبعد أن تقرر في تحريف النصارى أن عيسى اله بفعل التأثير اليوناني الوثني اصبح لعيسى عليه السلام دور كبير في عقيدة اليوم الأخر بعده الهاً، ومن ذلك.

١. أن المسيح عليه السلام بعد أن يرجع إلى الارض يأخذ معه كل الابرار والصالحين إلى السماء، جاء في انجيل يوحنا[٤]: "اتى أيضا وآخذكم إلي حتى حيث أكون أنا تكونون انتم أيضاً".
٢. أن المسيح في يوم القيامة يجمع الشعوب امامه فيميز الصالحين من الطالحين، ثم يقول للصالحين: تعالوا يا مباركي أبي ارثو الملكوت الحق لكم ويقول للطالحين اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الابدية[٥].

إن عيسى عليه السلام هو الذي يتولى حساب الخلائق بعد أن يجلس بجوار الأب يوم القيامة. جاء في رسالة روما: " قام الله المسيح من الأموات وأجلسه على يمينه في السموات فوق

---

١ اعمال الرسل: ١٩: ٦: ١٢
٢ انجيل يوحنا: ١٤: ١٢: ٢٦
٣ إنجيل متى ٧: ١:٢٢
٤ انجيل يوحنا ١٤: ٣.
٥ حتى: ٢٥: ٣١٤٦

كل رياسه وسلطان وقوة وسيادة[١] ". وفي انجيل يوحنا: الآب لا يدين أحد، بل قد اعطى كل الدينونة للابن[٢].

و هذا يماثل الأثر الموضوع " إن على الصراط لعقبة لا يجوزها أحدٌ إلا بجواز من علي بي أبي طالب " °

ثالثاً: اثر الوثنية الرومانية على عقيدة الايمان بالملائكة في النصرانية

لقد سميت الملائكة بعدة اسماء في الكتاب المقدس و بأوصاف متعددة منها:

١ - الملائكة: جاء في انجيل متى: ومتى جاء ابن الإنسان في مجده **وجميع الملائكة** القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده[٣].

٢- الجند السمائي: جاء في انجيل لوقا: "وظهر بغتةً مع ملاك الرب جمهور من الجند السماوي مسبحين لله[٤]"

٣- جبرائيل[٥].

وصنف آخر من الملائكة رفعته الوثنية من وصف مخلوق إلى وصف خالق وهو الروح القدس: فسمي روحاً لأنه مبدع الحياة وقدوساً لان من فعله الخصوصي تقديس قلب المؤمن ويدعى بروح الله وروح المسيح وله اسماء عديدة مثل يهوه، الله، الرب، ومن صفاته العلم بكل شيء، والحضور في كل مكان، والقدرة على كل شيء، وعدم التناهي والاعمال الإلهية، العبادة، والارواح[٦].وقد أفرد للروح القدس مجمعاً خاصاً تقرر فيه أن الروح القدس إله وهو مجمع القسطنطينية الأول وهذا ما كان يتم لولا تأثير وسيطرة الوثنية التي تقول بتعدد الآلهة.

لقد كان الروح القدس سبباً للخلاف بين رهبان النصارى الأمر الذي أدى إلى عقد اثنين من مجامع الكنيسة لتحديد المسائل المتعلقة بالروح القدس فالمجمع الكنسي الذي عقد سنة (٣٨١) كان لتحديد هل الروح القدس مخلوق أم اله؟ وتقرر فيه أنه إله، والمجمع الكنسي الذي عقد سنة (٨٦٩) هو للإجابة عن سؤال هل الروح القدس منبثق من الأب وحده أم من الأب والابن معاً؟ وتقرر فيه أن الروح القدس قد انبثق من اللاب والابن معاً و قد كان هذا المجمع سببا في تفرق و انقسام الكنيسة ال كنيستين هما:

---

١ رسالة روما: ١٤: ١٠.
٢ يوحنا ٥: ٢٢.
٣ حتى: ٢٥: ٣١.
٤ لوقا: ١: ٢٦.
٥ لوقا: ١: ٢٦.
٦ قاموس الكتاب المقدس، ج٢، ص ٤٩٥.

١- كنيسة غربية: يتزعمها بابا روما وهم الكاثوليك القائلون بان الروح القدس انبثق عن الأب والابن معاً."

٢- كنيسة شرقية: يتزعمها بطريرك القسطنطينية وهم الارثوذوكس القائلون بأن الروح القدس انبثق عن الأب فقط [١].

فهذا الخلاف العميق في عقائد النصرانية فرضته عليهم البيئة الوثنية التي كانت سائدة ومسيطرة قبل أن يعتنق قسطنطين النصرانية ظاهرياً والتي لم تستطع النصرانية أن تتخلص منها.

فالوثنية وبقاياها في النفوس المسيحية المنحرفة كما أوجدت إلهاً من البشر اوجدت إلهاً آخر من الملائكة.

---

١ شلبي، رؤوف، أضواء على المسيحية، المطبعة العصرية بيروت، ١٩٧٥، ص١١٤

الفصل الأول

التأصيل الشرعي لتأثير البيئة على التفكير العقدي

الفصل الأول

التأصيل الشرعي لتأثير البيئة على التفكير العقدي

يمارس الفرد نشاطه العقدي في محيطه و يؤثر و يتأثر بهذا المحيط، فيكتسب منه بعض السلوكيات و الأفكار، و تتسرب إلى معتقداته فيتبناها و يدافع عنها، و قد يقاتل دونها، فهل وجد في الشريعة الإسلامية ما يدل على رعاية الإسلام لهذه البيئة المحيطةُ بالفرد، و هل اعتنى الصحابة الكرام و خاصة الخلفاء الراشدون ببيئة المكلف العقدية، فصانوها عما يفسدها و يكدرها؟، ثم هل يمكن اعتبار أن الحفاظ على بيئة عقدية سليمة للمكلف هو مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية؟ ولبيان ذلك كان هذا الفصل الذي يحوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التأصيل الشرعي من خلال القران الكريم و السنة النبوية

المبحث الثاني: التأصيل الشرعي من خلال عهد الخلافة الراشدة

المبحث الثالث: التأصيل الشرعي من خلال مقاصد الشريعة الإسلامية

المبحث الأول: التأصيل الشرعي من خلال القران الكريم و السنة النبوية

يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ البقرة:١٨٥ و **يقول ﷺ: "** ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه" [١].

عند النظر في كتاب الله عز وجل و سنة نبيه الكريم، نجد أنهما يعتنيان ببيئة المكلف العقدية اعتناءً كبيراً، فيعنيان ببعض البيئات و ينهيان عن بيئات أُخَر، كما أن الشريعة الإسلامية لتحافظ على بيئة المكلف العقدية تجدها قد شرعت العقوبات على مجموعة من السلوكيات و الأقوال و التي من شأنها عن تزعزع عقائد المسلمين.

و في هذا المبحث بيان لبعض البيئات التي أمر الإسلام بلزومها أو نهى عنها، و كيف حافظ الإسلام على صفاء بيئة المكلف العقدية من خلال تشريع بعض العقوبات الرادعة و الأحكام الناظمة لهذه البيئات.

المطلب الأول: بيئات أمر الإسلام بلزومها و حث عليها

من خلال النظر في كتاب الله و سنة نبيه ﷺ يظهر فيهما بجلاء بعض الأوامر للمكلفين بالاعتناء ببعض البيئات التي يمارس الفرد بها نشاطه، فتجد أن الإسلام قد نظم عدداً من البيئات، رعاها و حماها من كل ما يكدر صفوها، و ما هذا إلا لإيجاد بيئة عقدية سليمة، تكن حاضنة للفرد من قبل و لادته و في طوال مراحل عمره، و في هذا المطلب بيان لبعض البيئات التي صانها الإسلام و طلب من المكلفين التواجد بها و لزومها، لتبقى عقيدته سليمة من كل شائبة و من كل زلل.

١- عناية الإسلام بالبيئة الأسرية:

و هي أول حاضن للفرد في حياته، و هي أكبر مؤثر عليه في معتقداته و أقوالهو أفعاله، منها يستمد أصوله و فروعه وهي مرجعهُ الأول التي يلجأ إليها في حياته فهي الميزان الأول الذي يوزن بها شؤونه المختلفة في سائر حياته.

---

١ المسند للإمام أحمد بن حنبل، ج٢٨، ص٤١٠، حديث المقداد بن معدي بن كرب، رقم ١٧١٧٤، قال الشيخ شعيب محقق الكتاب، إسناده صحيح

و قد اعتنى الإسلام بهذه البيئة عناية كبيرة، و جعل لها ضوابط و موازين. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾ التحريم: ٦.

يقول الإمام الطبري في تفسير الآية: "علموا بعضكم بعضا ما تقون به من تُعلمونَه النار و تدفعونها عنهُ إذا عمل به من طاعة الله " ثم ينقل أقوال أهل العلم في بيان معنى الآية و من ذلك:

- قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه -: " علموهم وادبوهم "

- و عن ابن عباس– رضي الله عنهما -: " اعملوا بطاعة الله و اتقوا معاصي الله و مروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار ".

- و عن مجاهد قال: " اتقوا الله و أوصوا أهليكم بتقوى الله "

- و عن قتادة: " مروهم بطاعة الله و انهوهم عن معصيته " [١]

وجعل الإسلام على الأبوين مسؤولية العناية بالفرد في أسرته فقال ﷺ: " كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته،... و الرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول، والمرأة راعية على بيت زوجها و هي مسؤولة " [٢]

يقول ابن حجر في معنى (كلكم راع): أي حافظ مؤتمن [٣]

بل إن الإسلام ليعتني ببيئة الفرد التي سوف يحيا بها، و يقضي أهم فترات حياته قبل أن يوجد على هذه الدنيا و من ذلك قوله ﷺ: " تخيروا لنطفكم و انكحوا الأكفاء و أنكحوا إليهم "[٤]

---

١ تفسير الطبري مرجع سابق ج ٢٣ ص٤٩١ و ما بعدها

٢ صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٧، ص٢٦، حديث رقم ٥١٨٨، كتاب النكاح، باب: قوله تعالى: قوا أنفسكم و أهليكم نارا

٣ ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ، هدي الساري مقدمة فتح الباري دار السلام، ط٣، ٢٠٠٠م، المقدمة ص ١٨٤

٤ ابن ماجه، أبوعبد الله محمد بن يزيد ت ٢٧٣هـ، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط١، ص ٣٤١،حديث رقم ١٩٦٨ كتاب النكاح باب الأكفاء و قال الشيخ الألباني: حديث حسن

يقول السيوطي (٩١١) هـ في شرح الحديث: " تخيروا من النساء ذوات الدين و الصلاح و ذوات النسب الشريف لئلا تكون المرأة من أولاد الزنا فإن هذه الرذيلة تتعدى إلى أولادها [١]

قلت – الباحث -: و أولى من الأخلاق و النسب و الشرف أن يختار المسلم و المسلمة من أصحاب و صاحبات الاعتقاد الصافي النقي الذي يوافق الكتاب و السنة و ما كان عليه السلف الصالح من هذه الأمة، فالعقيدة الصحيحة تسبق حسن الأخلاق و تسمو بالنسب " و من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ".[٢]

فالعقيدة هي أهم ما يُعتنى به، و أهم ما ينقله الآباء الصالحون إلى الأبناء، لذا كانت الوصية النبوية بحسن اختيار من سوف يخالط الطفل في بيئته المنزلية. فأثر الوالدين و الأسرة أثرٌ بالغ على الابن يوضحه قوله ﷺ: " والذي نفسي بيده، ما من نسمة تولد إلا على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها "[٣]

ثم تلا أبو هريرة: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الروم.

فهذا الحديث يذكر أثر الوالدين على الأبناء، فكل مولود يولد على الفطرة لا تحريف و لا تبديل "فمن تغير كان بسبب أبويه إما بتعليمهما إياه أو بترغيبهما فيه " [٤].

" فالصبي أمانة عند والديه و قلبه الطاهر جوهرةٌ نفيسةٌ ساذجةٌ خاليةٌ عن كل نقشٍ وصورةٍ، و هو قابل لكل ما نقش فيه و مائل إلى كل ما يمال به إليه، فإذا عُوِد الخير و علمه نشأ عليه و سعد في الدنيا و الآخرة و شاركه في ثوابه أبوه و كل معلم و مؤدب، و إن عُوِد الشر و أهمل إهمال البهائم شقي و هلك وكان الوزر في رقبة القيم و الوالي له " [٥] فالحديث السابق **يعدُ أصلاً** في سلامة البيئة العقدية الأسرية فهي مقصد شرعي، و أن الوالدين هما من يتحملان نتيجة ما يشب عليه طفلهما. فالوالدان يربيان الطفل على ما يعتقدان و هو لا يعرف الخير إلا منهما و لا يُخالفهما بشيء إلا إذا رضيا له هذه المخالفة و مثال ذلك: " عن أنس رضي

١ السيوطي، جلال الدين ٩١١هـ، مصباح الزجاجة في شرح سنن ابن ماجه، نشر كتب خانه كراتشي، ج الأول ص ١٤١ حديث رقم ١٩٦٨

٢ السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث ت٢٧٥هـ، سنن أبي داود، تحقيق محمد ناصر الدين الألبانيبيت الأفكار الدولية، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، حديث رقم ٣٦٤٣ ص ٤٠٣ قال المحقق: حديث صحيح

٣ المسند، الإمام أحمد، مرجع سابق، ج ٢٦، ص٢٢٧، حديث رقم ١٦٢٩٩، قال المحقق: حديث صحيح لغيره.

٤ فتح الباري، مرجع سابق،، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ ج ٣ ص ٢١٧ حديث رقم ١٣٨٥

٥ الغزالي، محمد بن محمد الغزالي ت٥٠٥هـ، إحياء علوم الدين، دار المعرفة بيروت، ج ٣، ص ٧٢

الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له: أسلم، **(فنظر الصبي إلى أبيه و هو عنده)** فقال له: أطع أبا القاسم؛ فأسلم، فخرج رسول الله ﷺ و هو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار "[١]

فهذا الطفل اليهودي لم يعرف الحق و لم يسلم إلا بعد أن أمره أبوه بذلك، و لو بقي الطفل على ما اكتسبه من أبويه و أسرته و عِنادهم لمات على غير الإسلام.

لذا أمر رسول الله ﷺ بحسن اختيار الزوجة؛ لأنها المربي الأول للطفل فقال ﷺ:" تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك."[٢]

و أمر بتزويج صاحب الدين فقال ﷺ: "إذا أتاكم من تَرضَونَ خُلُقَهُ ودينَهُ فَزَوِجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض"[٣]

فهذه أصول شَرَعَها الإسلام بغيةَ أن يحيا الطفلُ منذ صغره في ظل والدين مُسلمين يزرعان فيه صحيح العقيدة النابعةِ أصلاً من سلامة معتقدهما الذي سوف يتشربهُ الابن و هو يعيش معهما طوال حياته.

٢- عناية الإسلام ببيئة المكلف مع صديقه و رفيقه:

وهذه من أكثر البيئات التي تؤثر بسلوك المكلف و توجه معتقداته، فالصاحب يكون مربياً و موجهاً لرفاقه مؤثراً فيهم و متأثراً بهم.

يقول ﷺ: **" مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه، أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بدنك، أو ثوبك، أو تجد منه ريحا خبيثة "[٤].**

فهذا الحديث يدل على النهي عن مجالسة من كان مؤذيا للآخرين في مجالسه فالتأثر من الجليس والصديق حاصل لا محالة سلبا أو إيجابا، لذا وجب على المكلف أن يحتاط ممن يُصاحب و يُرافق.

---

١ البخاري، محمد بن اسماعيل ت ٢٥٦ هـ، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢ هـ، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، حديث رقم ١٣٥٦،ج ٢، ص ٩٦، حديث رقم ١٣٥٦.

٢ صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب الكفاء في الدين حديث رقم ٥٠٩٠ ج ٧، ص٧.

٣ سنن ابن ماجه مرجع سابق، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني كتاب النكاح باب الاكفاء حديث رقم ١٩٦٧، قال المحقق: حديث حسن

٤ صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب البيوع، باب العطار و بيع المسك، ج٣، ص ٦٣ حديث رقم ٢١٠١

وقد ورد في الكتاب و السنة ما يدل على اعتناء الإسلام بهذه البيئة و تنظيمها بما يحفظ عقيدة المسلم من الانحراف والضلال. ومن ذلك حديث عظيم يُعد أصلا في حفظ بيئة المكلف العقدية مع صديقه حيث يقولﷺ: **" المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالط أو يخالل "**[١]
فالخلطة مؤثرةٌ و موجهةٌ للصاحبِ من دون إدراك مِنه أو انتباه بل إن الصاحب ليرافق صاحبه بتسليمٍ كبيرٍ له و انقيادٍ لأقوالهِ و أفعاله من دون تمحيص لها أو معارضةٍ.
يقول الإمام الغزالي ت (٥٠٥) هـ عن أثر الصاحب: " وأما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل لأن الطباع مجبولة على التشبه و الاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه فمجالسة الحريص على الدنيا تحرك الحرص ومجالسة الزاهد تزهد في الدنيا "[٢]

فالصاحب قد يكون سببا في دخول صاحبه الجنة كما جاء في قوله ﷺ في حديث السبعة الذين يظلهم الله بظله فمنهم: "…. رجلان تحابا في الله عز و جل اجتمعا عليه و تفرقا عليه "[٣]، فهذا الصاحب كان عونا لأخيه في دينه و دنياه بما يرضي الله عز وجل فكانت آخرتهما أنهما اجتمعا تحت الظل الذي لا ظل غيره يوم القيامة.

والصاحب كذلك قد يكون سببا في هلاك صاحبه في الدنيا و الآخرة و في دخوله النار كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ الفرقان، فإن سبب نزول هذه الآية هو: " أن عقبة بن أبي معيط [٤]كان خليلا لأمية بن خلف[٥]، فأسلم عقبة فقال له أمية: " وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمداً "؛ فكفر عقبة و ارتد لرضا أمية، فأنزل الله تبارك وتعالىآية الفرقان [٦]
فالأصدقاء أعداء يوم القيامة إن لم يؤدِّ كل واحد منهما حق أخيه في الدنيا و يتق الله فيه. قال ﷻ: **(الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ)** [الزخرف: ٦٧]

---

١ المسند للإمام أحمد مرجع سابق، في مسند أبي هريرة حديث رقم ٨٠٢٨، ج١٣، ص٣٩٨،قال المحقق: إسناده جيد.
٢ الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، دار المعرفة، ج٢، ص١٧٣
٣ صحيح البخاري، مرجع سابق، ج١، ص١٣٣، حديث رقم ٦٦٠، كتاب الإذان، باب من جلس في المسجد
٤ عقبة بن أبي معيط، ت ٦٢٤ م، من كبار كفار قريش، كان يؤذي رسول الله ﷺمثل وضع سلا الجزور عليه و محاولة بيده خنق رسول الله، من أبنائه الوليد، و عمارة و هشام و خالد و أم كلثوم، أسر يوم بدر و قتله الصحابي عاصم بن ثابت، أنظر ترجمته في: ابن ماكولا، على بن هبة الله بن أبي نصر ت ٤٧٥هـ، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف و المختلف في الأسماء و الكنى، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١ هـ، ج٧، ص٢٠٨
٥ أمية بن خلف بن وهب: من جبابرة قريش في الجاهلية، كان يعذب بلالاً، قتل يوم بدر. أنظر ترجمته: الزركلي، خير الدين ت ١٣٩٦ هـ، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م، ج ٢، ص ٢٢
٦ الواحدي، علي بن أحمد ت ٤٦٨ هـ أسباب النزول، تحقيق: كمال بسيوني زغلول دار الكتب العلمية بيروت، ص ٣٤٣ و ص ٣٤٤، و ذكره الألباني في صحيح السيرة النبوية مرجع سابق ص ٢٠٠

و كان ﷺ يتعوذ من صاحب السوء فيقول: "اللهم إني أعوذ بك من يوم السوء، ومن ليلة السوء، ومن ساعة السوء، ومن **صاحب السوء**، ومن جار السوء في دار المقامة".[١]
فهذا رسول الله ﷺ: مع أنه مؤيد بالوحي من الله إلا أنه ليتعوذ من صاحب السوء، وما كان هذا إلا تعليماً لصحبه و أمته و تحذيراً لهم من الركون إلى صاحب السوء و الرفيق الطالح.
يقول أبو ذر –رضي الله عنه -: " الوحدةُ خيرٌ من صاحب السوء "[٢]

فالصاحب إن لم يدل على الخير "كان جذوة من النار "[٣] كما يقول سفيان الثوري فأثر الرفقة عظيم و خطير على السلوك و الأخلاق و على العقائد فالمؤمن مرآة أخيه[٤]

و كما روي عن السلف الصالح أنهم ما أحبوا البقاء في الدنيا إلا **لمجالسة أقوام ينتقون جيد الكلام كما يُنتقى أطايب الطعام**.[٥]

و من وصايا لقمان الحكيم لابنه: **"من يصحب صاحب السوء لا يسلم "**[٦]
و الأمر كما قال طرفة بن العبد في معلقته: **عن المرء لا تسأل و أبصر قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي**[٧]

---

١ الألباني / محمد ناصر الدين، الجامع الكبير و زيادته، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٩٨٨م، ج١، ص ٢٧٨، حديث رقم ١٢٩٩.
٢ ابن ابي شيبة، عبدالله بن محمد ت ٢٣٥ هـ، مصنف أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت مكتبة الرشد الرياض ط١، ١٤٠٩ هـ، حديث رقم ٣٤٦٨٣، ج٧، ص ١٢٣
٣ الدينوري، أبو بكر بن مروان المالكي، المجالسة و جواهر العلم ت٣٣٣ هـ، تحقيق مشهو حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية دار ابن حزم بيروت ١٤١٩ هـ،ج٤، ٥٢٢
٤ البخاري، محمد بن اسماعيل ت ٢٥٦ هـ، الأدب المفرد، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق و مؤسسة الريان، ط٥، ٢٠٠٩م باب: المسلم مرآة أخية حديث رقم ٢٣٩ ص ٩٩، قال المحقق: حسن الإسناد
٥ أنظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط و آخرون، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٥، ج٢، ص ٣٤٩
٦ الزهد لابن المبارك مرجع سابق ص ٣٧٣
٧ طرفه، طرفه بن العبد، ديوان طرفه، المؤسسة العربية للدراسات و النشر و دار الفارس، ط٢، ٢٠٠٠م، ص ١٥٣، قافية الدال بيت رقم ١٧

فهذه النقول تظهر أهمية العناية ببيئة الأصحاب، و بها أوامر و تحذيرات قرآنية ووصايا نبوية تؤكد أثر الخلطاء بعضهم في بعض في السلوك و الأقوال و المعتقدات.

٣- عناية الإسلام ببيئة المكلف في المساجد:

للمساجد مكانة عظيمة في الإسلام، منها يشع التوحيد ومنها ينبع العلم، و فيها كان يعقد رسول ﷺ الراية للجهاد في سبيل الله.

فهي أحب البقاع إلى الله عز وجل[1] خالصة له جل في علاه، لا يدعى أحدٌ بها معه أحد ﴿ **وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾** ﴾ الجن: ١٨ فجعل الله عز و جل لهذه المساجد وظيفة مهمة في المجتمع الإسلامي فهي كما قال تعالى: ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾** ﴾ النور: ٣٦ – ٣٧

و جعل الله عز وجل عمارتها ماديةً بالمال، و جسديا بحضور الجماعات بها علامة على الإيمان بالله و اليوم الآخر، قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾** ﴾ التوبة: ١٨

فهي بيئة حاضنة لذكر الله بكرةً و عشيا، و هي موطن للخوف من الله جل في علاه، لذا كان أعظم الظلم أن تعطل هذه المساجد عن وظائفها قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾** ﴾ البقرة: ١١٤

---

١ البزار،أحمد بن عمرو بن عبدالخالق ت ٢٩٢ هـ، مسند البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله و عادل سعد و صبري عبدالخالق، مكتبة العلوم و الحكم المدينة، ط١ ١٩٨٨ م،، ج٨، ص ٣٥٨، حديث رقم ٣٤٣٠

فقد أولاها رسول اللهﷺ مكانة عظيمة ونزهها عن العيوب و النقائص، وجعلها بيوتاً للمسلمين يلتقون فيها خمس مرات باليوم، يقولﷺ: " المسجد بيت كل تقي "[١]
فمن عناية رسولالله ﷺ أنه منع أي أمر من شأنه أن يكون منفرا في بيوت الله و من ذلك:

- حفظ رسول اللهﷺ المسجد **من أية رائحة** منفرة ولو كانت من طعام حلال فقال ﷺ:" من أكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنس "[٢] يقصد الثوم و البصل

- و حفظ رسول اللهﷺ المسجد من **كل مشهد** ينفر المصلين في المسجد مثل النخامة فعن أبي سعيد أن النبي ﷺ " أبصر نخامة في قبلة المسجد فحكها بحصاة " [٣] فقال ﷺ: " البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها " [٤]

- و حفظ رسول الله ﷺ المساجد من **أي صوت** يقطع خشوع المصلين حتى ولو كان في قراءة القران فقال ﷺ: " ألا إن كلكم مناج ربه فلا يؤذين بعضكم بعضا ولا يرفعن بعضكم على بعض بالقراءة أو قال في الصلاة "[٥].

بل قال لمن كان ينشد ضالته في المسجد لا ردها الله إليك فقال ﷺ: " من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد فليقل لا ردها الله عليك فإن المساجد لم تبن لهذا " [٦].

و كذلك الأمر في من يبيع و يشتري في المسجد قال ﷺ: " إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد، فقولوا: لا أربح الله تجارتك "[٧]

فقد نهى رسول الله ﷺ **عن كل ما يخرج المسجد عن وظيفته الدينية** فقال ﷺ: " يأتي على الناس زمان يتحلقون في مساجدهم و **ليس همتهم إلا الدنيا** ليس لله فيهم حاجة فلا تجالسوهم " [١]

---

١ مسند البزار، المرجع السابق، ج السادس ص ٥٠٥ حديث رقم ٢٥٤٦ قال الشيخ الألباني: يرتقي إلى درجة الحسن إن شاء الله، أنظر الألباني، محمد ناصر الدين ١٤٢٠هـ، سلسلة الأحاديث الصحيحة و شيء من فقهها، مكتبة المعارف، الرياض، ط١٩٩٥،١م، ج٢، صفحة ٣٣٤ و ٣٣٥، حديث رقم ٧١٦.
٢ مسند الإمام أحمد، مرجع سابق، ج٣، ص ٣٧٤ حديث رقم ١٥٠٥٦ مسند جابر بن عبدالله، قال الشيخ شعيب:إسناده صحيح على شرط مسلم
٣ فتح الباري مرجع سابق ج١، ص٦٦٢ حديث رقم ٤١٤،كتاب الصلاة باب ليبزق عن يساره
٤ نفس المرجع السابق حديث رقم ٤١٥ كتاب الصلاة باب كفارة البزاق في المسجد
٥ مسند أحمد مرجع سابق ج٣، ص ٩٤ حديث رقم ١١٩١٥ مسند أبي سعيد الخدري قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين
٦ مسلم، مسلم بن الحجاج ابو الحسين القشيري ت٢٦١ هـ، صحيح مسلم، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث بيروت، ج١، ص ٣٩٧، حديث رقم ٥٦٨ كتاب المساجد باب: النهي عن نشد الضالة في المسجد
٧ الترمذي،محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ت ٢٧٩ هـ، جامع الترمذي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني طبعة بيت الأفكار الدولية، كتاب البيوع، باب النهي عن البيع في المسجد، حديث رقم ١٣٢١ قال المحقق: صحيح

فرسول الله ﷺ يريد المساجد بوابة إلى الجنة يقول ﷺ في حديث السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله منهم: " رجل قلبه معلق بالمساجد "[٢]

و قد كان رسول الله ﷺ يتخذ من المسجد موطنا لمحاربة الكافرين فكان ﷺ: **يضع لحسان بن ثابت منبراً في المسجدِ** ينافح عن رسول اللهِ بالشعر، ثم يقول رسول الله ﷺ: " إن الله عز وجل ليؤيد حسان بروح القدس، ينافح عن رسوله ﷺ" [٣]

فهذه آداب عظيمة لبيوت الله سنها رسول الله ﷺ لينشئ و يؤسس مواطن تصان بها العقائد من كل شائبةٍ تكدر صفوها أو تعيق وظيفتها.

لقد كانت البيئة العقدية النقية في المساجد سببا لدخول بعض الصحابة في الإسلام ومثال ذلك قصة ثمامة بن أثال: الذي قيده رسول الله ﷺ في المسجد، و تركه ليرى حياة المسلمين وعقائدهم و أثر الإسلام فيهم فما كان من ثمامة بن أثال إلا أن أسلم و شهد بالحق بعد أن فكوا قيده [٤]

هذه وظيفة المسجد في الإسلام بيئة يشع منها صحيح العقيدة و العبادة و الأخلاق، فإن بُنِيَت لغير هذا الغرض أو كان هناك احتمال أن تكون هذه المساجد بيئة لحرب الإسلام و الكيد للمسلمين؛ عندها لم يتردد رسول الله ﷺ في هدم و تَحرِيق هذه المساجد كما في قصة مسجد الضرار[٥]: فقد تآمر ابو عامر الراهب وهو من الخزرج مع هرقل ملك الروم وبعض المنافقين في المدينة، فطلب أبو عامر الراهب من بعض المنافقين في المدينة أن يبنوا له مسجدا يكون له مقرا و بؤرة لحرب الإسلام و تفريق المسلمين، و طلبوا من رسول ﷺ أن يصلي فيه فأنزل الله ﷻ:

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) ﴾ التوبة: ١٠٧فما كان من رسول الله ﷺ: إلا أن أمر بهدمه و إحراقه [٦]

فمسجد الضرار هذا اجتمعت فيه صفات لو كتب له الاستمرار لكان مرتعا خصباً لحرب الإسلام و تفريق المسلمين فالصفات التي و صف بها رب العالمين هذا المسجد هي:

---

١ الحاكم، محمد بن عبدالله النيسابوري ت ٤٠٥هـ، المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية –بيروت، ط١، ١٩٩٠، ج٤، ص٣٥٩، حديث رقم ٧٩١٦ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي في التلخيص: صحيح

٢ المسند للإمام أحمد مرجع سابق، في مسند أبي هريرة حديث رقم ٩٦٦٣ ج٢، ص ٤٣٩. قال الشيخ شعيب: صحيح

٣ المرجع السابق مسند عائشة، حديث رقم ٢٤٤٨١ ج٦، ص ٧٢،قال الشيخ شعيب: صحيح لغيره

٤ صحيح البخاري مرجع سابق، ج٥، ص ١٧٥، حديث رقم ٤٣٧٢، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة

٥ تفسير الطبري مرجع سابق ج ١٤ ص ٤٦٨ فقرة رقم ١٧١٨٦

٦ أسباب النزول للواحدي، مرجع سابق، ص ٢٦٤ و ما بعدها

١- أنه بُني للإضرار بالمسلمين فقد سماه الله تعالى مسجد ضرار.

٢- أنه بني لغرض أن يكون تجمعاً للكفر و الكافرين، فهو مسجد كفر.

٣- أنه بني لغرض زرع الفرقة بين المسلمين.

٤- أنه بني بقصد جعله بؤرة لمراقبة المسلمين و رصد أخبارهم لنقلها للأعداء؛ إرصادا لمن حارب الله و رسوله.

فهذه بيئة فاسدة حاربها رسول الله ﷺ خوفا على المسلمين من هذه الصروح المشبوهة من أن تفرق بين أبناء المسلمين أو تُحَرِّف عقائدهم و سلوكياتهم و أخلاقهم.

فكما أن رسول الله ﷺ ينشئ البيئات الطاهرة النقية للحفاظ على عقائد المسلمين كمسجد قباء فهو كذلك يحارب أي بيئة محتملة للفساد و الإفساد لمجتمع المسلمين كمسجد الضرار.
فإذا كان رسول الله ﷺ قد هدم مسجدا خوفا من أثره السيء على المجتمع الإسلامي فإن كثيرا من المؤسسات و المعاهد و الجمعيات و مراكز الدراسات المغرضة و المشبوهة التي تعيث فساداً في أرض المسلمين هي أولى بالهدم لما تُحدثه من إفساد منظم و مُمَنهجٍ لعقائد المسلمين بحجج تُطابق حجج الذين بنوا مسجد الضرار[١].

---

١ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن ايوب ت ٧٥١، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٢٧ ١٩٩٤مـ ج٣، ص ٥٧١ – بتصرف

٤. عناية الإسلام ببيئة الحاكم:

إن للحاكم في الإسلام منزلة كبيرة، كيف لا وهو يتولى الرئاسة في خلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا بالدين[١]. لذلك أمر الله بطاعة الحاكم بعد طاعة الله ورسوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩ ﴾ النساء: ٥٩.

وجعل رسول الله ﷺ طاعة الأمير طاعة لرسول الله ﷺ حيث قال عليه الصلاة والسلام: " من أطاع أميري فقد اطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله عز وجل " [٢].

وأمر رسول الله ﷺ بالصبر على الأمير حتى و إن صدر منه ما يُكرَهُ منه فقال ﷺ : "من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه" [٣].

والحاكم معلق به إصدار الأوامر التي تقوم بها أمور الناس في دينهم ودنياهم، وهو ليس معصوماً بأقواله وأفعاله، إلا أنه إن اتقى الله في الرعية فإنه يؤجر على أحكامه وإن أخطأ بعد اجتهاده بها لقوله ﷺ: " إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم اخطأ فله أجر "[٤]. وما دام أن هذا الحاكم بهذه المنزلة الرفيعة التي قد تبوأها بكتاب الله وسنة نبيهﷺ، وجب عليه أن يتقي الله في نفسه أولاً ثم أن يحيط نفسه بمن هم أهل للتقوى والعلم والصلاح، فإن الحاكم يتأثر كثيراً بمن حوله من الوزراء والمستشارين والمعاونين، فهم أهل مشورته وخاصته.

و قد كان للملأ [٥] المحيط بالحاكم دور كبير في بناء آرائه و توجيهها، كما في قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون، فإن أكثر ما أصاب موسى عليه السلام كان بتوجيه من الملأ لفرعون.

---

١ الماوردي،علي بن محمد بن حبيب ت ٤٥٠هـ الأحكام السلطانية، تحيق أحمد مبارك البغدادي مكتبة دار ابن قتيبة، ط١٩٨٩،١، ص ٣.

٢صحيح البخاري حديث رقم ٧١٣٧ كتاب الأحكام باب قوله تعالى: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم.

٣ صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٩، ص ٤٧، حديث رقم ٧٠٥٤، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه و سلم: ستون من بعدي أموراً تنكرونها

٤ صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٩، ص ١٠٨، حديث رقم ٧٣٥٢ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو اخطأ

٥ الملأ: مهموز مقصور: اشراف الناس ووجوههم، أنظر، الأزهري، محمد بن أحمد ت ٣٧٠هـ،تهذيب اللغة تحقيق محمد عوض مرعب،دار إحياء التراث العربي – بيروت ط ١ ٢٠٠١م ج ١٥ صفحة ٢٩٠.

وبالرجوع إلى الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة وسير السلف الصالح نجد أنها قد أوجدت ضوابط يتقيد بها الحاكم عند اتخاذه للوزراء والمستشارين الذين يرجع اليهم في حكمه و يعينوه في إدارة البلاد.

فقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ آل عمران.

فهذه الآية الكريمة تعدُ أصلاً شرعيا و أمراً لولي الأمر يُلزمه فيه بأن لا يُقرب ولا يتخذ حاشية من غير المؤمنين، فالبطانة: هم الدخلاء الذين يُستبطُنونَ ويُتَبسطُ إليهم وهم خاصة الرجل الذين يطلعهم على الباطن من أمره [١].

وقد فسر بعض المفسرين البطانة بأنهم اليهود [٢]وفسرها الطبري بالأولياء والأصدقاء [٣] وقال الرازي [٤] قوله تعالى: (لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ) نكرة في سياق النفي فتفيد العموم أي أنها تشمل وتعم اليهود والنصارى والمنافقين والفسقة، بل تشمل كل مَن مِن شأنهِ أن يُفسدَ على الحاكم رأيه بما يسبب العنت للمسلمين. فهذا تحذير لجماعة المسلمين من أن تتخذ من أعدائها الطبيعيين بطانة وأن تجعل منهم أمناء على أسرارها ومصالحها[٥].

---

١ النحاس، أبو جعفر ت ٣٣٨، معاني القرآن الكريم، تحقيق محمد علي الصابوني، إصدار جامعة أم القرى، ط١، ١٩٨٨ ج١ ص ٤٦٥

٢ مقاتل، مقاتل بن سليمان الازدي ١٥٠هـ، تفسير مقاتل،تحقيق أحمد فريد، دار الكتب العلمية ــ لبنان ط ١، ٢٠٠٣م، ج١ ص ١٨٨.

٣ تفسير الطبري، مرجع سابق، ج٧ ص ١٣٨.

٤ الرازي، محمد الرازي بن ضياء الدين عمر ت ٦٠٦ هـ، التفسير الكبير دار الفكر،ط١، ١٩٨١م،ج٨ ص ٢١٥.

٥ قطب، سيد، في ظلال القرآن الكريم، دار الشروق القاهرة، بدون تاريخ، ج١ صفحة ٤٥١.

وهو هنا إذا كان موجهاً للعامة من المسلمين فإن الحاكم المسلم هو الأولى بهذا الخطاب من عامة المسلمين، فإن أثر بطانة السوء عليه أعظم وأكبر من أثرها على عامة المسلمين.

أما سبب نزول الآية فهو: أن رِجالاً من المسلمين يُواصِلونَ رجالاً من اليهود لِمَا كان بينهم من الجِوار والحِلف في الجاهلية، فأنزل الله فيهم هذه الآية، فنهاهم عن مباطنة اليهود خوفاً من الفتنة عليهم [١].

فالآية تدل على خطورة بطانة السوء إذا قرَّبها الحاكم، لأنها سوف تدفع الحاكم إلى إيقاع المسلمين بالعنت والمشقة بسبب مشورة البطانة الفاسدة.

٢ – وفي حديث النبي ﷺ وصايا للحاكم في اختيار بطانته حيث يقول ﷺ: ((ما استخلف خليفة إلا له بطانتان بطانة تأمره بالخير وتحثه عليه وبطانة تأمره بالشر و تحضه عليه والمعصوم من عصم الله))[٢].

جاء في فتح الباري عند شرح هذا الحديث: البطانة: الدخلاء جمع دخيل: وهو الذي يدخل على الرئيس في مكان خلوته ويفضي إليه بسره ويصَدِّقه فيما يخبره به مما يخفى عليه من أمر رعيته ويعمل بمقتضاه.....؛ لأن المصيبة، إنما تدخل على الحاكم المأمون من قبوله قول من لا يوثق به، إذا كان هو- أي الحاكم - حسن الظن به [٣].

بل إن الوزير الصادق في مشورته للإمام هو علامة على إرادة الله عز وجل الخير لذاك الأمير أو الحاكم. يقول ﷺ: ((من ولاه الله عز و جل من أمر المسلمين شيئا فأراد به خيرا جعل له وزير صدق فان نسي ذكره وان ذكر أعانه)) [٤].

١ الحميدان، عصام بن عبد المحسن، الصحيح من أسباب النزول، دار الذخائر ومؤسسة الريان،ط ١، ١٩٩٩م ص ٩٣ وقال اسناده حسن.

٢ البخاري، محمد بن اسماعيل بن إبراهيم، دار طوق النجاة – بيروت – ط ١ ١٤٢٢هـ كتاب الأحكام باب بطانة الإمام و أهل مشورته حديث رقم ٦٦١١ ج ٨ صفحة ١٢٥.

٣ فتح الباري شرح صحيح بخاري، مرجع سابق ج ١٣ ص ٢٣٤ و ص ٢٤٤.

٤ ابن حنبل، أحمد بن محمد ت ٢٤١هـ، المسند، تحقيق شعيب الارناؤوط وأخرون مؤسسة الرسالة، ط١ ٢٠٠١ م، مسند عائشة حديث رقم ٢٤٤١٤ ج٤، ص ٤٧٦، قالق المحقق: حديث صحيح

وقد كان رسول الله ﷺ يستعيذ من الخيانة لعظيم ضررها فيقول: ((اللهم إني أعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة))[١].

فالأصفياء والمقربون هم أهل مشورة الحاكم ومعهم يبنى رأيهُ لذا وجبَ أن يكونوا أبعد الناس عن الخيانة في الرأي والمشورة بل الواجب عليهم إخلاص الرأي والمشورة للحاكم فهم مستأمنون. يقول ﷺ : ((المستشار مؤتمن))[٢].

المطلب الثاني: بيئات نهى الإسلام عن الركون إليها

الإسلام دين كامل وشامل، ينظم حياة المكلفين سواء أكانت فردية أم جماعية. وفي حياة الفرد مواطن يجتمع بها مع غيره، فيتأثر بمن يخالط تأثراً قليلاً أو كبيراً، وهذا التأثر قد يكون في العقيدة أو في العبادة أو في المعاملات أو الأخلاق. فتكون نتيجة هذا الاختلاط إما محمودة و إما مذمومة؛ لذا فإن الإسلام نهى عن بعض البيئات والتي من شأنها إفساد عقائد المكلف و في المقابل فإن الإسلام أمر بلزوم بعض البيئات التي تعزز عقيدة الفرد وخلقه وسلوكه. وبيان عناية الإسلام بالمكلف في هذه البيئات في ما يلي:

من خلال تتبع نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، نجد أن هناك آيات قرآنية وأحاديث نبوية ترشد المسلم إلى الابتعاد و الاعتزال لبعض المواطن والمجالس التي تعمها الفتن والانحرافات وتظهر فيها المعصية، وهذا النهي عن هذه البيئات ما كان إلا خوفاً على المكلف من التأثر سلباً في عقيدته وفكره من جراء مخالطة غير المسلمين.

وفي الآتي بيان لعض من البيئات المنهي عنها:

أولاً: الإقامة في مكان يضطهد فيه المسلم ويفتن عن دينه.

ففي بداية الدعوة الإسلامية، كان المسلمون يُستضعفون في مكة وكانوا يفتنون عن دينهم، ولم تكن هناك سُلطة أو حماية للمسلمين الجدد.

ولذلك سعى رسول ﷻ ﷺ إلى التخفيف عن المسلمين الجدد فأمرهم أن يبقوا في بلادهم حتى تقوى شوكة الإسلام، فيأتوا لنصرة الإسلام والمسلمين.

ومن أولائك الصحابي أبو ذر[١] رضي الله عنه:

---

١ أبو داود، سلميان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، بيت الأفكار الدولية مع أحكام الشيخ محمد ناصر الدين الألباني – كتاب الوتر باب الاستعاذة حديث رقم ١٥٤٩ ص ١٨٣، قال الشيخ الألباني: صحيح.
٢ المرجع السابق حديث رقم ٥١٢٨ كتاب الأدب باب في المشورة ص٥٥٢ قالق المحقق: صحيح

حيث جاء إلى مكة يبحث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فما إن التقى رسول الله ﷺ حتى أسلم، فقال له ﷺ: ((يا أبا ذر أكتم هذا الأمر و ارجع إلى بلدك فإذا بلغك ظهورنا فأقبل))[٢].

فقد كانت مكة - شرفها الله – في بداية الدعوة بيئة صادة عن الإسلام لما فيها من اضطهاد وبطش بالمسلمين المستضعفين، فكان رسول الله ﷺ يحرص على إبعاد المسلمين عن مثل هذه الفتن ليحافظوا على دينهم، لذا فإنه أذن لأصحابه بأن يهاجروا إلى الحبشة عندما اشتد بهم بطش كفار قريش.

فعن عروة - رضي الله عنه - قال: " لما كثر المسلمون وظهر الإيمان فتحدث به المشركون من كفار قريش بمن آمن من قبائلهم يعذبونهم ويسجنونهم، وأرادوا فتنتهم عن دينهم قال: فبلغنا أن رسول الله ﷺ قال للذين آمنوا به: (تفرقوا في الأرض) قالوا: فأين نذهب يا رسول الله؟ قال: ((هاهنا)) واشار بيده إلى أرض الحبشة[٣].

فأمر رسول الله ﷺ صحابته وقد عمهم العذاب و خاف عليهم من الفتنة أن يخرجوا إلى الحبشة حتى يجعل الله لهم فرجاً مما هم فيه [٤]؛ فقد كانت أرض الحبشة أمناً لهم في دينهم حيث تقول أم سلمة رضي الله عنها: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جارالنجاشي أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذا ولا نسمع شيئاً نكرهه[٥]

فهذا رسول الله ﷺ يأذن لأصحابه بالخروج إلى بلاد لا يفتنون بها في دينهم ويتركون بلادهم وهي - البلد الحرام مكة – بعد أن أصبحوا يعذبون بها ليلاً نهاراً من قريش ليردوهم عند دينهم. فأي بلاد يُفتن بها المسلم عن دينه – ولو كان في مكة المكرمة- فعليه أن يهاجر منها – ولو إلى بلاد الكفار - خوفاً عليه من أن يَضعف أمام العذاب فيرتد عن دينه.

وكذلك الأمر في الإقامة بين غير المسلمين بدون سبب شرعي، فالمسلم قد يوجد في بيئة غير مسلمة، لا يظهر فيها التوحيد ولا شعائر الإسلام، فهذا المسلم يخشى عليه من طول الإقامة و

---

١ أبو ذر الغفاري، الزاهد المشهور الصادق اللهجة، مختلف في اسمه و اسم أبيه، و المشهور أنه جندب بن جنادة، هو أول من حيا رسول الله ﷺ وسلم بتحية الإسلام، و قد شهد شهادة التوحيد في وسط قريش حتى أضرجوه بدمائه، مات بالربذة سنة ٣١ هـ، أنظر: ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني،، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، نشر مركز البحوث و الدراسات الإسلامية، ط١،٢٠٠٨ هـ،، ج ١٢، ص ٢١٥ و ما بعدها باختصار، باب الكنى حرف الذال، ترجمة رقم ٩٩٠٤

٢ صحيح البخاري حديث رقم ٣٥٢٢ كتاب المناقب باب إسلام أبي ذر رضي الله عنه ج٤ صفحة ١٨٣.

٣ الصنعاني، عبد الرزاق بن همام ت ٢١١هـ، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي نشر المجلس العلمي في الهند ط ١٤٠٣/٢ ج٥ صفحة ٣٨٤. حديث رقم ٩٧٤٣.

٤ سيرة ابن هشام، مرجع سابق، ج١ صفحة ٣٤٥

٥ المرجع السابق ج١ صفحة ٣٥٥.

الإختلاط أن يتأثر في دينه وفي عقيدته، أو أن يتسرب إليه بعض الانحرافات من هذه البيئة الفاسدة؛ لذا أوجب الإسلام على من يقيم بين أظهر غير المسلمين، - بدون سبب شرعي مع قدرته على الهجرة - وهم يفتنون في عقيدتهم أوجب عليه الإسلام أن يترك بلاد الكفار ويهاجر إلى بلاد المسلمين حفاظاً على دينه وعقيدته إن كان مستطيعا لذلك.

وبدأ هذا الحكم بعد أن أصبح للمسلمين دولة قوية تحميهم وتحفظهم بعد الهجرة إلى المدينة النبوية، فأصبحت المدينة هي الموطن الطبيعي الذي يحتضن أصحاب عقيدة التوحيد، وأصبحت كذلك بيئة إسلامية، لا يخشى المسلم فيها من إظهار عقيدته.

وقد جاء في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ أمرٌ لمن يقيم بين غير المسلمين في الرحيل والهجرة إلى بلاد المسلمين حيث يمارس عقيدته وعبادته بجو إيماني.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ ﴾ النساء: ٩٧-٩٨.

فهذه الآية الكريمة تخاطب من كان عاجزاً عن عبادة ربه في البلاد التي يقيم بها، و تخاطبه بوجوب الهجرة من هذه البلاد التي هم يستضعفون فيها إلى بلاد أخرى يعبدون الله فيها بحرية تامة.

فكانت حجة هؤلاء أنهم مستضعفون في الأرض أي في بلادهم، فلم يقبل منهم الله عز وجل هذا العذر، بل هو كما قال الإمام الطبري: (معذرة ضعيفة وحجة واهية [١])، فالإقامة بين المشركين مع العجز عن إظهار الدين هي إقامةٌ محرمةٌ، فينبغي للمسم أن يخرج من البلد التي تغير فيها السنن ويعمل فيها بغير الحق [٢].

فإقامة المسلم في بيئة يعجز فيها عن إظهار عقيدته وعبادته هي إقامة محرمةٌ شرعاً، ولم يقبل الله عز وجل عذر من قالوا بالاستضعاف بل أوجب عليهم الهجرة ولم يعذر الله عز وجل إلا من كان أمره ليس بيده كحال الصبيان والنساء وكبار السن وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا

١ تفسير الطبري مرجع سابق ج ٧ صفحة ٣٧٩.
٢ ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ت ٥٤٦ المحرر الوجيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب العلمية بيروت ط١ – ٢٠٠١م، ج ٢، صفحة ١٠١.

ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ ﴾ النساء: ٩٨ ، و هذا من عدل الإسلام و رحمته أن قيد الحكم بالاستطاعة على الهجرة، من دون مانع ضعفٍ من مرض أو عجز يُقعد صاحبه عنها، أما المقيم في بيئة الكفر مع القدرة على تركها [١] فقد أعد الله لهم جهنم وساءت مصيراً.

وقد شدد رسول الله ﷺ في أمر البعد عن ديار المشركين حتى قال: ((أنا برئٌ من كل مسلم يقيمُ بين أظهر المشركين قالوا يا رسول الله لم؟ قال: لا تراءى نارهما)) [٢] وقال صلى الله عليه وسلم: " لا يقبلُ الله من مشرك يشرك بعدما أسلم عملاً أو يفارق المشركين إلى المسلمين " [٣]

فهذا الحديث وما قبله كذلك كلها محمولة على من كان قادراً على الهجرة ولكنه آثر البقاء في غير بلاد المسلمين على الرغم من أنها بيئة كافرة يعجز فيها عن عبادة الله وتوحيده، فهذا إن فتن في عقيدته فليس له عذر عند الله عز و جل. فنصوص القرآن الكريم و السنة النبوية تحافظ على المسلم في بيئته التي يسكن فيها ويتعامل فيها مع غيره، فإن كانت فاسدة ويعجز معها عن عبادة الله فوجب عليه أن يهاجر إلى بيئة إسلامية تحتضنه فيعبد الله بها بدون قيد أو شرط.

ثانياً: نهى الإسلام عن بيئة الفتن:

ويقصد بالفتنة هنا الابتلاء والاختبار [٤]، ويقصد بها كذلك الكفر، والإزالة الصرف والقتل، والاختلاف، والإخلال والجنون والعذاب [٥]، و الإثم والعذاب والفضيحة.

ويعرف المراد حيثما ورد بالسياق والقرائن [٦].

من المعاني السابقة لكلمة فتنة فهي تدل على ظرف غير معتاد، يمر به المكلف، فيُوجِهُهُ في رأيه وفكره، فيكون المكلف بهذا الظرف معرضاً لمؤثرات خارجية محيطة به تدفعهُ إلى أن يتوجه في سلوكه أو أقواله أو حتى اعتقاداته على غير المقتضى السليم، فلعله بسبب هذه الفتنة يخطئ في ما يصدر عنه من تصرفات وسلوكات قد تحرفه عن عقيدته، والفتنة قد تكون في النفس

---

١ فتح الباري، مرجع سابق، كتاب الجهاد، باب وجوب التفسير ج٦، ص ٤٨ حديث رقم ٢٨٢٥
٢ سنن أبي داود: حديث رقم ٢٦٤٥ قال الألباني صحيح، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.
٣ مسند أحمد بن حنبل حديث رقم ٢٠٠٤٩، مسند بهز بن حكيم ج٥ ص ٤ قال المحقق: إسناده حسن.
٤ معجم مقاييس اللغة مرجع سابق، ج٤ صفحة ٤٧٢.
٥ الأزهري، محمد بن أحمد ت ٣٧٠، تهذيب اللغة، الدار المصرية للتأليف تحقيق عبد السلام هارون بدون تاريخ، ج ١٤ صفحة ٢٩٦ مادة ف ت ن
٦ فتح الباري، مرجع سابق، شرح حديث رقم ٦٣٦٧، كتاب الدعوات باب التعوذ من فتنة المحيا والممات ج ١١ صفحة ٢١١.

أو الجسد أو المال أو في النساء و أخطرها في العقيدة لذا حث الإسلام المكلف إذا أحاطت به الفتن أن لا يركن إليها و أن يسعى إلى النجاة في عقيدته.

الهدى النبوي في مواجهة بيئة الفتن:

فهو منهج متكامل قد نظمته السنة النبوية في مجموعة من الأحاديث التي تعالج بيئة الفتن على عدة مراحل و ذلك على النحو الاتي:

أ – التعوذ من الفتن: يقول ﷺ: " تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن " [١]. فهذا الحديث الشريف يرشد المكلف إلى الاستعاذة بالله من الفتن، ويشير إلى أن المكلف يستعيذ بالله حتى من الفتن الباطنة التي لم تظهر بعد أو لم تتمكن منه. فهنا الإسلام يواجه ويحارب الفتن بالتعوذ بالله منها حتى قبل أن تظهر.

ب – فإذا وقعت الفتن فعلى المسلم:

١ – الاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ: ((فالفتنة تضاد ذلك، فإنها تمنع معرفة الحق أو قصده أو القدرة عليه فيكون فيها من الشبهات ما يلبس الحق بالباطل حتى لا يتميز لكثير من الناس أو أكثرهم)) [٢].

فإذا كان الأمر كذلك فلا بد للمسلم من مرجعية شرعية ربانية توضح له السبيل وتظهر له الحق، ولن يجد ذلك بغير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. قال ﷺ: " تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله و سنتي و لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض " [٣]

٢ – عدم استشراف الفتنة: فالفتنة إذا ظهرت فعلى المسلم أن لا يتعرض لها، ولا يخوض بها؛ فإن من خاض في الفتنة لعله يفتن بسببها لعدم علمه أو ضعف إرادته أو غلبة هواه وشهواته.

فاستشراف الفتنة هو التصدي لها، و تستشرفه أي تهلكة بأن يشرف منها على الهلاك[٤].

٣ – انكار الفتنة: فقد تكون الفتنة من القوة والانتشار مما يضعف معه المسلم عن مواجهتها بيده أو لسانه، فهنا إن عجز المكلف عن ذلك فلا أقل من أن يكرهها في قلبه وذاك من باب تغيير

---

١ مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري ت ٢٦١هـ، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، حديث رقم ٢٨٦٧، ج٥ صفحة ٢٢٠٠.

٢ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة النبوية، تحقيق محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط١،ج٤ ص ٣٢٩.

٣ صحيح الجامع الصغير، تحقيق الألباني، مرجع سابق / حديث رقم ٢٩٣٧ ج١، ص٥٦٦، قال المحقق: صحيح.

٤ فتح الباري مرجع سابق، كتاب الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، حديث رقم ٧٠٨١، ج ١٣، ص ٣٩.

المنكر بأضعف الإيمان[١]، قال ﷺ: ((تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأيُ قلب أشربها نكت فيه نكتةٌ سوداء، وأي قلب انكرها نكت فيه نكتةٌ بيضاء)) [٢].

فالفتنة شر لا يصح من المسلم أن يمر عليه دون إنكار له ولو في قلبه، فهذا فيه تخفيف على المسلم ومراعاة لقدرته على الإنكار وكذلك تأكيد على المكلف بأن لا يترك الفتنة دون رفض لها ولو في قلبه، فهذا علامة على الإيمان.

ج – عدم العمل في الفتنة:

فإذا كانت الفتنة قد تفسد عقيدة المسلم فللحفاظ على عقيدته فإن الإسلام دعاه إلى الكف عن العمل والقول في الفتنة إلى أن يتلاشى خطرها.قال ﷺ: ((ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي)) [٣].

وقال ﷺ: لمن سأله عن النجاة فقال: ((املك عليك لسانك وليسعك بيتك)) [٤].

ويقول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: " لوددت أني وجدت من يقوم لي في مالي، فدخلت بيتي فأغلقت بابي، فلم يدخل علي أحدٌ أبداً، ولم أخرج إلى أحد حتى الحق بالله عزوجل"[٥].

---

١ صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب كون أن النهي عن المنكر من الإيمان حديث رقم ٤٩/ج/١ صفحة ٦٩.
٢ صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً حديث رقم ٢٣١ ج١ صفحة ١٢٨
٣ صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب: تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، ج ٩ ص ٥١، حديث ٧٠٨١.
٤ مسند أحمد بن حنبل مرجع سابق،ج ٣٦، ٥٧١ حديث رقم ٢٢٢٣٥ في مسند عقبة بن عامر قال المحقق: حسن لغيره
٥ ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد ٤٦٣، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد،، تحقيق:مصطفى العلوي ومحمد البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الاسلامية، ١٣٨٧.هـ،ج١٧ صفحة ٤٤٣ اثر رقم ٤٠٨٢٦

وقال ﷺ: (.....ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً و هوىً متبعاً وإعجابَ كل ذي رأيٍ برأيهِ،..... فعليك خويصة نفسك ودع أمر العوام)) [١]

فهذه الأحاديث النبوية كلها تشير إلى أهمية عدم الخوض في الفتنة قولاً أو عملاً، بل يلزم بيته حتى يظهر الحق و تسكن الفتنة.

د - ومن الهدي النبوي محاربة الفتن عن طريق اعتزالها: فالمؤمن الذي يخاف على دينه قد لا يقدر على ذلك في الفتن لما فيها من الشهوات و الشبهات لذا فالخير في حقه أن يعتزلها مبتعداً بدينه عن مواطن الفتن.

فالاعتزال عن الفتنة يكون حسب المنهج النبوي بعدة أمور:

١ – أن يخرج منها متبعا ماله وأرضه فاراً بدينه من الفتن، حيث قال ﷺ : ((يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن)) [٢].

٢ – أن يهاجر إلى الشام فإن الإيمان بها لقوله ﷺ : ((بينا أنا نائم، إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهوبٌ به، فأتبعته بصري، فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام)) [٣].

و أيضا يستفاد أمر اعتزال بلاد الفتن من حديث قاتل المئة نفس حيث جاء فيه: "... انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناس يعبدون الله فاعبد الله معهم، **ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء))** [٤].

ومما سبق فإن بيئة الفتن و الاضطرابات التي يختلط بها الحق بالباطل، لم يتركها الإسلام بدون ضوابط وعلاجات شرعية كافية لحفظ عقيدة المسلم من الانحرافات و أينما وجدت فتنة يُخشى على المكلف أن تمسه في عقائده فعليه أن يعتزلها و يبتعد عنها و أن يطبق الهدي النبوي السابق في مواجهة الفتن.

---

١ الحديث ضعفه الالباني في سنن ابن ماجة حديث رقم ٤٠١٤، وخرجه الشيخ شعيب عند تحقيق سنن ابن ماجة بما يدل على قبوله له. أنظر، ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني ت٢٧٣هـ، سنن ابن ماجه، تحقيق شعيب الأرناؤوط و آخرون، دار الرسالة العلمية، ط١، ١٤٣٠ هـ، ج٥، ص١٤٦، حديث رقم ٤٠١٤، أبواب الفتن، باب قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم

٢ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتن، حديث رقم ١٩ ج١ صفحة ١٣.

٣ المسند للأمام أحمد، مرجع سابق، مسند عمرو بن العاص حديث رقم ١٧٧٧٥ و قال الشيخ شعيب صحيح.

٤ رواه مسلم، مرجع سابق، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل، وأن كثر قتله حديث رقم ٢٧٦٦ ج ٤ صفحة ٢١١٨.

رابعا: بيئة الاستهزاء واللغو بدين الله:

إن الإنسان بطبيعته لا يقيم في مكان أو موطن واحد؛ لذا فإن المسلم معرض دائماً لأن يجالس أقواماً يخالفونه في عقيدته ودينه، وهذا الحال قد نظمه الإسلام في مكة والمدينة وهو حكم باق في دين الله.

أما في مكة: فقد أنزل الله عز وجل آيات كريمة تخاطب المسلمين، خاصة من كان جديداً في إسلامه يخشى عليه من أن يفتن في دينه إذا جالس وخالط واستمع إلى من يخوضوا في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. فكان التوجيه الرباني بالإعراض عنهم وعن لغوهم و ترك مجالسهم، حفاظاً على دينه من شبهات المشركين و بطشهم.

فقال تعالى:

١ - ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ الأنعام، جاء في تفسير الآية: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {وإذا رأيت} يا محمد المشركين {الذين يخوضون في آياتنا} التي أنزلناها إليك، ووحينا الذي أوحيناه إليك، و (خوضهم فيها) كان استهزاءهم بها، وسبهم من أنزلها وتكلم بها، وتكذيبهم بها {فأعرض عنهم} يقول: فصد عنهم بوجهك، وقم عنهم، ولا تجلس معهم، {حتى يخوضوا في حديث غيره} يقول: حتى يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بآيات الله من حديثهم بينهم. {وإما ينسينك الشيطان} يقول: وإن أنساك الشيطان نهينا إياك عن الجلوس معهم والإعراض عنهم في حال خوضهم في آياتنا ثم ذكرت ذلك، فقم عنهم ولا تقعد بعد ذكرك ذلك مع القوم الظالمين الذين خاضوا في غير الذي لهم الخوض فيه بما خاضوا به فيه، وذلك هو معنى ظلمهم في هذا الموضع. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل"[١].

٢ – وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ القصص. يقول الطبري في تفسير الآية: "القول في تأويل قوله تعالى: {وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين} يقول تعالى ذكره: وإذا سمع هؤلاء القوم الذين آتيناهم الكتاب اللغو، وهو الباطل من القول كما: حدثنا

---

١ الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد ت (٣١٠)هـ ، جامع البيان في تأويل آي القرآن، (تحقيق : عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، دار هجر ، ط١ ، ٢٠٠١ ، ج٩ ، ص ٣١٣

بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، " {وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، سلام عليكم، لا نبتغي الجاهلين} لا يجارون أهل الجهل والباطل في باطلهم، أتاهم من أمر الله ما وقذهم عن ذلك ". وقال آخرون: عني باللغو في هذا الموضع ما كان أهل الكتاب ألحقوه في كتاب الله، مما ليس هو منه. "[١]

فهذه الآيات ترشد المسلمين إلى السبيل في التعامل مع مجالس اللغو والباطل. فقد أرشدتهم إلى الإعراض عنهم، وعن أعمالهم، وأن يفارقوا أهل الضلال ومجالسهم لما في هذه المجالس من إهدار لكرامة المسلمين في دينهم وأنفسهم.

واللغو هو "اختلاط الكلام بالباطل"[٢]..حيث كان المشركون في مكة يكثرون اللغط والتشويش على كتاب الله قال تعالى يبين مكرهم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ فصلت فقد كان كفار قريش يرفعون أصواتهم إذا تلا رسول الله ﷺ القرآن الكريم لعلة يبدل أو ينسى فيغلبوه [٣].

وسبب النهي عن مجالسة الكفار أن الكفار قد يجعلون حضوره – أي حضور المسلم - معهم شبهة يشبهون بها على العامة فيكون في حضوره مفسدة زائدة على مجرد سماع المنكر فإنه ربما ينفق عليه من كذباتهم وهذيانهم ما هو من البطلان بأوضح مكان فينقدح في قلبه ما يصعب علاجه ويعسر دفعه[٤].

فالمؤمنون معرضون – بسبب كثرة جدلهم – مع الكفار لأن تسري إليهم عدوى تفكيرهم، فإن الأفكار الفاسدة تعدي كما تعدي الأجسام المريضة الفاسدة [٥].

فللحفاظ على نقاء عقيدة المسلمين في مكة نهاهم رب العالمين عن مجالسة الكافرين وأمرهم بالإعراض عنهم قولاً وفعلاً ليتجنبوا بذلك ما يُلبسه المشركون على المسلمين من الشبهة في العقيدة. فكان أعراض المسلمين تكريما لهم من الله، تجهيلا لأهل الشرك.

---

١ تفسير الطبري، مرجع سابق ، ج ١٨ ، ص ٢٨٠ و ما بعدها
٢ قاموس العين ، الفراهيدي ، مرجع سابق ، ج٨/٤٤٩ باب الغين و اللام و واي‌ء معهما غ ل و ، غ و ل
٣ الفراء ، يحيى بن زياد بن عبد الله ، المشهور بالفراء ت (٢٠٧)هـ ، معاني القرآن الكريم ، عالم الكتب ط٣ / ١٩٨٣ / ج٣ / صفحة ١٧.
٤ الشوكاني، محمد بن علي ت ١٢٥٠هـ، فتح القدير، دار ابن كثير،بيروت،ط١ ١٤١٤هـ، ج٢، ص ١٤٦ بتصرف و اختصار.
٥ أبو زهرة، محمد أحمد مصطفى، ت ١٣٩٤، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي بدون تاريخ، ج٥ صفحة ٢٥٤٥.

وأما في المدينة النبوية: فقد تبدل الحال، وأصبحت عقيدة المسلمين ظاهرة، لها كيان يحميها وسلطان يمنع المعتدين عنها، ومن كان يصدع بالكفر في مكة أصبح في المدينة خائفاً لا يجرؤ على محاربة الدين ظاهراً، لذا ظهرت طائفة جديدةٌ هي طائفة المنافقين، الذين أخذوا يعلنون الإسلام وفي الباطن يحاربونه.

وكان للمسلمين علاقات ومجالس تجمعهم مع المنافقين، وفي هذه المجالس كان يُساءُ للمسلمين الجدد ويستهزئ بالله ورسوله، فحتى لا تتسرب أفكار وشبهات المنافقين إلى جسم الدولة الإسلامية الناشئة أنزل الله تعالى على المسلمين آية تذكرهم بالحكم السابق الذي أُنزل في مكة وأضاف له حكماً جديداً.

أما الحكم السابق فبقوله تعالى ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ النساء: ١٤٠.

في هذه الآية الدلالة الواضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع من المبتدعة والفسقة عند خوضهم في باطلهم، والنهي عن مجالستهم سببه واضح من صريح الآية ذلك أنهم يستهزئون بآيات الله، فمن جالسهم وسمع كلامهم فهو معرض للفتنة في دينه، لئلا يتوسل الشيطان بذلك إلى استضعاف حرص المؤمنين على سماع القرآن الكريم، لأن للأخلاق عدوى [1].

فمجالستهم مع الاستماع إلى باطلهم دون إنكار عليهم؛ هو أول مراتب النفاق و أول مراتب الهزيمة، و المعبر بين الإيمان والكفر يكون على قنطرة النفاق [2].

وهذا النهي عن مجالسة أهل الباطل يشمل كل محدث في الدين وكل مبتدع [3] أما من سمع باطل الكفار ولعبهم بآيات الله ثم لم ينكر عليهم ولم يقم من مجلسه فحكمه كما قال تعالى: (انكم إذا مثلهم)) النساء:١٤٠.

---

١ ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد ت ١٣٩٣هـ، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان ط١ /١٤٢٠هـ ج٤ صفحة ٢٨٤.

٢ قطب: سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن الكريم، الشروق، القاهرة ج٢ صفحة ٧٨٠

٣ القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الحديث، ٢٠٠٢م، مجلد ٣ ج ٢ صفحة ٣٦٢.

فقد ساوى رب العالمين بين الجالس معهم وبين الخائضين في آيات الله في الحكم. فهو مثلهم في العصيان ومثلهم في الرضا بالكفر وفي الاستهزاء بآيات الله [١]

أما الحكم الجديد الذي أضافته، فهو أن الأمر بهجر من يلغو في كتاب الله في مجالسه كان في مكة بدون إذن للرجوع والمخالطة إذا كفوا عنه، وأما الأمر بهجر مجالس اللغو والاستهزاء في المدينة فقد كانت إلى غاية وهي" حتى يخوضوا في حديث غيره"، فإذا كفوا عن الاستهزاء بدين الله فلا مانع من معاودة مخالطة ومجالسة المستهزئين.

والسبب في هذا الفرق أن الواقع الجديد في المدينة قد تبعه تغير في الحكم المكلف به.فمكة كانت بلاد كفر وبلاد ضعف للمسلمين، كان المسلم بها عاجزاً عن حمايةِ نفسه أو نشر دينه، فكان الإعراض عن المستهزئين هو الحكم الأنسب في هذه المرحلة، حتى لا يتعرض المسلم المكلف إلى البطش من المشركين.

وأما المدينة فهي بلاد إيمان وبلاد بها قوة للمسلمين، فالمسلم بها عزيز قوي؛ يجهر بدينه وعقيدته بدون خوف، وكان عليه واجب الدعوة إلى الله و نشر دعوة التوحيد، ولو أراد ترك كل مجلس لغو و عدم العودة إليه لكان ذلك سبباً في عدم انتشار الإسلام، لذا فإن الحكم في المدينة هو ترك من يستهزئ بدين الله (مؤقتاً) حتى ينصرف عن استهزائه [٢].

وحفاظ الإسلام على بيئة المكلف ومنعه من الاختلاط ومن المجالس التي تؤثر عليه في دينه فهو حكم باق لم ينسخ ولم يتغير، فالمسلم مطالب على أن لا يكون في موطن وبيئةِ تفتنه عن دينه. يقول ﷺ ((سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم)) [٣].

فالتحذير من مجالس اللغو تحذير نبوي ما زال قائماً ومستمراً يطالب به المسلم في كل زمان وفي كل مكان. فلا يحل للمسلم أن يجالس من يهزأ بكتاب الله، بل يستحب للمسلم أن يهجر أهل البدع والمعاصي الظاهرة وترك السلام عليهم ومقاطعتهم تحقيراً لهم وزجراً [٤].

---

١ الجصاص، أحمد بن علي الرازي ت ٣٧٠، أحكام القران، دار الكتب العلمية بيروت ط١، ١٩٩٤م،ج٢ ص ٣٦٢.

٢ أنظر بنفس المعنى في ظلال القران الكريم مرجع سابق ج٢، ص ٧٨١ والتحرير والتنوير، مرجع سابق،ج ٤، ص ٢٨٤.

٣ صحيح مسلم، مرجع سابق، المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء و الاحتياط في تحملها، ج١ صفحة ١٢

٤ النووي، يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي بيروت ط٢ / ١٣٩٢، كتاب التوبة، حديث توبة كعب بن مالك ج ٩ ص ١٤٩ حديث رقم ٤٩٧٣.

وقد جعل بعض أهل العلم حديث هجران المسلمين لكعب بن مالك وصاحبيه الذين تخلفوا عن غزوة تبوك أصلا في هجران أهل البدع ومن أحدث في الدين ما لم يرض[١].

مع أن كعب بن مالك و صاحبيه – رضي الله عن الجميع – لم يصل فعلهم لأن يوصف بالبدعة و مع ذلك طلب رسول ﷺ من المسلمين هجرهم، فصاحب البدعة أولى بالحكم و الهجر منهم.

لقد كان البيان السابق عن البيئات المنهي عنها أما البيئات التي أمر الإسلام بلزومها فقد تعرضت للحديث عنها في المطلب الأول عند الحديث عن بيئة المسجد و الصاحب و الأسرة الصالحة و الحاكم و غيرها بل إن كل بيئة أمر الإسلام بملازمتها فإن هذا يعني النهي عن ضدها من البيئات الفاسدة

المطلب الثالث: المنهج النبوي في معالجة الخلل في البيئات بعد أو قبل ظهوره:

يقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ التوبة لقد كان رسول الله ﷺ شديد العناية ببيئة المكلفين العقدية، فكان يراقب و يتابع و يستفسر عنها، و يصلح فاسدها، و يبدل الأسماء والأقوال بما يحق سلامة بيئة المكلف العقدية.

و في هذا المطلب بيان للأساليب النبوية التي اتبعها رسول الله ﷺ في الحفاظ على البيئة العقدية للمكلفين.

أولا: تنوع أساليب رسول الله ﷺ في معالج الخلل في البيئات:

يقول الله عز وجل عن نبيه الكريم: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ التوبة: ٢٨ .

---

١ ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، ت ٤٦٣ الاستذكار، تحقيق سالم محمد عطا، محمد معوض دار الكتب العلمية ببيروت ط١ / ٢٠٠٠ –، كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في المهاجرة ج٨ صفحة ٢٩٠.

لقد كان ﷺ شديد الحرص على المسلمين يخشى عليهم من أية بادرة أو ناشئة بينهم تكون سبباً في انحراف عقائدهم، بل كان ﷺ يراقب المجتمع افراداً وجماعات، يتابع ما يتولد به من مسائل قد تضرُ بمجتمع المسلمين، أو يستشرف ما قد يحدث في المستقبل فيحذر منه وينبه عليه.

لذا تعددت أساليب النبي ﷺ في معالجة أي حادثة من شأنها التلبيس على عقائد المسلمين في الحال أو المستقبل، فكان ﷺ لا يترك فرصةً إلا ويكون فيها مصححاً وموجها ومحذراً من أي قول أو فعل قد يخل بعقائد المسلمين أو يُخاف منه أن يفسد عقائد المسلمين في المستقبل.

فقد يكون أسلوب رسول ﷲ ﷺ أسلوباً علاجياً، أي أن واقعة قد حدثت ثم يبادرﷺ إلى علاج ما في هذه الواقعة من خلل ومثال ذلك: حين أدرك ﷺ عمر بن الخطاب وهو يحلف بأبيه، فعالج ﷺ هذا الخلل بأن قال: ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله وإلا فليصمت[1]، فالحلف بغير الله خلل عقدي من رواسب الجاهلية، لم يتركه رسول الله ﷺ من دون توجيه و علاج فيقول ﷺ: ((من حلف منكم فقال في حَلِفِهِ باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله))[2]. فهنا يعالج ﷺ خللاً عقدياً علنياً، فينهي عن الحلف بغير الله ثم يقدم بديلاً لهذا النهي وهو أن من حلف فليحلف صادقاً أو ليصمت، وأن من حلف بغير الله فكفارتها أن يقول لا إله إلا الله. فأمره ﷺ للحالف باللات والعزى أن يقول لا إله إلا الله ؛ خشية أن يستديم حاله على ما قال عندها يخشى عليه من حبوط عمله.... وقال ابن حجر: " في هذا الحديث... تعليم من نسي أو جهل فحلف بذلك أن يبادر إلى ما يرفع الحرج عنه "[3].

وفي سنتة ﷺ مواقف كثيرة وعديدة، كان فيها صلى الله عليه وسلم يعالج ويصحح الأخطاء خوفاً على المسلمين من انحراف في عقائدهم لو لم تتم معالجة الأخطاء.

ومن أمثلة علاج النبي صلى الله عليه لموطن الخلل، حديث الصحابة الذين خاضوا في القدر فوجههم رسول الله أن لا يعودوا إلى ذلك فعن أبي هريرة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه و سلم ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى أحمر وجهه حتى كأنما فقئ في وجنتيه الرمان فقال أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر عزمت عليكم عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه[4].

---

١ صحيح البخاري، كتاب الآدب، باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً حديث رقم ٦١٠٨ باب ٧٥ ج٨ صفحة ٢٧.

٢ صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ٧٤ – من لم ير إكفار من قال ذلك حديث رقم ٦١٠٧ ج٨ صفحة ٢٧.

٣ فتح الباري مرجع سابق، ج١٠ صفحة ٦٣٤ شرح حديث رقم ١١٠٦ و ١١٠٧ كتاب الأدب، باب من لم ير اكفار من قال ذلك – بتصرف يسير

٤ الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة ت ٢٧٩ جامع الترمذي،، طبعة بيت الافكار الدولية كتاب القدر، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر حديث ٢١٣٢ صفحة ٣٥٥ قال الألباني:حديث حسن.

فالحوار في القدر كان في بيئة سليمة بين صحابة رسول الله ﷺ، ولكنه قاد إلى مخالفة عقدية قد توصل صاحبها إلى الهلاك، فما كان من رسول الله ﷺ إلا و نهى نهياً جازماً عن الخوض فيه، حفاظاً منه على سلامة البيئة العقدية للمكلفين من أي حوار يقود إلى فتنة عقدية في المجتمع.

وكذلك حديث الجواري اللاتي كن ينشدن الشعر عنده فنهاهن عندما قلن" وفينا نبي يعلم ما في غد. فقال النبي ﷺ: «لا تقولي هكذا وقولي ما كنت تقولين» "[1].

- وقد يكون منهج النبي ﷺ في مواجهة فساد العقائد أسلوباً وقائياً؛ أي أنه ﷺ يحذر ويعالج من خلل مقبل في المستقبل القريب أو البعيد.

ومن ذلك: قال ﷺ: ((من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخفاء الراشدين المهديين)) [2]

فهذا حديث نبوي شريف يستشرف المستقبل، وينبه إلى ما سوف يكون فيه من اختلاف شديد عن منهج النبوة فيحذر ﷺ من ذاك الزمان المقبل ويقدم لهم علاجاً شافياً في ذلك هو التمسك بالسنة النبوية ومنهج الصحابة الكرام والسمع والطاعة لولي الأمر في غير معصية الله عز وجل.

وكذلك من الأحاديث النبوية التي تحث المسلمين **على الوقاية** من زمان فساد العقائد قوله ﷺ: " سيكون في آخر الزمان أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم"[3].

فهذه رعاية نبوية من رسول الله ﷺ لمجالس المسلمين والتي سوف تكون في آخر زمان الأمة الإسلامية يحذرهم من أناس يحدثونهم في دين الله بما لم يكن معروفاً بينهم. ويعد حديثه ﷺ ((لتتبعن سنن من كان قبلكم)).[4] أصلاً في رعاية رسول الله ﷺ لما سيأتي على المكلفين من بيئات.

١ صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب النكاح / باب ضرب الرق في النكاح حديث رقم ٥١٤٧، ج٧ صفحة ١٩.
٢ المسند، الأمام أحمد، مرجع سابق، حديث رقم ١٧١٤٢،ج ٢٨،ص ٣٧٦، مسند العرباض بن سارية.
٣ صحيح مسلم، مرجع سابق، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، ج١،ص ١٢.
٤ صحيح البخاري مرجع سابق، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم، لتتبعن سنن من كان قبلكم، ج ٩ ص ١٠٣ حديث رقم ٧٣٢٠.

وقد يكون منهج رسول اللهﷺفي رعاية بيئة المكلفين منهجا فيه **مواجهة للمكلفين و تحديدٌ لأشخاص المكلفين المخالفين و تعينٌ لأشخاصهم و إعلامهم** بحكم أفعالهم وقد يكون أسلوباً يعمم فيه رسول اللهﷺ الخطاب ولا يحدده بشخص بعينه.

ومثال ما سبق:

في مواجهة المكلف في حكم أفعاله كما حصل حين نبه ﷺ عمر بن الخطاب[1] بأن لا يحلف بأبيه فهذا توجيه نبوي خاطب به فرداً من أمته و بشكل علني محذراً وموجهاً له ومعلماً له في حرمة الحلف بغير الله تعالى.

- وقد يخاطب رسول ﷺ **المجموع بدون ذكر لشخص محدد** كما حدث عندما صنع ﷺ أمراً فتنزه بعض الناس عن فعله فقال ﷺ: (ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية))[2]

- فهنا رسول الله ﷺ يصلح الخلل الحاصل بترك اتباعه من بعض الصحابة، و يوجه الجماعة بشكل عام دون ان يحدد الأسماء و يذكر المقصودين بحديثه أو يعين ذواتهم.

وقد ترجم البخاري لهذا الحديث بقوله: باب من لم يواجه الناس بالعتاب، فهنا ﷺ يحذر العامة دون أن يحدد اسماً أو يذكر شخصاً بل هو تنبيه عام يحذر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من انتشار مخالفة هديه بين الناس.

---

١ صحيح البخاري، حديث رقم ٦١٠٨ سبق تخريجه.
٢ صحيح البخاري مرجع سابق حديث رقم ٦١٠١ كتاب الأدب باب من لم يواجهه الناس بالعتاب ج ٨ صفحة ٢٦.

ثانياً: استفسار رسول الله في مسائل التوحيد:

لقد كان ﷺ يتابع أحوال المسلمين فيستفسر منهم عن أحوالهم، خاصة إذا تعلق الأمر بمسألة من مسائل التوحيد فيسمع منهم ويستفسر خشية أن يقع أحدهم في محظور شرعي فيفتن باقي المسلمين معه ومثال ذلك:

- " جاءت امرأةٌ إلى رسول الله ﷺ..... وقالت: إني نذرت أن أذبح بمكان كذا وكذا - مكان يذبح فيه أهل الجاهلية - فقال ﷺ : لصنم؟ قالت: لا، قال ﷺ: لوثن؟ قالت: لا، قال: أوفي بنذرك "[1]

فهنا ﷺ وسلم سمح لهذه المرأة أن تذبح في ذاك الموقع بعد أن استفسر منها عن المكان الذي سوف تذبح به، خشية أن يكون موقعاً لذبائح الأصنام والأوثان، فتقع بالشرك وتفتن من يراها بفعلها.

- وكذلك حين جاء رجل إلى رسول الله ﷺ لسؤاله عن الرقى؛ فعن عوف بن مالك الأشجعي قال: كنا نرقي في الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال ﷺ: " اعرضوا على رقاكم؛ لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك "[2]. فهنا ﷺ ينظم رقى المسلمين، ويطلب منهم أن يعرضوا عليه ما يرقون به خوفاً عليهم من شيوع رقىً فيها شرك فتضر دين صاحبها.

ثالثاً:إمتناع رسول الله ﷺ عن أعمال قد تفتن المسلمين في دينهم أو تصدهم عن الإيمان أو تؤدي إلى إلحاق الأذى بهم:

فقد كان ﷺ يمتنع عن أعمال من شأنها أن تضر بالمسلمين أو تفتنهم في دينهم. مع أنها أعمال ظاهرها و باطنها صحيح وحق، إلا أنه ﷺ كان يعلم يقيناً أن هذه الأعمال مآلها الحاقُ الضرر بالإسلام والمسلمين، لذا كان رسول ﷺ لا يقوم بها بنفسه ويمنع غيره عنها، ومثال ذلك:

١- يقول رسول الله ﷺ لأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها -: ((.... لولا أن قومك حديث عهدهم بالجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم؛ أن ادخل الجدر في البيت وأن الصق بابه في الأرض [3] و في رواية أخرى ((لجعلت له بابين باباً شرقياً غربياً)) [4].

فهنا إنتبه رسول الله ﷺ، لحداثة المسلمين الجدد بالجاهلية، فخاف عليهم إن هو هدم الكعبة و أعاد بناءها أن ينفروا من الإسلام لعدم تمكنه من قلوبهم بعد، فامتنع عن إعادة بناء الكعبة ليثبت

---

١ أبو داود، سليمان بن الأشعث ت ٢٧٥، سنن أبي داود، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني طبعة بيت الأفكار الدولية كتاب الإيمان والنذور، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر، حديث رقم ٣٣١٢ ص ٣٧٢، قال المحقق حديث حسن صحيح

٢ صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك، حديث رقم ٢٢٠٠.

٣ صحيح البخاري كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها ج٢ صفحة ١٤٦ حديث رقم ١٥٨٤

٤ صحيح البخاري كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها ج٢ صفحة ١٤٧ حديث رقم ١٥٨٦

المسلمين على دينهم ويبعد الريبة عن قلوبهم، فأبقى بناء الكعبة على ما كان عليه حتى لا يغير ما ألفه المسلمون الجدد فيها.

٢- وكذلك امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل من كان يكيد للإسلام والمسلمين، خوفاً من أن يشيع بين العرب أن رسول الله ﷺ يقتل المسلمين في المدينة. فقد امتنع ﷺ عن قتل عبد الله بن أبي سلول الذي كانيكيد للإسلام والمسلمين كما هو الحال في غزوة بني قينقاع وغزوة بني النضير فكان يوالي اليهود ويعادي رسول الله وهو الذي قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالزنى ووصف رسول الله ﷺ والمسلمين بالأذلاء حين قال:" والله ما عزنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال الشاعر: (سمن كلبك يأكلك) [١] والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل " [٢].

لقد كان عبد الله بن أبي بن سلول عدواً لله ورسوله يكيد للإسلام ويؤذي رسول الله ﷺ فكان يستحق القتل لنفاقه و حربه للإسلام و المسلمين، لكن قتله كان سوف يدخل فتنة على مجتمع المسلمين، حيث إن البعيد عن المدينة لا يعرف بمكائد ابن سلول فإن قتله رسول الله ظنت الأعراب أن محمداً يقتل أتباعه من المسلمين فينفروا عن الإسلام ويصدوا عن اتباع رسول ﷺ الله. لذا امتنع رسول الله ﷺ عن قتله حفاظاً على سمعة مجتمع المدينة وحفاظاً على من يوشك ان يسلم أن لا يرتد أو يمتنع عن الإسلام إن سمع بمقتل عبد الله بن ابي بن سلول.

فهذه حكمة منهﷺيُقدر بها الأمور و يعرف بها مآلات الأفعال، ويخشى على سمعة بلاد المسلمين من أي فعل قد يضر بالإسلام أو يصد غير المسلمين عن الإسلام أو أن يشيع بين العرب أن بيئة المدينة يقتل بها المسلمون فتكون النتيجة الصد عن دين الله عز وجل.

٣- امتناع رسول الله ﷺ عن هدم الأصنام التي حول الكعبة مع أنه بعث كما في حديث عمرو ابن عبيسة السلمي.....قال ﷺ: " أرسلني – الله – بصلة الأرحام – وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شيئاً... " [٣].

فلم يحطم ﷺ الأصنام وهو في مكة مع أنها تعبد من دون الله عز وجل، حفاظاً منه على شوكة المسلمين ورحمة لضعفهم، فلو حطمها ﷺ لزاد أذى قريش على المسلمين، وقد يُفتن المسلمون عن دينهم وتضعف الدعوة في مكة؛ لذا لم يحطمها تقديراً منه لوجود المسلمين في بيئة ظالمة قوية لن تسكت على تحطيم معبوداتها.

---

١ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي ت ٥٤٥٨ دلائل النبوة، دار الكتب العلمية ودار الريان، ط١، ١٩٨٨، كتاب جماع ابواب غزوة أحد، باب ما ظهر في هذه الغزوة من نفاق عبد الله بن أبي بن سلول ج٤،ص ٥٢.

٢ صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، سورة المنافقون ج ٦، ص ١٥٣،حديث رقم ٤٩٠٣.

٣ صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب صلاة المسافرين، باب إسلام عمرو بن عيسى، حديث رقم ٢٩٤، ج١، ص ٥٦٩.

ومحاولاته ﷺ لتحطيم الأصنام كانت محاولة وحيدة حين رفع ﷺ عليٌ بن أبي طالب على منكبه الشريف، ثم قام علي برمي صنمٍ كان على ظهر الكعبة، وبعدها انطلق ﷺ يستبق مع علي حتى تواريا بالبيوت، خشية أن يلقانا أحدٌ من الناس[١].فهذه الرواية تظهر الظروف الصعبة التي كانت بمكة والتي تمنع من هدم الأصنام؛ الأمر الذي راعاه ﷺ حفاظا منه على المسلمين بأن لا يَستعدي عَليهم عَدوهم.

المطلب الرابع: تشريع العقوبات للحفاظ على بيئة المكلف العقدية

لم تكتف الشريعة الإسلامية في حفاظها على بيئة المكلف العقدية بأن أمرته بلزوم بعض البيئات وهجر بعضها الآخر، فإن بعض النفوس ضعيفة لا تلتزم بأمر أو نهي، وقد تنحرف عن الحق، فتُضَلَّ وتُضِلُ غيرها؛ لذا شرع الإسلام العقوبات على من انحرف في عقيدته ردعاً له ولغيره، وصيانة للجماعة الإسلامية وللمجتمع من أن يتسرب فيها وبينها عقائدُ فاسدة، تفتن الناس في أعز ما يملكون – أي عقائدهم-.

لذا كان الكمال في الشريعة الإسلامية، فهي تأمر وتنهى وتعاقب المكلف إن أخل وتَخَلَفَ ولم يلتزم بشرع الله، تأديباً له وتنقيةً للبيئة الإسلامية من فساده.

فالعقوبة هي من جهة رادعة للغير ومؤدبة للمذنب و من جهة ثانية فهي متممة للنظام الإسلامي في الحفاظ على عقائد المكلف.

والأخطاء العقدية كثيرة ومتنوعة؛ فمنها في الاعتقاد، ومنها في الأقوال، ومنها في الأفعال، ومنها في الترك، و هذه الأقسام تتداخل فيما بينها، فمثلاً من اعتقد شيئاً عبر عنه بقول أو فعل أو ترك[٢]، لذا من العسير تتبع كل الأخطاء العقدية التي تصدر عن المكلف وتنعكس سلباً وإفساداً على المجتمع لكثرتها، ولأن تتبعها في هذا البحث يخرج الدراسة عن موضوعها.

---

١ مسند أحمد بن حنبل، احاديث علي بن طالب، ج٢ صفحة ٧٤ حديث رقم ٦٤٤ قال المحقق: إسناده صحيح.
٢ **الموسوعة الفقهية الكويتية**، وزارة الأوقاف الكويتية، ط٣ ، ٢٠٠٥م، ج٢٤، ص١٨٤ .

لكن سوف أعرض تالياً بعض الأخطاء العقدية التي شَرَعَ الإسلام لها عقوباتٍ رادعةٍ، ليحافظ على المكلف في محيط عقدي سليم:

أولاً: الردة:

الردة: الرجوع عن الشيء، ومنه الردة عن الإسلام[١]، وترك الدين الإسلامي والخروج عليه بعد اعتناقه[٢].. وهي أخطر الجرائم على المجتمع، وهي اعتداء على أول الضرورات الخمس وهو الدين، فالمرتد مستهزئ بالدين مستخف بعقيدة المسلمين، يُجرِّئُ غيره من المنافقين ليظهروا نفاقهم، وردته تشكك ضعاف العقيدة في عقيدتهم[٣].

فالمرتد بخروجه من الإسلام... ينادي: أنه لما خالط هذا الدين وجده غير صالح، ووجد ما كان عليه قبل ذلك أصلح، فهذا استهزاءٌ بالدين واستخفافٌ به، وفيه أيضا تمهيد الطريق لمن يريد أن ينسل من هذا الدين، وذلك يفضي إلى انحلال الجماعة الإسلامية، فلو لم يُجعل ذلك زجراً ما انزجر الناس، ولم نجد شيئاً زاجراً مثل توقع الموت، فلذلك جعل الموت هو العقوبة للمرتد[٤].

وتعاقب الشريعة الإسلامية على جريمة الردة عن دين الإسلام بالقتل وذلك لقوله ﷺ (من بدل دينه فاقتلوه) [٥].. ولقوله ﷺ (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة) [٦].

---

١ ابن دريد، محمد بن الحسن (ت ٣٢١)، **جمهرة اللغة** ، (تحقيق: رمزي بعلبكي)، دار العلم للملايين، ط١٩٨٧/١م، حرف الدال وما بعده فقرة د ، ج١، ص١١٠ .

٢ عودة عبد القادر، **التشريع الجنائي الإسلامي**، مؤسسة الرسالة الرسالة الناشرون –بيروت ، ط١٤، ٢٠٠٠م، ج١، ص٦٦١ .

٣ زيدان، عبد الكريم زيدان، **أصول الدعوة**، مؤسسة الرسالة الناشرون –بيروت ، ط١، ٢٠٠٦م، ص٢٨٦ .

٤ ابن عاشور، محمد بن الطاهر بن محمد (١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ج٢، ص٣١٩ .

٥ صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب حكم المرتد والمرتدة و استتابتهم، حديث رقم (٦٩٢٢)، ج٩، ص١٥ .

٦ مسند أحمد بن حنبل، مرجع سابق، مسند عبد الله بن مسعود، حديث رقم (٣٦٢١) ج٦، ص١١٩ ، قال المحقق : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

فالحديث الثاني يذكر سبب الحكم عليه بالقتل هو مفارقته للجماعة، فمن ارتد عن دينه أساء للجماعة التي أمر الله عز وجل بلزومها، ولو ترك هذا المرتد من دون عقاب لاغترَّ غيره بذلك وفارق الجماعة وارتد، وحتى يمنع الإسلام ذلك شرع عقوبة الردة، فتعاقب الشريعة الإسلامية على الردة بالقتل، لأنها تقع على الدين الإسلامي، وعليه يقوم النظام الاجتماعي للجماعة، فالتساهل في هذه الجريمة يؤدي إلى زعزعة هذا النظام، ومن ثم عوقب عليها بأشد العقوبات استئصالاً للمجرم من المجتمع وحماية للنظام الاجتماعي، وعقوبة القتل أقدر العقوبات على صرف الناس عن الجريمة[1].

والردة جريمة لها أسباب عديدة، منها؛ القلبية كاعتقاد الشريك مع الله عز وجل، ومنها قوْليَّة، كَسَبِّ الذات الإلهية أو شتم رسول الله ﷺ ، وكذلك فعليَّة مثل السجود للصنم أو السحر[2].

وتفصيل مسائل الردة في كتب الفقه كتاب الحدود[3]، الذي يخدم البحث هنا أن الإسلام شرع عقوبات للمحافظة على بيئة المكلف العقدية ليمنع مرتكبيها ويزجر من تسول له نفسه أن يُقدِم على إحداها.

ثانياً: الفسق:

معنى الفسق: الترك لأمر الله، وكذلك الميل إلى المعصية[4]، ويسمى الفاسق بهذا لانسلاخه عن الخير[5].

وفي الاصطلاح: الخروج عن الطاعة و تجاوز الحد بالعصية[6].

فالفاسق هو الذي ظهر منه ما يدل على عدم قبوله لطاعة الله ومخالفة أمره ونهيه.

---

١ عبد القادر عودة، التشريع الجنائي، مرجع سابق، ج١، ص٦٥٩ و ص٦٦٠ .

٢ أنظر تفصيل هذه المسائل في ابن منده ، محمد بن إسحاق بن مندة ت (٢٩٥)هـ، كتاب الإيمان ، (تحقيق علي بن محمد بن ناصر الفقيهي) مؤسسة الرسالة، ج٢/ص٥٦٥ وما بعدها، باب: ذكر الذنوب التي تخرج العبد من الإيمان في الشرك والكبائر.

٣ أنظر: كتاب المرتد، فصل في السحر، ابن قدامة ، عبد الله بن أحمد ت(٦٢٠)هـ ، **المغني**، (تحقيق: محمد شرف الدين و سيد محسن السيد) دار الحديث القاهرة ٢٠٠٤م، ج١٢، ص٨٦ وما بعدها.

٤ الفراهيدي، الخليل بن أحمد ت(١٧٣)هـ، **العين** ، (تحقيق: مهدي مخزومي وإبراهيم السامرائي) ، دار ومكتبة الهلال باب القاف وسين والفاء، ج٥، ص٨٢.

٥ الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، دار الفكر –بيروت - ، ١٩٩٥م، باب القاف فصل الفاء، ص٨٢٦ .

٦ الموسوعةالفقهيةالكويتيةمرجع سابق ، ج (٣٢) ، ص ١٤٠

و الفسوق في كتاب الله نوعان: مفرد مطلق، ومقرون بالعصيان و المفرد نوعا نوعان[١]:

١- فسوق كفر يُخرِج من الملة.

٢- فسوق لا يُخرِج من الملة.

ودليل الأول قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [السجدة:٢٠]. ودليل الفسوق الثاني قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات:٦]

وأهل البدع على صنفين: الصنف الأول: من يحكم بفسقه ولا يحكم بكفره، وهم العامة الذين يعتقدون البدع تقليداً بغير علم ولا يدعون إليها. الصنف الثاني: من يحكم بكفره وهم كل من خالف في أصل فيه دليل مقطوع به مثل نص الكتاب والسنة المتواترة[٢].

وصاحب البدعة مستحق للعقاب، ولتنوع أنواع البدع، تنوعت العقوبات، فتارةً تكون بالقتل، وتارة بما دونه،.... ولو قُدِّر أنه لا يستحق العقوبة أو لا يمكن عقوبته فلا بد من بيان بدعته والتحذير منها[٣]، ومن عقوبة الفاسق المبتدع أن لا تذكر محاسنه[٤]، بل إن إظهار ضلال الفاسق وبيان بدعته أحب من نافلة الصيام والصلاة والاعتكاف، فرد شبهة الفاسق والمبتدع فيها نفع عام لكل المسلمين بخلاف نافلة العبادات[٥].

فالفاسق إذا تُرِك وفسقُه في المجتمع أفسدَ على الناس دينهم، لذا فإن في عقوبته وزجره صيانة للمجتمع وحفاظاً على نقاء البيئة العقدية للمكلفين من تلويثات الفسقة والمغرضين.

وعقوبات الفاسق متعددة بحسب فسقه، ومن العقوبات أيضا ما جاء من حرمانه من الإمامة في الصلاة، و الإمامة الكبرى، وعدم قبول روايته في الحديث خاصة إذا كان داعياً إلى بدعته وفسقه، وعدم قبول شهادته وعدم قبول ولايته في النكاح، وتفصيل هذه المسائل في كتب الفقه[٦].

---

١ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **مدارج السالكين**، دار الحديث ، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص٢٩٢.

٢ الحكمي، حافظ بن أحمد (ت١٣٧٧هـ) **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، دار ابن القيم، ط١، ١٩٩٠م، ج٣، ص١٢٢٨ .

٣ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، دار الوفاء، ودار ابن حزم، ط٢، ٢٠٠١م، ج٣٥، ص٤١٤.

٤ ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد الشهير بابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، **شرح علل الترمذي** (تحقيق: د. همام سعيد)، مكتبة الرشد، ط٢، ٢٠٠١م، ج١، ص٣٥٩.

٥ أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، مرجع سابق، ج٢٨، ص٢٣١، بتصرف.

٦ أنظر : الموسوعة الفقهية الكويتية، مرجع سابق، ج٣٢، ص١٤٠ وما بعدها، وانظر: عسكر، عبد الله بن محمد عسكر ، فسق الأعمال، أحكامه ودلالاته الشرعية، ، رسالة ماجستير.

ثالثاً: النفـاق والزنـدقـة:

النفاق والزندقة كلاهما له نفس المضار و المساوئ على المجتمع الإسلامي، والنفاق كلمة وردت في الكتاب والسنة فهي مصطلح شرعي، بخلاف الزندقة فهي كلمة وافدة تشترك مع النفاق في بعض الجوانب وتخالفه في جوانب أخرى.

١. النفـاق:

النفاق: وهو الدخول في الإسلام والخروج منه من وجه آخر[١]، فقد يدخل الإسلام بأن يؤمن بلسانه والقلب كافر[٢]، وهذه خطورة النفاق، في أن صاحبهُ لا يظهرُ عليه علامات الكفر؛ فالظاهر وما تراه العين أنه مسلم، والباطن كافرٌ بالله تعالى، وهم بذلك يَسْعَوْنَ إلى خداع المسلمين بظاهرهم، قال تعالى: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ ﴾ [البقرة:٩].فالدخول في الإسلام فيه عصمة للدماء، فأراد المنافقون عصمة دمائهم من جهة وحرب الإسلام من جهة ثانية.

والنفاق قسمان:

الأول: اعتقادي: وهو الذي يخلد صاحبه في النار، وهو المقصود هنا.

الثاني: عملي: وهو من أكبر الذنوب[٣].

---

١ لسان العرب، ابن منظور ، مرجع سابق، ج١٤،ص٣٢٧، مادة ن ف ق .

٢ معجم العين، مرجع سابق، ج٥، ص٣٥٦، باب الكاف والراء والفاء، وأنظر: التعريفات للجرجاني ، مرجع سابق، مصطلح رقم (١٥٦٠) ج١، ص٣١١ .

٣ ابن كثير، اسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ) **تفسير القرآن العظيم** ، دار الصديق ومؤسسة الريان، ط٤ ، ٢٠٠٤م، ج١/ ص٨٦، وكذلك ،ابن رجب، عبد الرحمن بن شهاب الدين الحنبلي ، **جامع العلوم والحكم**، (ت٧٩٥هـ) (تحقيق شعيب الأرناؤوط) مؤسسة الرسالة، ط٧، ٢٠٠٠م، ج٢، ص ٤٨١حيث قسم النفاق إلى نفاق أكبر و نفاق أصغر.

وكلا الصنفين ظهرا في المدينة حيث قويت شوكة المسلمين، فبعد غزوة بدر قال عبد الله بن أبي ابن سلول: " هذا أمر قد توجه- أي الدخول في الإسلام - فأسلما، فأظهر دخول الإسلام... فمن ثم وجد النفاق في المدينة ومن حولها من الأعراب[1].

ولقد صورت كتاب الله خطر المنافقين على الإسلام والمسلمين، وذكرت جملة من قبائحهم وكيدهم للجماعة الإسلامية فمن جملة مكائدهم:

١. الصد عن سبيل الله، قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢﴾ [المنافقون:٢] .

٢. الاستكبار: قال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ٥﴾ [المنافقون:٥] .

٣. التحريض على رسول الله ﷺ : قال تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ٧﴾ [المنافقون:٧] .

٤. يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويبخلون، قال تعالى: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٦٧﴾ [التوبة:٦٧] .

---

١ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، المرجع السابق، ج١، ص٨٧ .

٥. زعزعة معنويات المسلمين والحرص على فتنتهم، قال تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [التوبة:٤٧] .

فهذه بعض من أعمالهم التي يفسدون فيها بيئة المسلمين، وينشرون الباطل ويكيدون للإسلام وأهله، فالنفاق يصل إلى الكفر كما ذكر ابن القيم حين قسم أنواع الكفر وعدَّ النوع الخامس هو كفر النفاق[1]، لذلك فإن المنافقين جعل الله لهم عقوبة أخروية وعقوبة دنيوية، أما العقوبة الأخروية فهي في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [التوبة:٦٨]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ [النساء:١٤٥]، أما العقوبة الدنيوية؛ فإني أرجئ الحديث عنها إلى ما بعد الحديث عن الزندقة، لتداخلهما في الأحكام.

٢. الزندقة:

يطلق وصف الزنادقة على الثنوية المجوس، وهو لفظ معرب[2]، وقد ظهر هذا اللفظ بعد أن كثرت الأعاجم بين المسلمين[3]، وهو لفظ لم يرد في الكتاب ولا في السنة، وقد تم تفسير هذا اللفظ بمعانٍ متعددة: فالزنديق هو الذي لا يتمسك بشريعة الله، ويقول بدوام الدهر، والعرب تعبر

---

١ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **مدارج السالكين**، بين إياك نعبد وإياك نستعين، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥م، ج١، ص٢٧٥.

٢ الجوهري، اسماعيل بن حماد ت(٣٩٣) هـ، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م، ج٤، ص١٤٨٩، باب القاف فصل الزاي.

٣ الفتاوى، ابن تيمية، مرجع سابق، ج٧، ص٤٧١.

عــن هــذا بقــولهم ملحــد، أي طــاعنٌ فــي الأديــان[١]، وسـئل الإمــام مالــك عــن الزندقــة فقــال: " ما كان عليه المنافقون في عهد رسول الله ﷺ من إظهار الإيمان وكتمان الكفر هو الزندقة عندنا اليوم"[٢].

فالزندقة والزنادقة لهم أصلٌ ثابتٌ تفرعوا منه، أما أصلهم فهو التكذيب بالقدر[٣]، ثم تفرع عن ذلك أقوالٌ كفرية مثل الحلول، وتأليه البشر، والتشبيه، وإنكار النبوة[٤].

لذا فإن مضار الزندقة على المجتمع كثيرة، وهي ضالة مضلة تغري ضعاف النفوس للوقوع في المعاصي، وتغرقهم في الشهوات، وهذا مآله إلى اضطراب المجتمع في عقائده وانحرافه عن الصراط المستقيم.

عقوبة النفاق والزندقة:

مما سبق يظهر جلياً التداخل في معنى المنافق والزنديق، وكذلك يظهر خطرهما على عقيدة المسلمين، بإبطانهم الكفر و ادعاء الإسلام و اعتناقهم لعقائد فاسدة، ومن ثم محاربة الإسلام والكيد للمسلمين من الباطن، فالمنافق والزنديق كلاهما مريض القلب، يتربص بالمسلمين الدوائر، وكلاهما ضال في عقيدته وعلمه وعمله، وضررهما متعدٍّ للمحيطين، وإفسادهما كبير، لذا فإن الشريعة الإسلامية أوجدت عقوبات لكلا الطرفين بما يردعهما عن الإساءة للإسلام والمسلمين، و استخدام لفظ منافق أولى من لفظ الزنديق، لأن النفاق ورد في كتاب الله وسنة النبي ﷺ وهو أعمُّ وأشمل وأولى بالاستخدام، فلا يعدل عن اللفظ الشرعي إلى غيره.

---

١ الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي ت (٧٧٠) هـ ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، دار القلم بيروت ، ج١ ، ص ٣٤٩ ، الزاي مع النون و ما يثلثهما .

٢ ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (ت٤٦٥هـ)، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، بدون تاريخ، ج١٠، ص١٥٤.

٣ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن أبي الحسن، (ت٥٩٧هـ) **الموضوعات**، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ، ج١، ص٢٧٤ .

٤ البغدادي، عبد القاهر بن طاهر (ت٤٢٩هـ)، **الفرق بين الفِرَق**، مكتبة ابن سينا، بدون تاريخ، ص٢٠٢، حيث عنون بـ الفرق التي انتسبت إلى الإسلام وليست منه.

والمنافق – وكذلك الزنديق – المستتر الذي لا يُعرف حاله تجري عليها أحكام الإسلام في الدنيا، ما لم يعرف ويكشف باطنه[١].

والمنافق والزنديق إذا شك في أمرهما فالأولى الإعراض عنهم، لقوله تعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [التوبة:٩٥]، فالإعراض عنهما وهجرهما هو السبيل لتقليل خطرهما واتصالهما بمن حولهما فهذا الإعراض مانعٌ من انتشارِ أفكارهما وضلالهما، وإذا ظهر باطنهما، وأظهرها فساد عقيدتهما، فالقول في ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [التوبة:٧٣]، فالإغلاظ عليهما بإظهار خطورة أفعالهما وعظيم خطرهما على الجماعة الإسلامية.

وقد سبق قول الإمام مالك و ابن تيمية بأن الزنديق هو المنافق، فإذا أظهرا الكفر فإن حكم الزنديق هو حكم المنافق، وهو أن يُقتل إذا نطق بكلمة الكفر أو وجد منه مُكفر وقامت عليه البينة ولم يتب قبل الاطلاع عليه[٢]، وتوبته لا تُقبل[٣]، وكأنه لا يقر بكفر بل يبطنه فلا يوجد ما يستتاب عليه، وقد أُتِيَ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بزنادقة فحرقهم[٤]، وقد كان الخليفة المهدي[٥] شديداً على الزنادقة، فقد تتبعهم في سائر البلاد، وسجنهم وقتلهم صبراً بين يديه[٦]، بل إنه أوصى ابنه بتتبع الزنادقة وقتلهم صلباً على الخشب[٧].

---

١ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **الإيمان الأوسط**، دار طيبة للنشر، ط١، (١٤٢٢هـ) ص١٦٧.

٢ الموسوعة الفقهية الكويتية، مرجع سابق، ج١، ص٢٢، نقلاً عن حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد الدسوقي (ت١٢٣٠هـ) ج٢، ص٣٠٦.

٣ هذا قول الإمام مالك ويحكى عن الإمام أحمد، أنظر النووي، يحيى بن شرف الدين ، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** ، دار المعرفة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ترقيم خليل مأمون شيحا ، ج١، ص١٥٦، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله.

٤ صحيح البخاري، مرجع سابق، حديث رقم (٦٩٢٢)، ج٩، ص١٥، كتاب استتابة المرتد، باب حكم المرتد.

٥ المهدي، الخليفة، أبو عبد الله محمد بن منصور، ولاه أبوه طبرستان، قرأ العلم وتأدب وتميز، أُثني عليه بالشجاعة، فقال: لم لا أكون شجاعاً؟ وما خفت أحداً إلا الله، تولى الخلافة في سنة (٧٧٥)هـ ، كتب إلى أهل الأمصار يزجر أن يتكلم أحدٌ من أهل الأهواء بشي،، ولما رفع أهل البدع رؤوسهم وأخذوا في الجدل، أمر المهدي عندها بمنع الناس من الكلام وأن يخاض فيه، توفي سنة (٧٨٥) هـ أنظر ترجمته، **سير أعلام النبلاء**، ابن حجر ، مرجع سابق، ج٧، ص٤٠٠. بتصرف يسير .

٦ ابن كثير اسماعيل بن كثير القرشي، **البداية والنهاية**، دار ابن الجوزي القاهرة، ط٢ ، ٢٠١٠، ج٥، ص١٩١، أحداث سنة ١٦٧هـ.

٧ الطبري، محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، **تاريخ الأمم والملوك**، دار الكتب العلمية، ط١ ، ١٤٠٧هـ، ج٤، ص٦١٢.

فالإسلام يحافظ على بيئة المكلف العقدية من أخطار الزنادقة والمنافقين، ابتداءً من الإعراض عنهم، إلى التغليظ عليهم، إلى قتلهم واستئصالهم من المجتمع خوفاً من ضررهم على المسلمين.

ما سبق كان بيان كيفية محافظة الإسلام على بيئة المكلف العقدية بتشريع العقوبات الرادعة المؤدبة للمنحرفين والرادعة الزاجرة لضعاف النفوس عن الانزلاق في الانحراف بما يصدع نسيج المجتمع الإسلامي.

فالردة بأسبابها المتنوعة، والفسق والنفاق والزندقة هي أخطر الأمراض العقدية على المسلمين، - وهذا لا يعني عدم وجود غيرها – ولكن ذكرت هذه بالذات لعظيم خطرها على الفرد والجماعة، وكذلك لأن كل واحدة منها يندرج تحتها الكثير من الجزئيات والتطبيقات، وليس الغرض تتبعها هنا بل الغرض من ذكر هذه الأربعة هو إظهار العقوبات التي أوجدها الإسلام لصيانة عقائد المسلمين عن تخليط المغرضين.

مواقف أخرى:

فسنة النبي ﷺ مليئة بالمواقف التي تظهر عناية رسول الله ﷺ بمحيط وبيئة المسلمين؛ فكان ﷺ لا يلحظ خللاً عقدياً مهما كان صغيراً إلا ويتداركه بالتصحيح والإرشاد.
- فهذا أبو هريرة كان اسمه في الجاهلية عبد شمس، فبدله رسول الله ﷺ إلى عبد الرحمن، ولم يترك رسول الله ﷺ اسمه ليُعبد لغير الله عز وجل، وكذلك الحال مع عبد الرحمن بن أبي بكر، فقد كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة، فأبدله رسول الله عليه الصلاة والسلام بعبد الرحمن[١].

- وهذا البراء بن عازب يقول آمنت برسولك الذي أرسلت، فيصحح له رسول الله ﷺ ويقول بل قل: أمنت بنبيك الذي أرسلت[٢]، فلم يقبل رسول الله ﷺ من البراء بن عازب أن يبدل كلمة واحدة فصحح للبراء حفظه، و ما هذا إلا لحرص رسول الله ﷺ على أ، لا ينقل عنه أي لفظ لا يرتضيه مهما كان هذا اللفظ قريباً.

١ الطويل، عبد الله بن ابراهيم، **الصحابة الذين غيَّر النبي** ﷺ **أسماءهم**، جامعة الملك سعود، ط٣، ١٤٢٧، حيث جمع المؤلف في كتابه أسماء العديد من الصحابة الذين كانت أسماؤهم معبدةٌ لغير الله فغيرها رسول الله ﷺ
٢ صحيح مسلم ، مرجع سابق ، كتاب الذكر و الدعاء و التوبة و الاستغفار ، باب ما يقال عند النوم و أخذ المضجع ، حديث رقم ٢٧١٠ ، ج٤ ، ص٢٠٨١

- ويعيب القرآن الكريم على المشركين عنادهم، ويذم ما تذرعوا به، وتحججوا ليبرروا كفرهم، فقد أكثر المشركون من ذكر أن سبب كفرهم أنهم لا يريدون أن يخالفوا آبائهم و لا أسلافهم، فيعيب القرآن الكريم عليهم هذه الحجة ويصف آباءهم بأوصاف تدل على عميق جهلهم فلماذا تتبعونهم؟! ومن هذه الأوصاف: لا يعقلون، لا يهتدون (البقرة١٧٠)، لا يعلمون (المائدة١٠٤)، في ضلال مبين (الأنبياء٥٤).

فالتذرع بالآباء – مع عميق قدرهم واحترامهم – أمرٌ لا تقبله الشريعة الإسلامية، وليس بعذر ولا حجة ليبقى المرء على الكفر وعلى غير الهدى والإيمان، وهو سبب لاستمرار العقائد الفاسدة بحجة الآباء.

المبحث الثاني: عناية الخلفاء الراشدين ببيئة المكلفين العقدية

بعد وفاة رسول الله ﷺ في السنة الحادية عشرة للهجرة انتهى عهد النبوة، وبدأ عهد الخلافة، وانتهت قيادة الأمة النبوية الموحى بها من عند الله، وبدأت قيادة جديدة على منهج النبوة عُرفت بعهد (الخلفاء الراشدون)، وهذا العهد كان قريب الصلة بالوحي وبرسول الله ﷺ، لذا كان جيلاً مملوءاً بالإيمان، ومرتقياً على أعلى درجات الإحسان، شهد لهم رسول الله ﷺ بأنهم خير الأزمنة والقرون فقال: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته)[1]، وما كان لهم هذا الفضل إلا لشرف صحبتهم لرسول الله ﷺ وعظيم أجرهم عند الله عز وجل، وقال ﷺ :(...فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهِم ولا نصيفه)[2].

وشهد رسول الله ﷺ لمن خلَفَه من أصحابه بأنهم على منهاج النبوَّة فقال ﷺ: (... فعليكم بما عرفتم من سُنتي وسُنة الخلفاء الراشدين المهديين)[3]. لذا كانت الخلافة الراشدة تطبيقاً قريباً ومباشراً لمنهج رسول الله ﷺ، فكان جيلاً نبوياً وقرآنياً فريداً[4]، تربى على منهج الوحي وفي مدرسة رسول الله ﷺ، فكما صان رسول الله ﷺ بيئة المكلفين من التخليط والتشويش كذلك سعى خلفاؤه من بعده فصانوا بيئة و محيط المكلفين، وأوجدوا لهم بيئة عقدية سليمة، حفظوها من كل دسيسة أو شائبة قد تفتن المسلمين في عقائدهم، وكل خليفة من الخلفاء الأربعة كان له دور كبير في الحفاظ على نقاء العقيدة الإسلامية وسلامتها من الأفكار الدخيلة الوافدة، وفي الآتي بيان دور كل خليفة من الخلفاء الراشدين الأربعة في الحفاظ على بيئة المكلفين العقدية.

---

١ صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور أن شهد، ج٣، ص١٧١، حديث رقم (٢٦٥١).

٢ صحيح البخاري، المرجع السابق، كتاب أصحاب النبي □ ، باب لو كنت متخذاً خليلاً، ج٥، ص٨، حديث رقم (٣٦٧٣).

٣ مسند أحمد بن حنبل، حديث العرباض بن سارية، ج٢٨، ص٣٧٦، حديث رقم (١٧١٤٢) قال المحقق: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

٤ قطب، سيد قطب، **معالم في الطريق**، دار الشروق، ط٦ ١٩٧٩، منشورات وزارة المعارف والمكتبات المدرسية في المملكة العربية السعودية، ص١١ .

المطلب الأول: أبو بكر الصدِّيق: الخليفة الأول لرسول الله ﷺ

هو صاحب رسول الله ﷺ الأول، وتلميذه النجيب، رافق رسول الله ﷺ منذ بداية الدعوة إلى أن توفي ﷺ، لذا فقد كان أكثر الناس فهماً للكتاب والسنة، وأعمقهم إيماناً، ويكفي قوله تعالى﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة:٤٠] يكفي هذه الشهادة من رب العالمين للصدّيق، بأنه صاحب رسول الله وأن الله معه.

وما أن توفي ﷺ حتى دخلت الأمة في مرحلة جديدة وتعرضت لحوادث عظيمة، كانت هذه الحوادث كافية لأن تفتن الناس عن دينهم، وكافية لشرخ الدولة الإسلامية الحديثة، ولولا أن قيّض الله الصدّيق لهذه المرحلة، لانتهكت بيضة الإسلام، لكن الصدِّيق بفضل من الله كان خير خليفة وخير من يواجه هذه الطوام، فأعز الله به الإسلام، وثبَّت أركانه في البلاد في سنتين وهي كل مدة حكمه.

أما الأعمال التي قام بها أبو بكر الصديق في الحفاظ البيئة العقدية للمكلفين فكانت على النحو الآتي:

اولا - إخراج المسلمين من صدمة وفاة رسول الله ﷺ: لقد كانت وفاة الرسول ﷺ أعظم مصيبة دخلت على المسلمين، وكانت فوق ما يتحمله كثيرٌ من عقول المسلمين، لذا فإن من المسلمين من دعا على نفسه بالهلاك، ومنهم من دعا على نفسه بالعمى، ومنهم من عجز عن الكلام[١]، والفاروق على عظيم عقله وإيمانه إلا أنه في تلك الساعة لم يستطع أن يتقبل أن رسول الله ﷺ قد مات فأخذ يقول: (والله ما مات رسول الله ﷺ... والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله) [٢]، فالفاروق على عظيم إيمانه، لم يكن ليتقبل خبر وفاة رسول الله ﷺ في أول الأمر، وأخذ يحلف بين الناس أن الله تعالى سوف يبعث رسوله محمداً ﷺ، فوفاة رسول الله هي

١ ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد ت (٧٩٥)هـ ، **لطائف المعارف**، دار ابن كثير، ط٧، ٢٠٠٣م، ص٢١٣.
٢ صحيح البخاري مرجع سابق، كتاب أصحاب النبي ﷺ باب قوله ﷺ (لو كنت متخذاً خليلاً) حديث رقم (٣٦٦٧) ج٥، ص٦ .

قاصمة الظهر[١]، فقد انقطع الوحي، و انتهت النبوة، وكانت بداية ظهور الشر[٢]، فكان الأمر جللاً، واحتاج إلى شجاعة عظيمة، وقيادة حكيمة، ليخرج الناس من صدمة وفاة رسول الله ﷺ، وأوفر الناس شجاعة بعد رسول الله ﷺ كانت في الصدّيق[٣]، فتصدى لهذا الموقف وذكّر الناس بعقائدهم في رسول الله ﷺ، وأنه بشر وليس من صفاته الخلد فقال الصدّيق: (ألا مَنْ كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت)، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٤٤]) فَنَشَجَ الناسُ يبكون[٤].

لقد كان خبر وفاة رسول الله ﷺ فتنة لكثير من الناس، ولشدة حبهم لرسول الله ﷺ كان بعضهم يظن أن رسول الله لا يموت أو كأنه لم يسمع بقوله تعالى: : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر:٣٠]، أو أن يعتقد بعضهم أن رسول الله ﷺ سوف يرجع وأنه قد غاب كما غاب سيدنا موسى عليه السلام عن قومه، وكل هذه عقائد باطلة، لم يتركها الصدّيق لتنتشر أو تذاع بين المسلمين، فوقف بهم خطيباً، يقرر عقيدة المسلمين في رسول الله، بأنه بشر يموت كباقي البشر، وأنه لا خلود له ولا رجعة، فحفظ رحمه للمسلمين عقائدهم ووحدتهم.

ثانياً. قتال الصديق للمتنبئين في زمن خلافته:

في آخر عهد النبوة وقبل وفاة الرسول ﷺ بفترة وجيزة ظهر عدد من المتنبئين، الذين ادّعوا النبوة، وكان لهم تأثير بالغ على أهل الجزيرة العربية، منهم من تنبأ وقُتل في حياة رسول الله ﷺ مثل الأسود العنسي وإن كان أثر ضلاله قد بقي بعد قتله، ومنهم من استطار خبره وعم

---

١ ابن عربي المالكي، محمد بن عبد الله المالكي (ت٥٤٣هـ)، **العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي**ﷺ ، (تحقيق محب الدين الخطيب ومحمود مهدي الاستانبولي)، دار الجيل بيروت، ط٢، ١٩٨٧م، ص٥٤.

٢ القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، (تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش) دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٦٤م، ج٢، ص١٧٦ .

٣ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **منهاج السنة النبوية**، مؤسسة قرطبة، ط١، ج٨، ص٦٢.

٤ صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٥، ص٦ .

شره مثل مسيلمة الكذاب[١]، وزوجته سجاح[٢]، ومنهم من ارتد وتنبأ ثم عاد إلى الإسلام مثل طليحة الأسدي[٣].

أما أكثر المتنبئين خطراً على المسلمين فقد كان مسيلمة الكذاب يسمى كذّاب بني حنيفة، افترى على عقائد المسلمين، ونصَّب نفسه نبياً وادعى الوحي، وصاغ حروفاً يضاهي بها كتاب الله بزعمه، وأضاف على كل ذلك حرب المسلمين وقتالهم.. وقد كانت فتنته بدأت في أواخر عهد النبوة، حين أرسل مسيلمة كتاباً إلى رسول الله ﷺ يخبره أنه قد اشترك معه في النبوّة. فرد عليه رسول الله ﷺ: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)[٤]، وقد كان رسول الله ﷺ قد حذر من فتنته وبشر بزوالها فقال عليه الصلاة والسلام: بينما أنا نائم، رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما، فأوحي إلي في المنام: أن انفخهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما كذابين، يخرجان بعدي " فكان أحدهما العنسي، والآخر مسيلمة الكذاب، صاحب اليمامة) [٥].

ولقد كان مسيلمة على قوة كبيرة وعتاد كثير حتى إن المسلمين من بني حنيفة لم يكونوا يجرؤون على الإعلان عن التزامهم وتمسكهم بالإسلام، فكان من أراد أن يلحق بالمسلمين لا يجرؤ على ذلك – خوفاً من مسيلمة – إلا في ظلام الليل ومن هؤلاء ثمامة بن أثال، الذي التحق بجيش المسلمين بعد أن هرب ليلاً من مسيلمة[٦]، وكان من ثبتوا على دينهم من بني حنيفة يسايرون

---

١ مسيلمة الكذاب: مسيلمة بن ثمامة بن كبير، متنبئ، من المعمرين، ولد في اليمامة وعرف برحمن اليمامة، كان يكثر من وضع أسجاع يضاهي بها القرآن، توفي رسول الله ﷺ قبل القضاء على فتنة مسيلمة فقاتله الصدّيق، وسلط عليه خالد بن الوليد، فقتله في سنة ١٢هـ، أنظر ترجمة الزركلي ، الأعلام ، ج٧، ص٢٢٦.

٢ سجاح بنت الحارث بن سويد، أم صادر، متنبئة، كانت شاعرة عارفة بالأخبار، كان لها علم بالكتاب أخذته من النصارى، تزوجها مسيلمة، ثم بعد مقتله أسلمت وهاجرت على البصرة وتوفيت فيها، وصلى عليها سمرة بن جندب، الأعلام للزركلي، مرجع سابق، ج٣، ص٧٨.

٣ طليحة الأسدي، من أسد، متنبئ شجاع، من القصماء، يقال له طليحة الكذاب كان أشجع العرب يعد بألف فارس، أسلم ثم ارتد وادعى النبوة في حياة رسول الله ﷺ كان له أتباع من أسد وغطفان وطيء، كان يقول أن جبريل يأتيه، غزاه الصديق وسير إليه خالد بن الوليد فانهزم طليحة إلى بذاخة بأرض نجد، ثم فر إلى الشام ثم أسلم وخرج مع الفتوحات الإسلامية واستشهد بنهاوند، أنظر الكامل في التاريخ، المرجع السابق، ج٣، ص٢٠٦، و الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق، ج٣، ص٢٣٠.

٤ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت٤٥٨هـ) **دلائل النبوة**، دار الكتب العلمية، ط١ ، ١٩٨٨م، ج٥، ص٣٣١ .

٥ صحيح البخاري، مرجع ساق ، ج٤، ص٢٣، حديث رقم ٣٦٢١، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام

٦ الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ)، **كتاب الردة**، (تحقيق: يحيى الجبوري) دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٠، ص١١٧.

مسيلمة خوفاً على أنفسهم وأموالهم وأولادهم[١]، فقد كان عدد بني حنيفة ما يقرب من الأربعين ألفاً[٢]، قد انقسموا إلى كافرٍ مفتون ومؤمن مغبون وشاكٍّ مغموم[٣].

إن ترك مسيلمة يعبث بعقائد المسلمين، ويحرف القرآن الكريم فهذا من أعظم الأخطار على العقائد وعلى دولة الإسلام، فما كان من الصدّيق إلا أن سيّر خالد بن الوليد لهذا الأفّاك، وقد وصى الصديق خالداً بأن ينكّل بمسيلمة وأتباعه فقال: (... و احمل أسيرهم على السيف، وهوِّل فيهم القتل، واحرقهم بالنار) [٤]، وقد قتل مسيلمة كثيراً من المسلمين الصابرين على دينهم صبراً مثل برد بن حارثة اليَشكري وابنه شبيب[٥].

وقَتَلَ كذلك رسولَ رسولِ الله ﷺ (حبيب بن زيد) [٦] فكان مسيلمة فتنة للناس في عقائدهم ودمائهم، لذلك أمر الصدّيق خالد بن الوليد أن ينكّل بمسيلمة وأتباعه فكانت بينهم معركة اليمامة التي قُتل بها مسيلمة سنة (١١ هـ).

لقد استشهد من المسلمين في معركة اليمامة ستمئة أو خمسمائة ومن جيش مسيلمة قتل قيل عشرة أو إحدى وعشرون ألفاً[٧]، و استشهد أيضا عددٌ كبيرٌ من حفظة القرآن الكريم، الأمر الذي كان سبباً في جمعت القرآن الكريم و حفظها في بيت حفصة أم المؤمنين.

لم يكن يفعل مسيلمة الكذاب مجرد ردَّة، بل كانت حرباً على الإسلام والمسلمين، جاءت في وقت عصيب حين توفي رسول الله ﷺ ، وكانت نفوس المسلمين البعيدين عن المدينة ما زالت رقيقة وإيمانهم ضعيفاً، لذا كان أثر مسيلمة فيهم كبيراً، ولو ترك مسيلمة لأفسد على الناس دينهم، لكن الله عز وجل قد قيَّض له الصدّيق فردَّ كيد مسيلمة، ونصر العقيدة، وردع وزجر أيدي العابثين.

---

١ المرجع السابق ص١١٩.
٢ الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، **تاريخ الأمم والملوك**، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١، ١٤٠٧، ج٢، ص٢٧٥.
٣ العسقلاني، أحمد بن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة** (تحقيق: عبد المحسن التركي) بدون تاريخ أو طبعة، ج٥، ص٢٩٢ ترجمة رقم (٤١٢٥)، ترجمة صهبان بن شمر.
٤ الصلابي، علي محمد، **الانشراح و رفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق ، شخصيته و عصره**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٢م، ص٢٦٧.
٥ أنظر الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر ،مرجع سابق ، ج١، ص٦٢٧، ترجمة رقم (٧٦٧).
٦ أنظر : سيرة ابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٦٥ .
٧ أنظر : البداية والنهاية، ابن كثير، مرجع سابق، المجلد الرابع، ج٧، ص٩٣.

ثالثاً. حفاظ الصدّيق على عقائد المسلمين من خلال محاربة المرتدين بعد وفاة رسول الله ﷺ:

لقد انتشرت الردَّة في الجزيرة العربية بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وأصبح للمرتدين شوكة وسلطاناً حتى إنهم حاولوا الهجوم على المدينة النبوية، فصدهم الصدّيق بجيش المسلمين[١]، فكان خطرهم أولاً على مدينة رسول الله موطن الوحي والرسالة، وثانياً: أنهم – إن لم يجدوا رادعاً – سوف يكونون سبباً في تجرؤ باقي القبائل على الردة والتمرد، فاستشعر الصدّيق ﷺ هذا الخطر، فتجرد رحمه الله ورضي عنه لقتال المرتدين ودفع كيدهم و أذاهم، ولقد جَنَّدَ لهذه المهمة أحد عشر جيشاً[٢]، وزعهم على سائر مناطق الجزيرة العربية، محاولاً بذلك، ترسيخ العقيدة ورد الاعتداء، وقد كان سبب كثرة هذه الجيوش هو تعدد مواطن الردَّة في جزيرة العرب، يقول ابن كثير: (ما خلا أهل المسجدين، مكة، والمدينة، وارتدت أسد وغطفان وعليهم طليحة بن خويلد الاسدي الكاهن، وارتدت كندة ومن يليها، وعليهم الاشعث بن قيس الكندي، وارتدت مذحج ومن يليها، وعليهم الاسود بن كعب العنسي الكاهن، وارتدت ربيعة مع المعرور بن النعمان بن المنذر، وكانت حنيفة مقيمة على أمرها مع مسيلمة بن حبيب الكذاب وارتدت سليم مع الفجأة، واسمه أنس بن عبد يا ليل، وارتدت بنو تميم مع سجاح الكاهنة) [٣]، لذا عزم الصديق على حرب المرتدين، وهو ﷺ لم يكن يقاتل فقط القبائل ورجالاتها، بل كان يقاتل الأفكار الدخيلة التي أدت إلى ردة القبائل، مثل العصبية القبلية، وسوء فهم نصوص الوحي، فيما يتعلق بالزكاة وبالنبوة.

فحروب الردة كانت أيضا حرباً على كل مسألة نابتة أدت إلى ردّة، لذا فإن الصديق في رسائله التي يبعثها مع جنوده كانت تحوي أفكاراً عقدية يصحح بها أفهام المرتدين، مثل التذكير بعبادة الله لا عبادة نبيه محمد ﷺ ، والوصية بالإقامة على الدين ولزوم سنة رسول الله ﷺ ، والاعتصام بالقرآن الكريم، وتذكيرهم بعقوبة الآخرة[٤].

وقد تعددت أسباب قتال الصدّيق للقبائل في جزيرة العرب:

١. فمنهم من ترك الإسلام وعاد إلى الوثنية.

٢. ومنهم من أدى الصلاة ومنع الزكاة.

٣. ومنهم المتردد ينتظر نتائج الصراع لينظر لمن تكون الغلبة.

٤. ومنهم من اتبع أحد المتنبئين.

---

١ البداية والنهاية مرجع سابق، المجلد الرابع، ج٥، ص٨٢، فصل في تصدي الصدّيق لقتال أهل الردة ومانعي الزكاة.

٢ المرجع السابق، ص٨٣، ذكر خروجه إلى ذي القصة حين عقد ألوية الأمراء الأحد عشر.

٣ البداية والنهاية، ابن كثير، مرجع سابق، المجلد الرابع، ج٥، ص٨٢ باختصار.

٤ أنظر كامل وصيته ورسائله في تاريخ الأمم والملوك للطبري، مرجع سابق ج٢، ص٢٥٨.

وبغض النظر عن أسباب الردة، فإنها فتنة عظيمة، تسلطت على عقائد المسلمين، وأريقت بها الدماء الزكية من الصحابة الأطهار، ولو تركها الصدِّيق دون قتال لكانت حرباً على الإسلام، وفتنة لضعاف الإيمان.

فالصدِّيق حافظ بهذه الحروب على قوة الروح الإسلامية في نفوس المسلمين، ومنعهم من الضعف والتخاذل، حتى قيل إن الله نصر الدين بثلاثة أولهم أبو بكر الصديق في زمن الردَّة[١].

المطلب الثاني: حفاظ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على البيئة العقدية للمكلفين

الفاروق عمر بن الخطاب، الذي بإسلامه فَرَّق الله به بين الحق والباطل تربى في مدرسة رسول الله ﷺ، وتَشَربَ أصولها وفروعها، وكان محدثاً[٢]، يرى ويقرأ في مجتمع المسلمين ما لا يراه و يقرؤه غيره، وفي خلافته صان بيئة المسلمين من الأفكار الدخيلة عليهم، واستشعر خطرها، فكان رحمه الله حارساً للتوحيد وحامياً لعقيدة المسلمين في مواقف عديدة فكان صحابياً بفكر نبي[٣] رضي الله عنه و ارضاه.

---

١ البداية والنهاية، ابن كثير ، مرجع سابق، المجلد السادس، ج ١١، ص٤٠.

٢ من قوله صلى الله عليه وسلم: لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب حديث رقم ٣٦٨٩، ومحدث: يفتح الدال هو الملهم أو الرجل صادق الظن، أنظر: فتح الباري، مرجع سابق، ج٧ صفحة ٦٤ شرح حديث ٣٦٨٩ السابق.

٣ وهي من قوله صلى الله عليه وسلم: لو كان من بعدي نبي لكن عمر بن الخطاب أنظر مسند أحمد بن حنبل، أحاديث عقبة بن عامر الجهني حديث رقم ١٧٤٠٥ ج٢٨ صفحة ٦٢٤ قال الشيخ شعيب: إسناده حسن، وقال الألباني: صحيح.

أولاً: منع كعب الأحبار[١] من التحديث:

جاء في تاريخ ابي زرعة الرازي[٢] عن السائب بن يزيد قال: ((سمعت عمر بن الخطاب يقول لكعب الأحبار: لتتركن الأحاديث أو لألحقنك بأرض القردة))[٣].

لقد كان كعب الأحبار عالماً بما في التوراة، وكان يبث ذلك بين المسلمين بل إن المسلمين كانوا يسألونه عما في التوراة من أعاجيب حتى قال لهم ابن عباس: " كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله، محضا لم يشب، وقد حدثكم الله: أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا، فكتبوا بأيديهم الكتب، قالوا: هو من عند الله ليشتروا بذلك ثمنا قليلا، أولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ فلا والله، ما رأينا رجلا منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم "[٤].

فهذا نهي للمسلمين من حبر الأمة ابن عباس من أن يأخذوا شيئاً أو أن يسألوا أهل الكتاب عن كتبهم. وسبب نهي ابن عباس السابق وكذلك تحذير الفاروق لكعب الأحبار هو ما جاء في ترجمة كعب الأحبار بأنه كان يخبر الصحابة بالأعاجيب والغرائب وترك من ذلك الكثير خاصة في التفسير[٥].

وقد انتشرت أقوال كعب الأحبار بين المسلمين، وأراد الفاروق أن لا يتعلق أحد بغير كتاب الله وسنة نبيه فقال: ((إن حديثكم شر الحديث، وإن كلامكم شر الكلام، فإنكم قد حدثتم الناس، حتى قيل: قال فلان، وقال فلان، ويترك كتاب الله من كان منكم قائماً فليقم بكتاب الله وإلا فليجلس))[٦].

---

١ كعب الاحبار: هو كعب بن مانع الحميري اليماني، العلامة الحبر، كان يهودياً فأسلم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قدم إلى المدينة في زمن عمر بن الخطاب وكان يحدث الصحابة بالإسرائيليات ويحفظ العجائب، ويأخذ السنن عن الصحابة وكان حسن الإسلام، متين الديانة من نبلاء العلماء، كان خبيراً بكتب اليهود، غزا مع الصحابة، وتوفي في حمص في أواخر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، أنظر ترجمته: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج٣ صفحة ٤٩١.

٢ أبو زرعة الدمشقي عبد الرحمن بن عمرو، الشيخ، الإمام، الصادق، محدث الشام أبو زرعة، جمع وصنف و ذاكر الحفاظ وتميز وتقدم على أقرانه لمعرفته وعلو إسناده مات سنة ٢٨١ هـ وعمره ثمانون سنة، أنظر سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، صفحة ٣١١ وما بعدها، أنظر: أبو زرعة، عبد الرحمن بن عمرو ت ٢٨١، التاريخ، دار الكتاب العلمية ط١، ١٩٩٦م ص ٢٧٠.

٣ قال الشيخ شعيب الأرناؤوط، في سير أعلام النبلاء ج٢ صفحة ٦٠١: إسناده صحيح.

٤ صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ لا تسألوا أهل الكتاب رقم ٧٥٢٣ ج٩ صفحة ١٥٣.

٥ أنظر: الياس، خليل إسماعيل، كعب الأحبار وأثره في التفسير،، رسالة دكتوراه، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٧م.

٦ ابو زرعة، عبدالرحمن بن عمرو بن عبدالله ت ٢٨١هـ، تاريخ ابي زرعة الدمشقي،، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٩٦ م، فقرة ١٤٧٠ صفحة ٢٦٩.

فهذا رأي الفاروق بالإسرائيليات، وهذا حرصه على عقائد المسلمين وقد استمد الفاروق هذا الموقف من حادثه سابقة تعرض لها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقد أتى الفاروق إلى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ فغضب ﷺ وقال: ((أمتهوكون [1] فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية... والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني))[2].

فكما نهى رسول الله ﷺ الفاروق عن القراءة في كتب أهل الكتاب، كذلك فعل الفاروق في زمن خلافته حيث نهى عن هذه الكتب، و وصفها بأنها شر الحديث وشر الكلام، محافظة منه على عقائد المسلمين من أن يتسرب إليها شيء من ضلالات أهل الكتاب.

ولم يكتف الفاروق بالنهي عن أي كتاب يؤثر على المسلمين وعقائدهم بل إنه أمر بهذه الكتب فحرقها. فعن القاسم بن محمد قال: " إن الأحاديث كثرت على عهد عمر، فناشد الناس أن يأتوه بها، فلما أتوه بها، أمر بتحريقها، ثم قال: مثناة كمثناة أهل الكتاب".[3].

و معنى المثناة جاء في كتاب فضائل القرآن أن عبد الله بن عمرو بن العاص سُئِل عن المثناة؟ فقال: ما استكتب من غير كتاب الله[4].

فهذا دلالة على حرص الفاروق على الفكر العقدي الإسلامي من أن تعلق به شوائب من فكر أهل الكتاب فيكون ذلك سبباً في تضليل وضلال بعض من أبناء الإسلام.

ثانياً: قطع الفاروق الشجرة التي يتوهم أنها شجرة بيعة الرضوان:

﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ الفتح، ففي السنة السادسة للهجرة خرج رسول الله ﷺ قاصداً إلى مكة وقد ساق معه الهدي وأحرم بالعمرة، لكن قريش أبت أن تخلي بين رسول الله ﷺ والمسجد الحرام فارسل

---

[1] متهوكون: من التهوك وهو التحير، أنظر: الصحاح في اللغة تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، ط٤ ١٩٨٧م ج٤ صفحة ١٦١٧، مادة هـ و ك.

[2] مسند أحمد بن حنبل، مرجع سابق، ج٢٣/ ص ٣٤٩ حديث رقم ١٥١٥٦ قال الشيخ شعيب الارناؤوط إسناده ضعيف وقال الألباني حسن أنظر مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي ط٣، ١٩٨٥م، ج١ صفحة ٣٨ حديث رقم ١٧٧.

[3] أنظر سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج٥ صفحة ٥٩.

[4] ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام، فضائل القرآن الكريم، تحقيق أحمد عبد الواحد الخياط، من منشورات وزارة الأوقاف المغربية، بدون تاريخ، ج١ صفحة ٢٥٦ وما بعدها وفيه قال أبو عبيد: أراه يعني: كتب أهل الكتاب التوراة والإنجيل.

ﷺعثمان بن عفان إلى أشراف مكة ليخبرهم بأنه لم يأت قريشاً للحرب وإنَّما جاء معظماً زائراً لبيت الله الحرام.

فاحتبست قريش عثمان بن عفان - رضي الله عنه- عندها، فبلغ رسولﷲﷺ والمسلمون أن عثمان بن عفان قد قتل. فقال صلى الله عليه وسلم: لا نبرح حتى نناجز القوم ؛ و دعا ﷺ الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، على الموت أو على عدم الفرار عند لقاء قريش ثم جاء الخبر إلى رسول ﷲ ﷺ أن الذي ذكر في أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه باطل[١].

ثم إن المسلمين عندما خرجوا في السنة القابلة و لم يتذكروا موقع الشجرة ولم يقدروا على معرفة مكانها[٢]، إلا أن الناس كانوا يأتون إلى الشجرة التي يقال لها شجرة الرضوان فيصلون عندها فبلغ ذلك عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - فأوعدهم فيها ثم أمر بها فقطعت[٣].

فالظاهر أن شجرة بيعة الرضوان قد نسيها المسلمون، إلا أن الناس مع ذلك أخذوا يصلون عند شجرة معتقدين أنها شجرة بيعة الرضوان كأنها المسجد الحرام أو مسجد المدينة، -فما كان من الفاروق إلا أن قطع هذه الشجرة المُتَوهم بها[٤]، وذلك لأن المسلمين أخذوا يظنون أن لها منزلة أو فضلاً فأخذوا يتوجهون إليها ليصلوا عندها، فهذا افتتان لما وقع تحتها من الخير، فلو بقيت لما أمِن تعظيم بعض الجهال لها حتى ربما أفضى بهم إلى اعتقاد أن لها قوة نفع أو ضر لذا أشار ابن عمر بقوله (كانت رحمة من الله) أي كان خفاؤها عليهم بعد ذلك رحمة من الله[٥].

لقد أغلق الفاروق باباً للشر على المسلمين حين قطع تلك الشجرة فالجيل الأول من الصحابة لم يلتفت لهذه الشجرة وكانوا على يقين بأنها مخلوق ضعيف لا يملك نفعاً ولا ضراً،ولكن المسلمين الجدد في عهد الفاروق كانوا يقصدون شجرة أخرى ليصلوا عندها قصداً وكأنها المسجد الحرام أو المسجد النبوي فهذا الأمر لو ترك لجاء جيل يقصد هذه الشجرة ابتغاء نفعها أو خوفاً من ضرها، فكان الفاروق ثاقب البصيرة، وسد الوسائل المؤدية إلى الشرك فقطع الشجرة وحفظ للمسلمين عقائدهم.

---

١ السيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق، ج٣ صفحة ٢٦١ وما بعدها باختصار.

٢ هذا قول سعيد بن المسيب عن أبيه قال سعيد: أبي كان ممن بايع تحت الشجرة قال: فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها. صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٥ صفحة ١٢٤، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية حديث رقم ٤١٦٣.

٣ ابن سعد، محمد بن سعد البصري ت ٢٣٠ هـ، الطبقات الكبرى، دار صادر بيروت، ط١،، ١٩٦٨م ج٢ صفحة ١٠ برقم ١٧٢١، قال القسطلاني إسناده صحيح أنظر: القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٩٢٣ هـ ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ، ج ٦، ص ٣٥٠، حديث رقم ٤١٦٥، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية و قوله تعالى: لقد رضي الله عن المؤمنين.

٤ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل مكتبة الرشد ج٢، صفحة ١١٤.

٥ فتح الباري، مرجع سابق، كتاب الجهاد، باب البيعة على الحرب، ج٦ صفحة ١٤٣.

ثالثاً: قصة صَبْيغ بن عسل التميمي[1]

وهي قصة مشهورة في كتب أهل العلم قد أوردها أبو بكر الآجري في كتابه (الشريعة) بسند صحيح[2] وفيها:

" أن صبيغاً بن عسل وسأل عمر بن الخطاب عن قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١﴾

الذاريات:١؛ فقام إليه عمر و شمر عن ذراعيه فلم يزل يجلد صبيغاً حتى سقطت عمامته ثم قال: ".... احملوه على قتب، ثم أخرجوه حتى تقدموا به بلاده ثم ليقم خطيباً، ثم ليقل: إن صبيغاً طلب العلم فأخطأه "؛ فلم يزل وضيعاً في قومه حتى هلك وكان سيد قومه.

لقد كان فعل الفاروق مع صبيغ إغلاقاً لباب الشر عن المسلمين فقد كان سؤال صبيغ بن عسيل سؤال استشكال لا سؤال استرشاد لأنه كان يسأل عن متشابه القرآن الكريم[3] ولم يكن تعلماً بل كان اعتراضاً وافتتاناً و يدل على ذلك شدة العقوبة التي أوقعها عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، و إلا فإن السؤال عن تفسير آية لا يعتبر ذنباً ليعاقب عليه، و لكنه كان يسأل أسئلةً من شأنها أذا انتشرت أن تفتن المسلمين بعقائدهم، وهذا باب من أبواب الفتن وفق الله عمر بن الخطاب رضي الله عنه في لإغلاقه فكان فعله مع صبيغ رادعاً ومؤدباً، وكان بذلك حامياً لعقائد المسلمين..

رابعاً: مسألة تقبيل الحجر الأسود:

لقد جاء الإسلام ليحارب الوثنية بكل أشكالها، وسد كل المنافذ التي قد يدخل منها الشرك إلى عقائد المسلمين، وقد كان جيل الصحابة عالماً بسنة النبي ﷺ ويميز بين اتباع النبي ﷺ في أوامره وبين ما هو ابتداع في الدين ومن ذلك مسألة تقبيل الحجر الأسود حيث ثبت أن رسول الله ﷺقال: الحجر الأسود من الجنة[3].

فالحجر الأسود نقبله ولا نعبده ولا ونخضع له ولا نذل وما تقبيله إلا اتباع لسنة النبي ﷺ وامتثال لأمره وهذا الفرق الدقيق بين العبادة للحجر الأسود – وهي منهي عنها – وبين اتباع رسول ﷲ ﷺ في الاحتفاء بهذا الحجر عبر عنه الفاروق بمعنى واضح حين قال: " والله إني

---

١ فتح الباري، مرجع سابق، كتاب الجهاد، باب البيعة على الحرب، ج٦ صفحة ١٤٣.

٢الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين الآجري ت ٣٦٠ هـ، الشريعة، تحقيق الوليد بن محمد نبيه مؤسسة قرطبة، ط١، ١٩٩٦، ج١، صفحة ٢١٠ فقرة ١٦٠ أثر ٦٥ وقال أثر عمر صحيح الاسناد، باختصار.

٣ مسند أحمد بن حنبل مرجع سابق، ج٥ صفحة ١٤، حديث رقم ٢٧٩٥، أحاديث عبد الله بن عباس

لأقبلك، وإني أعلم أنك حجر، وأنك لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك"[1].

قال الإمام النووي في شرح الحديث السابق:

" فأراد به بيان الحث على الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في تقبيله، ونبه على أنه لولا الاقتداء به لما فعله، وإنما قال: وإنك لا تضر ولا تنفع؛ لئلا يغتر بعض قريبي العهد بالإسلام الذين كانوا ألفوا عبادة الأحجار وتعظيمها ورجاء نفعها، أو خوف الضرر بالتقصير في تعظيمها، وكان العهد قريبا بذلك، فخاف عمر - رضي الله عنه - أن يراه بعضهم يقبله، ويعتني به، فيشتبه عليه فبين أنه لا يضر ولا ينفع بذاته، وإن كان امتثال ما شرع فيه ينفع بالجزاء والثواب فمعناه أنه لا قدرة له على نفع ولا ضر، وأنه حجر مخلوق كباقي المخلوقات التي لا تضر ولا تنفع وأشاع عمر هذا في الموسم؛ ليشهد في البلدان، ويحفظه عنه أهل الموسم المختلفو الأوطان"[2]، وإن امتثال ما شرع رسول الله ﷺ ينفع بالجزاء والثواب فقط.

لقد كان الفاروق يراعي حال المسلمين الجدد الوافدين إلى مكة للحج أو العمرة، فكان يصحح العقائد ويحارب الخلل والزلل، بل كان يترك بعضاً من السنن خوفاً من أن يظنها الناس من الواجبات عليهم فعن أبي سريحة الغفاري قال: " أدركت أبا بكر وعمر أو رأيت أبا بكر و عمر – رضي الله عنهما – كانا لا يضحيان... كراهية أن يقتدى بهما "[3].

فقد كان الفاروق يعلم أنه قدوة وأن المسلمين ينظرون إلى أفعاله وأقواله لذا كان حريصاً ودقيقاً ومراعياً لحال المسلمين فلا يصدر منه ما يفتن المسلمين في عقائدهم أو عباداتهم، لذا كان يتحرى أكثر الأوقات ازدحاماً بالمسلمين وحضوراً لهم ليعلن الحق في المسائل التي قد تلبس على المسلمين إيمانهم ودينهم.

- وقد أراد الفاروق أن يوحد بلاد المسلمين فلا يترك بها غير المسلمين خوفاً على الجماعة الإسلامية من ضلالات اليهود والنصارى لذا فإنه رحمه الله قد قام بإخراج اليهود والنصارى عملاً بوصية رسول الله ﷺ قبل موته حين قال ﷺ: " لأخرجن اليهود و النصارى من

---

١ صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود حديث رقم ٢٥٠ ج٢، صفحة ٩٢٥

٢ النووي، يحيى بن شرف ت ٦٧٦ هـ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج اعتنى به مأمون خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط١٠، ٢٠٠٤ م، المجلد الخامس، ج التاسع، كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود حديث رقم ٣٠٥٦ صفحة ١٩.

٣ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، نشر مجلس دائرة المعارف النظمية ببلدة حيدر أباد، ط١، ١٣٤٤هـ، ج ٩ صفحة ٢٦٥ برقم ١٩٥٠٧ كتاب الضحايا، باب الاضحية سنة نحب لزومها، وقال الألباني: صحيح، أنظر: الألباني، محمد ناصر الدين، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٥، ج٤ صفحة ٣٥٥ حديث رقم ١١٣٩، كتاب الحجج، باب الأضحية.

جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً"[١]((فأخرج الفاروق اليهود من المدينة وخيبر وينبع واليمامة ومخاليف هذه البلاد[٢]، وأخرج النصارى من نجران حين نقضوا العهد الذي مع الرسول ﷺ[٣]، فقد صالحهم على أن لا يأخذوا الربا، فتركوا الربا ثم عادوا إليه فأخرجهم الفاروق.

وكذلك عمل الفاروق على إيجاد تقويم مستقل للمسلمين يؤرخون فيه لأحداث زمانهم فكان التقويم الهجري؛ فقد جمع الفاروق الناس ليسألهم عن تأريخ كتبه إلى الأمصار فقال بعضهم: أرخ بالمبعث، وبعضهم قال: أرخ بالهجرة، فقال عمر: الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرخوا بها وكان ذلك سنة ١٧ هـ[٤].

فقد جعل رحمه الله الهجرة بداية لتاريخ المسلمين إذ بها – أي بالهجرة – أصبح للمسلمين دولة قائمة ومستقلة عن بلاد الكفر والشرك، وفعل الفاروق هذا يشابه فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جعل الأذان شِعاراً للمسلمين ولم يرض بالناقوس والبوق كحال اليهود والنصارى[٥].

وقد كانت مدة حكم الفاروق عشر سنوات من سنة ١٣ هجرية إلى سنة ٢٣ هجرة، وهي مدة طويلة، ليس الغرض هي تتبع كل الحالات التي حمى بها الفاروق عقائد المسلمين و حرصه على سلامة البيئة الإسلامية من كل داخل مضر. بل الغرض أن حماية فكر المسلمين كان هدفاً للفاروق طبقه خلال فترة حكمه المباركة.

---

١ صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب اخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ج٣، صفحة ١٣٨٨، حديث رقم ٦٣ ١٧٦٧٠.

٢ مجموع الفتاوى، مرجع سابق ج٢٨ صفحة ٦٣١.

٣ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر ت ٧٥١، أحكام اهل الذمة، دار رمادي للنشر ط١٩٩٧،،١ ج ١،ص ٣٨٧،فصل الأمكنة التي يمنع أهل الذمة من دخولها والإقامة بها نقلاً عن المغني لابن قدامة المقدسي مرجع سابق ج١٠ صفحة ٧٠٦ كتاب الجزية، فصل لا يجوز لأهل الكتاب سكنى الحجاز

٤ فتح الباري، مرجع سابق، كتاب مناقب الانصار، باب التاريخ، من أين أرخوا التاريخ، ج ٧، صفحة ٣٣٥.

٥ صحيح البخاري، مرجع سابق، ج١ صفحة ١٢٤، كتاب الأذان، باب بدء الأذان حديث رقم ٦٠٤.

المطلب الثالث: حفاظ أمير المؤمنين عثمان بن عفان على البيئة العقدية للمكلفين

الخليفة الراشدي الثالث، الحَيِّيّ[١]، المبشر بالجنة[٢]، الشهيد[٣]، ذو النورين[٤]، عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه، تولى خلافة المسلمين بعد أن قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب والذي كانت وفاته فتحاً لباب الشر، فبعده كثرت على المسلمين الفتن ولم تفتر بعدها

وكان ذو النورين الخليفة الثالث، وفي عهده كان جمع القرآن بسبب اختلاف الأمصار فيه.

جمع القرآن الكريم:

لقد جمع القرآن أول مرة على عهد الصديق رضي الله عنه، وكان الباعث على ذلك خشية أن يذهب شيء منه بسبب كثرة الشهداء[٥] من قرَّاء القرآن الكريم، فجمعه الصديق بمشورة من الفاروق ووضعت صحائفه في بيت أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها وأرضاها.

وفي عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه، كانت البلاد الإسلامية قد توسعت، ودخل غير العرب في الإسلام، فكانت عجمتهم سبباً في الخلاف بينهم في كتاب الله عز وجل ففي فتح أرمينية التقي جيش العراق وجيش الشام، وكان أهل الشام على قراءة أبي بن كعب وأهل العراق على قراءة عبد الله بن مسعود، فيقع الخلاف بينهم في القراءة حتى يكفر بعضهم بعضاً، فراع ذلك حذيفة بن اليمان- وكان حذيفة يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق -؛ فركب إلى أمير المؤمنين في المدينة ولم يدخل حذيفة إلى بيته بل توجه إلى عثمان بن عفان وشكى له الحال في اختلاف أهل الأمصار في قراءة القرآن[٦].

فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فاستجاب عثمان رضي الله عنه و أحضر الصحف من عند أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها، ثم أوكل إلى أربعة من الصحابة أن ينسخوا المصحف وهم: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها بعد أن قال عثمان لهم -رضي الله عنهم-: إذا اختلفتم مع زيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان

---

١ لقوله صلى الله عليه وسلم أن عثمان رجل حيي، أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عثمان، ج٣، ص ١٨٦٧، حديث رقم ٢٤٠٢.
٢ لقوله صلى الله عليه وسلم لأبي موسى الأشعري أفتح الباب وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فكان عثمان بن عفان على الباب، المرجع السابق، حديث رقم ٢٤٠٣.
٣ لقوله صلى الله عليه وسلم للصخرة التي على حراء: أهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد، المرجع السابق، باب فضائل طلحة والزبير، حديث رقم ٢٤١٧.
٤ صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن حديث رقم ٤٩٨٦ ج٦ صفحة ١٨٣.
٥ قيل سبعمائة أو أكثر أنظر فتح الباري، مرجع سابق، كتاب فضائل القراء باب جمع القرآن حديث رقم ٤٩٨٧ ج٩ صفحة ١٦.
٦ فتح الباري، فضائل القرآن، باب جمع القرآن. ج٩ صفحة ٢٣ وما بعدها حديث رقم ٤٩٨٧

قريش فإنما أنزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد أمير المؤمنين الصحف إلى أم المؤمنين حفصه، و أرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق[١].

إن أعظم مصيبة تدخل على المسلمين أن يصبح كتاب الله لهم مفرقاً بدل أن يكون سبباً للاجتماع، فالخلاف فيه أخطر خلاف وهو موصل للكفر، وقد شاع ذلك بين الناس[٢].

وكما أشار الفاروق على الصديق في الجمع الأول أشار حذيفة على ذي النورين في الجمع الثاني. وقد كان فعل عثمان رضي الله عنه سبباً لقطع الخلاف وإزالة التباغض بين المسلمين في كتاب الله ورحمة لمن بعد من أهل الأمصار. وفعله هذا هو أعظم عمل قام به في خلافته و لا يدانيه أي عمل آخر.

المطلب الرابع: مواقف أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب في الحفاظ على بيئة المكلفين العقدية:

أولاً: تعريف بعلي بن أبي طالب و ظروف توليه للخلافة

١. تعريف بـ علي بن أبي طالب

علي بن أبي طالب، ابن عم رسول الله ﷺ، وزوج ابنته فاطمة رضي الله عنهما، تميز عن باقي الخلفاء الراشدين، بأنه قد تربى في بيت رسول الله ﷺ، فكان رسول الله ﷺ المنبع الرئيس الذي استقى منه عليٌّ في عقيدته وعبادته وأخلاقه.. فقد نشأ في بيت الوحي بين رسول الله ﷺ وخير نساء العالمين[٣] خديجة بنت خويلد، ثم تمَّ الفضل على علي بن أبي طالب حين تزوج بسيدة نساء أهل الجنة فاطمة رضي الله عنها[٤].

---

١ صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٦ ٦ صفحة ١٨٤، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن حديث رقم ٤٩٨٧.

٢ أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، المصاحف، تحقيق: محب الدين عبد السبحان واعظ، دار البشائر الاسلامية ط٢، ٢٠٠٢م ج١ صفحة ٢٠٧ أثر رقم ٨٠ قال محقق الكتاب: إسناده صحيح.

٣ صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ((وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك...)) حديث (٣٤٣٢) ج٤ ص١٦٤

٤ المرجع السابق، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب... منقبة فاطمة رضي الله عنها، ج٥ ص٢٠ حديث رقم (٣٧٦٧).

وفضائل علي بن أبي طالب كثيرة وجليلة، وتعدادها يطول ويكفيه قول رسول الله ﷺ: (عليٌّ في الجنة)[١].

٢. تولي علي بن أبي طالب الخلافة:

لقد تولَّى رحمه الله الخلافة في زمن الفتن، بعد مقتل عثمان بن عفان ، وقد كانت فتنة مقتلهِ مسيطرة على الجماعة الإسلامية وبسببها حصلت الانشقاقات ومن ثم المعارك، وكان الأمر المختَلَفُ عليه أمراً سياسياً في الدرجة الأولى، وهو: هل يُحاسَب قَتَلةُ عثمان أولاً أم يعين الخليفة من بعده؟[٢]

وقد عمل المنافقون والجُهّال على تغذية هذا الأمر، حتى انتهى إلى خلاف بين عليٍ بن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما -، ومن ثم التقى الطرفان بسيفيهما، وتصاعدت الأحداث وظهرت الفِرَق؛ كالخوارج في ذلك الوقت، وانتهى الأمر إلى مقتل علي بن أبي طالب بعد أن حَكَمَ خمس سنوات وثلاثة أشهر أمضاها في صراع مع الباطل وأهله، ونقاش وحوارٍ مع المخالفين على تعدد مشاربهم الفكرية.

وقد بويع رحمه الله بالخلافة سنة (٣٥هـ) وتوفي سنة (٤٠هـ)

ثانياً: حفاظ علي بن أبي طالب على عقائد المسلمين:

على الرغم من أن خلافة علي بن أبي طالب قد امتازت بشدة الاضطرابات وكثرة الفتن؛ إلا أنه رحمه الله لم يألُ جهداً في رعاية المسلمين في شتى مجالات الحياة، وقد أولى عقائد المسلمين رعاية خاصة، فيخطب بهم تارة، و يحاورهم تارةً أخرى، وبثالثة يحارب ويقاتل ليحافظ على نقاء عقائد المسلمين، ومن هذه المواقف:

١. أمره باتباع النبي ﷺ:

فقد كان يأمر المسلمين بلزوم جماعة الإسلام، ويحذر من الابتداع في الدين، ويذكرهم بفضل متابعة رسول الله ﷺ، فقال: (..... فالزموا دينكم، واهدوا بهدي نبيكم ﷺ، واتبعوا سنته،

---

١ جامع الترمذي، مرجع سابق، كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف، حديث رقم (٣٧٤٧، ص٥٨٤، قال الألباني حديث صحيح.

٢ ابن حزم، علي بن أحمد (ت٤٥٦هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنِّحَل، دار الكتب العلمية ط٣، ٢٠٠٧، ج٣، ص٨٥ .

وأعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن، فما عرَّفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه، وارضوا بالله جل وعزّ رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً وبالقرآن حكماً وإماماً) [١].

لقد كانت هذه الوصية الجامعة لمن تجمع مع علي بن أبي طالب، وهو خارج إلى البصرة، وهم خارجون لملاقاة المخالفين لهم، فذكَّر القوم بالله وبكتابه، عصمةً لهم ولدمائهم من الفتن التي سوف يقبلون عليها.

٢. محافظة علي بن أبي طالب على أمر رسول الله ﷺ في تخليص المجتمع الإسلامي من رواسب الجاهلية:

فقد سبق أن علياً بن أبي طالب قد تربى في بيت رسول الله ﷺ، لذا فإنه حفظ منهج رسول الله ﷺوحرص على أوامره حين تولى الخلافة.

ففي عهد النبوة أرسل رسول الله ﷺ علياً إلى المدينة في مهمة خاصة هي تتبع مظاهر الجاهلية وهدمها. يقول علي بن أبي طالب قال رسول الله ﷺ: (أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثنا إلا كسره، ولا قبرا إلا سواه، ولا صورة إلا لطخها؟ " فقال رجل: أنا يا رسول الله. فانطلق، فهاب أهل المدينة، فرجع، فقال علي: أنا أنطلق يا رسول الله. قال: " فانطلق " فانطلق ثم رجع، فقال: يا رسول الله، لم أدع بها وثنا إلا كسرته، ولا قبرا إلا سويته، ولا صورة إلا لطختها. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من عاد لصنعة شيء من هذا، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) [٢].

ثم تولى علي رضي الله عنه وأرضاه الخلافة، بعد وفاة رسول الله ﷺ بربع قرن تقريباً، وأصبحت الأمة مسؤوليته وعقائدها أمانة في عنقه، فما كان منه إلا أن أعاد أمر رسول الله ﷺ فأرسل أبا الهياج الأسدي وقال له: (أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؛ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته) [٣].

فقد استشعر علي بن أبي طالب الأمانة وأدّاها كما حملها، وصان عقائد المسلمين من تعظيم الموتى أو الطواف في القبور ودعائها، وحرص - رحمه الله -أن يجعل القبور للاتعاظ والعبرة لا للعبادة والدعاء، خاصة وأن طوائف جديدة قد دخلت إلى الإسلام، فخشي عليها من الانحراف في

---

١ تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ج٤، ص٤٧٩، أحداث سنة (٣٦هـ)، ذكر الخبر عن مسير علي بين أبي طالب نحو البصرة.

٢ مسند الإمام أحمد بن حنبل، مرجع سابق، ج٢، ص٨٧، حديث رقم (٦٥٧) مسند علي بن أبي طالب.

٣ صحيح مسلم، مرجع سابق، ج٢، ص٦٦٦، كتاب الجنائز، باب تسوية القبور حديث رقم (٩٦٩).

المقابر فصان عقائدها من التخليط ومن أوهام الجاهلية ورواسبها، قال الإمامالنووي" في الحديث أن السنة أن القبر لا يُرفع على الأرض رفعاً كثيراً و لا يسنم بل يرفع نحو شبرا و يسطح"[1].

فأراد الإمام علي أن يُظهِر السنة ويحارب ما تجدد من أمر الجاهلية.

٣. مراعاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لأفهام المكلَّفين:

ففي خلافة علي بن أبي طالب اتسعت الدولة الإسلامية، وكان فيها من لا يعرف العربية أو لا يتقنها، لذا فقد احتاجوا إلى أمرين:

الأول: تبسيط العلوم الشرعية لهم:

لذا فإن علياً أمر أصحاب العلم أن لا يحدثوا الناس بكلامٍ لا تدركه عقولهم وأفهامهم فيكون لبعضهم فتنة[2]، فخاطَبَ الناس وقال: (حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكَذَّبَ اللهُ ورسولُه) [3].

فالإنسان عدوٌّ لما يجهله، وإذا تمت مخاطبته بما لا يُدركه عقلُه فإنه سوف يبادر إلى تكذيبه والصد عنه، والمآل في ذلك إلى تكذيب الله ورسوله، لذا حثَّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على محادثة الناس على قدر عقولهم ومعارفهم، حتى يتعمق الإسلام في نفوسهم وعندها فلن يصطدموا بأي نص أو عقيدة.

الثاني: منع القُصْاص[4] من تحديث الناس:

فقد ظهر في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مجموعة من القُصَّاص لم يكونوا على عهد الخلفاء السابقين[5]، وكان هؤلاء القُصَّاص يُحدِّثون الناس بالغرائب والأعاجيب ويعتمدون في وعظهم على الحكايات والاسرائيليات مما لا أصل له ولا تدركه عقول العامة؛ فحفاظاً على عقائد المسلمين مَنَعَ علي بن أبي طالب هؤلاء القُصَّاص من مخاطبة الناس، وأمر بأن لا يُحَدِّثَ الناسَ إلا مَنْ كان عنده علم وكان متمكناً من علمه.

---

١ شرح النووي لصحيح مسلم، مرجع سابق، المجلد الرابع، ج السابع ص ٣٩و ما بعدها كتاب الجنائز ، باب الأمر بتسوية القبر.

٢ صحيح البخاري، مرجع سابق، ج١، ص٣٧، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم، حديث رقم (١٢٧).

٣ و مثله قول عبد الله بن مسعود ﷺ :" ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة"، صحيح مسلم، مرجع سابق، المقدمة، ج١، ص١١

٤ القصاص: جمع قاص: وهو الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها، والقصة: الخبر، لسان العرب، مرجع سابق، ج١٢، ص١٢٠، مادة قصص.

٥ ابن وضاح، أبو عبد الله بن وضاح القرطبي، كتاب البدع، (تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم) مكتبة ابن تيمية، ط٣، ٢٠٠٨م، ص٣٧، فقرة رقم (٤٦).

ويقول ابن وضاح في بيان حال القُصَّاص: " لا ينبغي لهم أن يبيتوا في المساجد، ولا يُتركوا أن يبيتوا فيها"[١].. وما هذا إلا تعظيم خطرهم بما ينشرونه من مقاصد عقدية تُضَلِّلُ العوام.

٤. محاربة الغُلاة الذين أفسدوا على المسلمين عقائدهم:

يقول عليه الصلاة والسلام لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه -:(إنه لا يُحبُّكَ إلا مؤمن، ولا يُبغِضُكَ إلا منافق)[٢]. لكن علياً قد عانى من غُلاة المحبين و المبغضين حتى اشتكى من ذلك فقال: " هَلَكَ فيَّ رجلان: محب غالٍ، ومبغض قالٍ"[٣].

ولم يتوقف هؤلاء عند حبهم وبغضهم بل إنهم أخذوا ينشرون ضلالاتهم في علي بن أبي طالب بين الناس حتى كان منهم من يقول بكفر علي بن أبي طالب، وآخر يقول بألوهيته.

ولم يترك هذه الزمرة لتفسد على الناس اعتقادهم فحاربهم بكل طريقة وقطع عليهم كل حجة.

١. موقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من القائلين بألوهيته:

إن القول بألوهية علي بن أبي طالب ليس بالرأي الذي يقبل العذر فيه وهو ليس اجتهاد دائرٌ بين الخطأ والصواب، بل هذا كفر بواح بالله عز وجل، لا يخفى ذلك على أي موحد.

لذا كان علاج هذا الخلل العقدي من الإمام علي بن أبي طالب من القوة بمكان بأن يمنع الآخرين من القول بهذه الضلالات ويحد من اتساع وانتشار هذا الكفر بين المسلمين. ففي رواية أن علياً رضي الله عنه قد هددهم أولاً بإحراقهم بالنار إن لم ينتهوا عن ضلالاتهم وقولهم بأن علياً إلهٌ، فأبَوا أن يتوبوا فخدَّ لهم الأخاديد وحرقهم بالنار وهم أحياء[٤].

---

١ المرجع السابق، ص٣٦.

٢ المسند أحمد بن حنبل، مرجع سابق، أحاديث علي بن أبي طالب، ج٢، ص١٣٦، حديث (٧٣١).

٣ ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية)، (تحقيق: عبد الله بن ظافر الشهري)، دار العاصمة، ط١، (١٤٢٠هـ)، ج١٦، ص١٣٨، قال المحقق: حسن لغيره.

٤ فتح الباري، مرجع سابق، كتاب استتابة المرتدين، باب حكم المرتد، ج١٢، ص٣٣٨، حديث رقم (٦٩٢٣) وقال إسناده حسن.

٢. موقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مع المغالين في بغضه:

لم يترك عليٌ بن أبي طالب التشدُّدَ والمغالاة لتسير في الجماعة الإسلامية دون أن يقاومها ويحاربها ويرد أهلها إلى وسطية الإسلام.

فقد ظهر قومٌ من الغلاة الذين كفَّروا الصحابة رضوان الله عليهم بمن فيهم علي بن أبي طالب، وأعملوا سيوفهم في دماء الأبرياء والمعصومين، وهم الخوارج[١].

أما منهج علي بن أبي طالب في مواجهة الخوارج وتفنيد باطلهم وحججهم فقد كان على مسارين:

المسار الأول: محاورتهم ودفع الشُّبَهِ التي تعلقوا بها:

لم يكن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ليريق دماء المخالفين ولا أن يستحلها من دون أن يزيل شبهاتهم، ويحاورهم ليطلع على أفكارهم، لذا فإنه أرسل عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - إلى الخوارج ليناقشهم ويحاورهم، ليعلم أين زلت أذهانهم و بماذا خالفوا جماعة المسلمين؟.

ومن ناحية أخرى فإن حوار الخوارج قبل قتالهم فيه إظهارٌ للمسلمين بأن علياً لم يواجههم بالسيف إلا بعد أن واجههم بالعقل والحوار، ولو ابتدأهم بالسيف لظن بعضهم أن قتالَ عليٍ لهم وعدم حوارهم ما هو إلا لضعف حجة علي بن أبي طالب أو لعدم قدرته على مواجهتهم.

فكان الحوار أولاً فيه عصمة لدماء الخوارج من ناحية وكذلك كان الحوار سبباً لاقتناع المسلمين أن لا مجال لرد فتنة الخوارج إلا بالسيف بعد أن استنفذت الأساليب السليمة معهم.

والحوار الذي دار بين فريق علي بن أبي طالب وفريق الخوارج من الباحثين من يجعله بين علي والخوارج، ومن الباحثين من يجعله بين عبد الله بن عباس والخوارج[٢].

وقد أورد الصنعاني (ت٢١١هـ) ولعله أقدم من أورد الأثر ونسب الحوار فيه إلى ابن عباس[٣]، ويستبعد أن يكون الحوار قد تكرر مرة بين علي والخوارج، والثانية بين عبد الله بن عباس والخوارج، وذلك لاتحاد الأسئلة والإجابات والنتيجة من الحوار.. وعلى كل الأحوال فإن علياً كان حريصاً على دفع شبهة الخوارج سواءٌ بنفسه أو بابن عباس.

---

١ سوف أتحدث عن الخوارج في الفصل الثالث بإذن الله تعالى.

٢ أنظر كلا الرأيين عند : المعايطة ، عطا لله بخيت ، **الفرق الإسلامية و موقف أهل السنة و الجماعة منها** ، دار الفاروق ، ط١ ، ، ٢٠١٠ ص ٢٠١ و عواجي، غالب بن علي، **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام**، المكتبة العصرية الذهبية، ط٤، ٢٠٠١م، ج١، ص٢٣٥.

٣ الصنعاني، عبد الرزاق همام (ت٢١١هـ)، **المصنف**، (تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي)، توزيع المكتب الإسلامي من منشورات المجلس العلمي، ط٢، ١٤٠٣، ج١٠، ص١٥٧، وما بعدها اثر رقم (١٨٦٧٨)، باب ما جاء في الحرورية. وسوف أتعرض لكامل الحوار عند الحديث عن الخوارج في الفصل الثالث بإذن الله تعالى.

وبعد أن استنفذ عليٌّ أسلوب الحوار معهم وعلم أنهم لا يردهم إلا السيف وأنهم – أي الخوارج – هم الذين حذَّرَ منهم رسول الله ﷺ[1] عندها أخذ بالمسار الثاني وهو محاربتهم بالسيف.

المسار الثاني: محاربة أفكار الغُلاة بالسيف:

إن الأفكار التي كان يحملها الخوارج لا يمكن أن تُترك من دون مقاومة، لما تحمله هذه الأفكار من استهتار بالأرواح واستهانة بالدماء، ومحاورتهم أثبتت ضلالهم، وإن لم تُحارب هذه الضلالات بالسيف فلا يُؤمَنُ من انتشارها بين الناس.

لذا كانت وقعة النهروان[2]، حيث تواجه جيش علي بن أبي طالب مع الخوارج، كانت فيها الغلبة لجيش علي بن أبي طالب، ولم يبقَ من الخوارج إلا عدد محدودا، وقد كانت هذه المعركة مقبرةً لأفكار الخوارج قبل أن تكون مقبرة لأجسادهم، ولم يكن ليستقيم حال المسلمين بوجود طائفة تنشر القتل، وتزرع الفتن، لذا كان قتلهم حرزاً لجماعة المسلمين من الأفكار الفاسدة.

مما سبق؛ فإن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كان يحرص على توفير بيئة عقدية سليمة للمكلفين، خاصة مع اتساع البلاد الإسلامية، ودخول طوائف جديدة في دين الله عز وجل وما تبعه ذلك من دخول أفكار ومعتقدات وافدة تحمل بين طياتها كفراً وغلواً وفرقة للمسلمين.

فكان لها أمير المؤمنين بالمرصاد فحاربها قولاً وعملاً ولم يفرق بين مَنْ بالغوا في حبه أو بالغوا في بغضه فكلاهما متجنٍ على الجماعة الإسلامية، وعلى عقائد المسلمين.

وكان صراعه مع هذه الطوائف حجةً عليها، بعد أن عادت هذه الطوائف للظهور وبقوة بعد وفاة علي بن أبي طالب .

---

١ صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج، ج٩، ص١٦، حديث رقم (٦٩٣١).
٢ النهروان: كورة واسعة بين بغداد و واسط في شرقي دجلة أنظر : القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود ، آثار البلاد و أخبار العباد ، دار صادر بيروت ، بدون تاريخ أو رقم طبعة ، ، ص٤٧٢.

المبحث الثالث: مقاصد الشريعة الإسلامية وبيئة المكلف العقدية

المقاصد الشرعية: " هي المعاني و الحكم و نحوها التي راعاها الشارع في التشريع عموما و خصوصا؛ من أجل تحقيق مصالح العباد [1].

جاءت الشريعة الإسلامية بكل أنظمتها و مناهجها السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و العقابية و غيرها لإقامة شرع الله عز وجل.

يقول الإمام الشاطبي: " اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وُضعت للمحافظة على الضروريات الخمس "[2] و هي الدين و النفس و العقل و النسل و المال، و التي بفقدانها لا حياة و لا قوام للمكلف. و أصل هذه الضروريات و أهمها هو حفظ الدين، و باقي الضروريات هي متفرعة عنه و تابعة له.

و حفظ الدين لكي يتم للمكلف لا بد له من محيط عقدي سليم يَقْتَدِرُ معه المكلف على إظهار توحيده و ممارسة عباداته كما أمر الله عز و جل، و إن لم تتوفر هذه البيئة العقدية السليمة، فإن ذلك سوف يكون عائقاً بوجه وصول العقيدة الصحيحة للمكلفين. فالبيئة العقدية السليمة يجب أن توجد أولا ثم يطالب العبد بعدها بالحفاظ على هذه الضرورات **فسلامة البيئة العقدية أمر يسبق مطالبة العبد بأن يحافظ على عقيدته**؛ لأنه مع فقدان هذه البيئة السليمة ؛ فلن يستطيع أي مكلف أن يعبد الله عز وجل كما أمر جل في علاه.

فهي الميدان الذي يتفاعل به المكلف مع هذه الضروريات الخمس فإن عدمت هذه البيئة انعكس ذلك على هذه الضروريات؛ ففقدان البيئة العقدية الصالحة يتبعها- بلا شك - فقدان للضروريات الخمس - و أهمها الدين - و هذا أمر لا حياة للمكلف بدونه..
و يمكن الاستدلال على أن الشريعة الإسلامية- بتشريعاتها المختلفة – تقصد إلى المحافظة على بيئة عقدية سليمة للمكلف.

---

١ اليوبي : محمد سعد أحمد مسعود ، مقاصد الشريعة الإسلامية و علاقتها بالأدلة ، دار الهجرة للنشر و التوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٩٨٨ ، ص ٣٦ و ٣٧ .

٢ الشاطبي ، إبراهيم بن موسى بن محمد ـ ت(٧٩٠) هـ ، الموافقات ، (تحقيق مشهور بن حسن) ، دار بن عفان ، بدون تاريخ ، ج ١، ص٣١

المطلب الأول: استقراء[1] نصوص الشريعة الإسلامية:

فالحكم بأن المحافظة على بيئة المكلف العقدية، لا يوجد في نص واحد واضح أو مباشر، بل إن هذا الحكم قد توزعت مسائلهُ في مصادر التشريع الإسلامي، خاصة في الكتاب و السنة و عمل السلف الصالح.

ففي بيئة المكلف العقدية نجد أن النصوص الشرعية المتفرقة قد أوجدت نوعا من النظام و المنهج لحماية هذه البيئة؛ فتجد أن الشريعة الإسلامية قد أمرت ببيئة معينة و نهت عن أخرى و مدحت النصوص بيئة و ذمت أخرى، و أثابت النصوص الشرعية على قَصدِ إحدى البيئات و عابت على من أقام في بيئة أخرى، و أوجدت الشريعة عقوبات على من أفسد على المكلفين بيئاتهم العقدية.

فعدٌّ أن المحافظة على البيئة العقدية السليمة للمكلف لم يكن بحكم واحد فقط بل هو نظام كامل تفرقت أدلته؛ و عند إضافة هذه الأدلة بعضها لبعض و اجتماعها معا بشكل متناسق يظهر من اجتماعها أن هذا الأمر مقصود للشارع و محط اهتمامه و رعايته، و هذا ما يمكن الحديث عنه من تتبع نصوص الأدلة الشرعية فيما يتعلق ببيئة المكلف العقدية، تجد أنها مجتمعه تظهر أن الإسلام يهتم ببيئة المكلف العقدية و هو مقصد من مقاصد الشريعة يمكن القول به باطمئنان بعد استقراء النصوص الشرعية[2].

المطلب الثاني: العقل

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بالخير واليسر للمكلفين، والتسهيل أمر مقصود في الإسلام، قال تعالى: (**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ**) [البقرة: ١٨٥].

وكذلك فإن المشقة مرفوعة في الشريعة الإسلامية، قال تعالى: (**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**) [الحج: ٧٨]، والعبد مخلوق ضعيف في جسده وإرادته إلا من رحم الله عز وجل، قال تعالى: (**وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً**) [النساء: ٢٨].

---

١ الجرجاني : علي بن محمد (٨١٦)هـ ، التعريفات ، (تحقيق محمد صديق المنشاوي) ، دار الفضيلة -مصر ، بدون تاريخ ، باب الألف مع الزاي و السين ،مصطلح رقم ١٠٩ ، ص ١٨ الاستقراء : الاستقراء: تتبع الجزئيات المندرجة تحت الكلي للوصول إلى حكم كلي ينطبق عليها أو الحكم على كلي بوجوده في أكثر جزئياته

٢ أنظر النصوص الشرعية في الفصل الأول ،المطلب الأول ، المبحث الأول : التأصيل الشرعي من خلال القرآن الكريم و السنة النبوية

فكما ثبت أن النصوص الشرعية من الكتاب و السنة تحافظ على سلامة البيئة العقدية للمكلف، فكذلك يمكن إثبات أهمية سلامة البيئة العقدية للمكلف عن طريق العقل أو حكم العقل.

فالمكلف قد يوجد في بيئته بدع عقدية، يمارسها هو ومن حوله في المجتمع دون أي حرج أو أي شعور بالخطأ أو التقصير، بل إن المكلف ومن حوله يقعون في هذه البدع العقدية وفي معتقدهم أنهم على حق؛ لذا هم لا يأخذون بالرخص؛ لأنهم غير محتاجين لها، ولا يعدون أنفسهم في جهل ليطلبوا العلم، فالمجتمع بأكمله من عامة وعلماء لا ينكرون هذه البدع العقدية، بل يتقبلونها بعدها جزءاً من الدين لا ينكر.

فهنا المكلف قد تكون أقواله وأفعاله بدعية، ولكن لا يحكم عليه بالكفر والبدعة حكماً عينياً؛ لصعوبة أن يعرف المكلف الحق في البيئة التي نشأ فيها؛ لذا فإن مطالبة المكلف بعقيدة سليمة في بيئة فاسدة أمر لا يقبل.

بله العقل، فكما راعت الشريعة حالة الإكراه والخطأ والنسيان، كذلك فإن الشريعة تراعي المكلف إذا وجد في بيئة عقدية فاسدة كل المكلفين من حوله في المجتمع بهذه العقيدة.

فالشريعة تراعي المكلف إذا وجد في بيئة عقدية فاسدة، فقبل الحكم على المكلف لا بد من توفير بيئة عقدية سليمة تعينه على الحق والثبات عليه، يمارس بهذه البيئة السليمة عقيدته، فعندها إذا انحرف عن الحق – بعد بيانه له –يستحق الحكم عليه بالكفر أو البدعة.

خلاصة الفصل الأول

نستنتج مما سبق أن الشريعة الإسلامية قد راعت البيئة التي يمارس بها المكلف نشاطه العقدي، ونجد أن نصوص الشريعة – من الكتاب والسنة – وكذلك فعل الصحابة – رضوان الله عليهم – كل ذلك يُظهر أن بيئة المكلفين العقدية محط اهتمام الشارع ورعايته، وأن توفير بيئة عقدية سليمة هي مقصد من مقاصد الشرع تثبت باستقراء نصوص الكتاب والسنة، وأيضاً بحكم العقل.

الفصل الثاني

البيئة الفكرية وتأثيرها على التفكير العقدي الإسلامي

المبحث الأول: البيئة الفكرية للديانات الشرقية وأثرها في التفكير العقدي الإسلامي.

المبحث الثاني: البيئة الفكرية اليونانية وأثرها في التفكير العقدي الإسلامي.

المبحث الثالث: البيئة الفكرية لأهل الكتاب وأثرها في التفكير العقدي الإسلامي.

الفصل الثاني

البيئة الفكرية وتأثيرها على التفكير العقدي الإسلامي

مقدمة

ما إن بدأت الفتوحات الإسلامية وهي حاملة معها دين الوحي وهدي النبوة، وما إن دخلت طوائف جديدة في الدين الإسلامي إلا وبدأ دخول الفكر العقدي الوافد مع المسلمين الجدد.

وكان ذلك انتهاءً لعهد الصفاء العقدي، وبداية لعهد اختلاط الأفكار وتنقلها بين الحضارات.

وأخذت هذه الأفكار تروج في التفكير العقدي الإسلامي، خاصّة في عهد الخلافة العباسية، وظهرت مسائل عقدية جديدة، وفدت من الشرق والغرب واصطبغت بصبغة إسلامية، فقد حمل بعض المسلمون الجدد من عقائدهم السابقة بعض الأفكار، وحاولوا أن يجدوا لها مدخلاً وموضعاً بين عقائد المسلمين، فما لبثت هذه العقائد أن أصبح لها دعاة ومنظرون، وأصبحوا مع مرور الزمن فرقاً مختلفة، كل واحدة بها من أصول الإسلام، وكذلك بها من الأصول الشركية لعقائد المسلمين الجدد.

وفي هذا الفصل سوف أتحدث عن تأثير ثلاث بيئات فكرية على عقائد المسلمين في ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: البيئة الفكرية للديانات الشرقية وأثرها في التفكير العقدي الإسلامي.
- المبحث الثاني: البيئة الفكرية اليونانية وأثرها في التفكير العقدي الإسلامي.
- المبحث الثالث: البيئة الفكرية لأهل الكتاب وأثرها في التفكير العقدي الإسلامي.

المبحث الأول: البيئة الفكرية للديانات الشرقية وأثرها في التفكير العقدي الإسلامي

الديانات الشرقية يُقصد بها الديانات التي تنتشر في البلاد المفتوحة الواقعة في شرق الجزيرة العربية، وليس المقصود كل الديانات، بل المقصود الديانات الوضعية التي احتكّ بها المسلمون الفاتحون وهي: المجوسية الفارسية، و الهندية _ السمنية و البوذية _. وهذه الديانات كان لبعض أفكارها وجودٌ في الفكر العقدي الإسلامي. وسوف أفرد لكل واحدة منها مطلباً مستقلاً.

المطلب الأول: البيئة الفكرية للديانة الفارسية وأثرها في التفكير العقدي الإسلامي

الفرس و وسائلهم في التأثير في التفكير العقدي الإسلامي:

لقد كانت الحضارة الفارسية من أوائل الحضارات التي اصطدم بها المسلمون في بداية الفتوحات الإسلامية، وقد التقت جيوش الدولتين بعدّة معارك كان أهمها معركة القادسية والتي وقعت سنة ١٤هـ الموافق ٦٣٥م في خلافة عمر بن الخطاب ، وبها كانت بداية سقوط دولة الفرس، حيث تبع معركة القادسية مجموعة من المعارك والتي انتهت بدخول المسلمين إلى المدائن عاصمة الفرس، وذلك في سنة ١٦هـ الموافق ٦٣٧م[١].

لم يكن الانتصار الفكري على الفرس بسهولة الانتصار العسكري؛ فإن كانت الإمبراطورية الفارسية قد سقطت في سنتين إلا أن أفكارها وفتنها امتدت إلى الوقت الحاضر؛ فقد كانت منبعاً للأفكار الخبيثة، والفرق المنحلة، والثورات المسلحة، وأفرزت هذه البلاد عشرات الفرق التي انتسبت للإسلام علناً وحاربته سراً.

ويصدق في هذه البلاد قول رسول الله ﷺ: **"** اللهم بارك لنا في مكتنا، اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم بارك لنا في شامنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدنا، فقال رجل: يا رسول الله! وفي عراقنا، فأعرض عنه، فرددها ثلاثا، كل ذلك يقول الرجل: وفي عراقنا، فيعرض عنه، فقال: بها الزلازل والفتن، وفيها يطلع قرن الشيطان **"**)[٢].

---

١ ابن كثير ، اسماعيل بن كثير ت (٧٧٤) هـ ، **البداية و النهاية** ، دار ابن الجوزي ، ط١ ، ٢٠١٠م ، المجلد الرابع ، ج٧، ص ١٥٤ و ص ١٧٣ .

٢ الألباني ، محمد ناصر الدين ـ (١٤٢٠)هـ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة و شيء من فقهها و فوائدها ، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٥ -٢٠٠٢ ، حديث رقم ٢٢٤٦ ، ج٥، ص ٣٠٢ ، قال الألباني : اسناد صحيح على شرط الشيخين

فقد كانت العراق منبعاً للأفكار الفاسدة والتي أصبحت فيما بعد فرقاً لها من يدعو لها وينظر لأفكارها.

يقول علامة العراق محمود شكري الألوسي – رحمه الله -: " ولا بدع فبلاد العراق معدن كل محنة وبلية، ولم يزل أهل الإسلام منها في رزية بعد رزية، فأهل حروراء وما جرى منهم على الإسلام لا يخفى، وفتنة الجهمية الذين أخرجهم كثير من السلف من الإسلام إنما خرجت ونبغت بالعراق، والمعتزلة وما قالوه للحسن البصري وتواتر النقل به واشتهر من أصولهم الخمسة التي خالفوا بها أهل السنة، ومبتدعة الصوفية الذين يرون الفناء في توحيد الربوبية غاية يسقط بها الأمر والنهي إنما نبغوا وظهروا بالبصرة، ثم الرافضة والشيعة وما حصل فيهم من الغلو في أهل البيت، والقول الشنيع في: الإمام علي وسائر الأئمة، ومسبة أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. كل هذا معروف مستفيض "[١].

وما هذا إلا لكثرة الفرق[٢] التي خرجت منها وكادت للإسلام والمسلمين. والإسلام في مرحلة التكوين، وفي زمن الوحي لم يأخذ أيّةَ عقيدة من المجوس على الرغم من وجودهم في الجزيرة العربية، حتى إن قصة مشورة رسول الله ﷺ لسلمان الفارسي في حفر الخندق لم يصح بها سند[٣] – مع أنها ليست عقيدة – لكن للدلالة على أن عقيدة الإسلام مصدرها الوحيد هو الوحي من الله – عز وجل – ولم تخالطها أيةُ عقيدة أو فكرة من الأمم الحاضرة في زمن الوحي.

---

١ الألوسي، محمود شكري ت ١٣٤٢هـ، غاية الأماني في الردّ على النبهاني، تحقيق: الداني بن منير آل زهوي، مكتبة الرشد، ط١، ٢٠٠١م، ج٢، ص١٨٠.

٢ الرازي، فخر الدين الرازي ت٦٠٦هـ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، مراجعة: علي سامي النشار، مكتبة النهضة، ١٩٣٨، ص٧٦، وقد سرد في الباب التاسع عدداً من الفرق التي ظهرت في العراق وما وراءه من البلاد.

٣ العوشن، محمد بن عبد الله، ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية، دار طيبة، بدون تاريخ، ص١٦٢.

١- الدين عند الفرس:

وُجد في الحضارة الفارسية العديد من العقائد والديانات التي كانت في مجملها تقول بأن هذا الكون له إلهان أحدهما للخير والآخر للشر مثل: الكيومرثية، والزروانية، والزردشتية، والثنوية. ومنها: المانوية، والمزدكية، والديصانية الكينونية الصيامية والتناسخية[١].مع وجود فرقٍ بينها في قِدم إله الشر أو الظلام أو أنه حادث، وكذلك فروق في كيفية امتزاج النور بالظلام، وكيفية الخلاص منه[٢].وقد جمع المسلمون كل هذه المذاهب تحت اسم واحد وهو المجوسية، وإن كانوا قد أدركوا أن بينها فروقاً دقيقة[٣].

ولفظ المجوس ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**) [الحج: ١٧].

وقد أخذ الفاروق منهم الجزية بعد أن شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر[٤].

٢- موقف المجوس من الإسلام:

لقد كانت المجوسية بفرقها المتعددة أكثر وأخطر الديانات على الإسلام، خاصة بحركاتها الباطنية، " فالفساد الواقع منهم أكثر من الفساد الواقع على الإسلام من جميع الكفار"[٥].

"وضررهم أعظم من ضرر اليهود والنصارى... بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر آخر الزمان؛ لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يضلون بالدجال في وقت ظهوره"[٦].

---

١ الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨هـ، الملل والنحل، مكتبة جزيرة الورد مصر، ط١، ٢٠٠٦م، ج١، ص١٩٥ وما بعدها حيث تناول الشهرستاني مقالات هذه الفرق بالتفصيل.

٢ المرجع السابق، نفس الصفحات.

٣ النشار، علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، بدون تاريخ، ج١، ص١٨٩.

٤ صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٤، ص٩٦، كتاب الجزية، باب: الجزية والموادعة مع أهل الحرب، حديث رقم: ٣١٥٧.

٥ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، فخر الدين الرازي ت ٦٠٦هـ، مرجع سابق، ص٧٦.

٦ البغدادي، عبد القاهر بن طاهر ت ٤٢٩هـ، الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، بدون تاريخ، ص٢٤٧.

وسبب كثرة الفرق فيهم وشدة ضلالهم هو ما قاله ابن حزم:

" الأصل في أكثر خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام: أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم، وجلالة الخطر في أنفسهم، حتى إنهم يسمون أنفسهم: الأحرار، والأبناء، وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم، على أيدي العرب، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً، تعاظمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة، في أوقات شتى "[١]؛لذا فقد تنوعت أساليب الفرس في حرب الإسلام، وبثّ عقائدهم الباطلة فيه، وأكثروا من التلبيس على الخلق في عقائدهم.

٣- وسائل المجوس في حرب الإسلام والمسلمين

لقد ظهرت الشخصية العدوانية للفرس منذ عهد رسول الله ﷺ حين أرسل رسول الله ﷺ كتاباً مع الصحابي عبد الله بن حذافة السهمي، فما كان من كسرى إلا أن مزّق كتاب رسول الله ﷺ[٢].

وتستمر هذه العدوانية في عهد الخلفاء الراشدين حين قتل مجوسي حاقد عمر بن الخطاب فقد قتل أبو لؤلؤة المجوسي الفاروق وهو يصلي الفجر بالمحراب حقداً من المجوس على الفاروق؛ لأنه هو الذي أزال دولة المجوس، وأنهى حكم الفرس.

ولقد تنوعت الأساليب التي أدخل بها المجوس عقائدهم ودسائسهم في المجتمع الإسلامي، فقد عملوا سراً وجهراً، وسلماً وحرباً، وتكاتفوا أدباء وكُتّاباً، ومترجمين، وشعراء، وسياسيين في إدخال عقائدهم الفاسدة على المسلمين. و من مظاهر هذا الكيد

أ): الشعوبية

لفظ شعوبية مأخوذ من الشعب، و بداية هذا اللفظ في الدولة الأموية عندما كانت تفضل جنس العرب على غيرهم من الأجناس. ثم أصبح هذا اللفظ يُطلق على كل من يزدري العرب ويحقر من شأنهم[٣].

---

١ ابن حزم، محمد علي بن أحمد ت ٤٥٦هـ، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار الكتب العلمية، ط٣، ٢٠٠٧، ج١، ص٣٧٢.

٢الغزالي، محمد، فقه السيرة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار القلم –دمشق، ط٧، ١٩٩٨م، ص ٣٦٥ قال الشيخ الألباني: حديث حسن.

٣ الخراشي، سليمان بن صالح، الشعوبية عند الشيعة الفرس، دار المنتقى، ط١، ٢٠٠٩،، ص٧، ص٨.

فامتازت الشعوبية بأنها حركات سرية تتظاهر بالإسلام وتعمل على هدم السلطان العربي الإسلامي من الداخل[١].

فقد تكونت من الأعاجم الذين أسلموا وفي صدورهم حقد، أو أقاموا على دينهم القديم، وظلوا يتحينون الفرص للإيقاع بالعرب والإطاحة بدولتهم[٢].

إذن، الشعوبية حركة من الأعاجم ترفض حكم العرب، وتدس في الإسلام ما يفسد عقائده على المسلمين، وهذه الحركة قد أنتجت العديد من الأدباء والشعراء والمترجمين والكُتّاب الذين كان هدفهم الأول إبراز تفوق الحضارة الفارسية على الحضارة العربية.

فقد كانت الشعوبية في أشراف العجم مثل: البرامكة، وبني سهل، وطاهر بن الحسين. وفي الأدباء والكُتّاب الذين نشطوا في إحياء الثقافة الفارسية، والتراث الفارسي، وأدخلوا كثيراً من الطابع الفارسي في الإدارة والمراسيم العباسية.

ومن الكتب الفارسية التي تُرْجمت كتاب (ملوك الفرس)، والذي ملئ تمجيداً لملوك الفرس، وكتاب (المراسيم والتقاليد الساسانية)، وكتاب(مزدك) الذي حوى أخلاقاً لا تتفق مع الإسلام، وكتاب (كليلة ودمنة) الذي ترجمه ابن المقفع بعد أن أضاف إليه باباً باسم (باب برزويه) لتمجيد المانوية الفارسية.

وأضافوا إلى ذلك طعناً كبيراً في علماء المسلمين، وفي صحابة رسول ﷺ، وتمجيد الشعوبيين عن طريق إظهار مثالب العرب ونقائصهم مثل كتاب (الميدان في المثالب) الذي ألفه علان الشعوبي[٢] هتك فيه العرب وأظهر مثالبهم، وله كتب أخرى في مثالب قريش، وتميم بن مرة ابن كعب، وبني أسد، ومن الشعوبيين من ألّف في مقارنة العجم بالعرب مثل: سعيد بن حميد بن البختكان الذي ألّف كتاب (فضل العجم على العرب وافتخارها)[٣].

وفي المجال الديني أثمرت الشعوبية ثمرة خبيثة هي الزندقة التي تعادي الإسلام والعروبة، فالشعوبية تبدأ من التهجم على العرب إلى مهاجمة العربية إلى الهجوم على الإسلام[٤].

وقد قويت شوكتها واستفحل خطرها في العصر العباسي[٥] الأول فتنوعت أساليب الشعوبية في الكيد للإسلام. و تعددت مجالات عملهم و نشاطهم "فمنهم الأدباء مثل: حماد الراوية، والهيثم

---

١ الدوري، عبد العزيز، الجذور التاريخية للشعوبية، دار الطليعة – بيروت، ط٣، ١٩٨١م، ص١١.
٢ العزاوي، نعمة رحيم، مقالات في أثر الشعوبية في الأدب العربي وتاريخه، بدون تاريخ، ص٨.
٣ الدوري، الشعوبية، مرجع سابق، بتصرف واختصار ، من ص٥ إلى ص٥٥.
٤ المرجع السابق، ص٥٨.
٥ السامرائي، عبد الله سلوم، الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية، بدون تاريخ، ص٨٦.

بن عدي و ابن المقفع. و ظهور ادباء الفرس أدى إلى ظهور دور الأدباء العرب للتصدي للشعوبيين، فبرز: الأصمعي، والجاحظ، وابن قتيبة، وبديع الزمان الهمذاني، والشريف الرضي"[١].

ب): الباطنية

هي الأداة الثانية التي أفرزتها بقايا الحضارة الفارسية للكيد للإسلام والمسلمين، وبالباطنية استطاعت المجوسية أن تحارب الإسلام من الخليج إلى المحيط، وعلى امتداد التاريخ الإسلامي.

وبالباطنية استولى الفرس على العديد من الدول الإسلامية من المغرب العربي إلى البحرين، كالدولة العبيدية والفاطمية، والقرامطة، ثم الدروز والنصيرية، و البويهيين، والإسماعيلية، وأصول كل هذه الفرق فارسية، وكلها تحمل بين طيّاتها الولاء لدولة الفرس.

فالباطنية في كل مكان في الأرض يميلون إلى المجوس، يقول البغدادي: "... إنا لا نجد على ظهر الأرض مجوسياً إلا وهو موادٌ لهم – أي للباطنية – ومنتظر لظهورهم على الديار"[٢].

وقد أطلق عليهم اسم الباطنية، وذلك لاعتقادهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشرة[٣].

وقد كانت الحركة الباطنية في اليهودية وفي النصرانية قبل الإسلام [٤]، إلا أن أكثر الحركات الباطنية هي التي وجدت في فارس والتي غَذَّاها الفكر المجوسي، فتسلطت على بلاد المسلمين أكثر من تسلط اليهود والنصارى. وهدف هذه الحركة كما يقول الغزالي هو الانسلال من الدين كانسلال الشعرة من العجين[٥].

---

١ مقالات عن الشعوبية، مرجع سابق، بتصرف واختصار ، ص٦٩.

٢ الفرق بين الفرق، مرجع سابق، ص٢٥٠، ص٢٥١.

٣ الغزالي، محمد بن محمد بن محمد، ت ٥٠٥هـ، فضائح الباطنية، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، الدار القيمة للطباعة والنشر القاهرة، ١٩٦٤، ص١١.

٤ الخطيب، محمد أحمد، الحركات الباطنية في العالم الاسلامي، مكتبة الأقصى عمان، ط ٢ ١٩٨٦، ص ١٧ و ما بعدها

٥ الغزالي، المرجع السابق، ص و ص١٨. و ١٩ باختصار.

و أما نشأتهم فهي كما قال الإمام الغزالي:

" تشاور جماعة من المجوس و المزدكية وشرذمة من الثنوية الملحدين، وطائفة كبيرة من ملحدة الفلاسفة المتقدمين... سبيلنا أن ننتحل عقيدة طائفة من فرقهم هم أركهم عقولاً و أسخفهم رأياً وأطوعهم للتصديق بالأكاذيب المزخرفات. وهم الروافض و نتحصن بالانتساب إليهم والاعتزاء إلى أهل البيت عن شرهم... ونتباكى لهم على ما حل بآل محمد ﷺ ونتوصل به إلى تطويل اللسان في أئمة سلفهم... حتى إذا قبحنا أحوالهم في أعينهم... اشتد عليهم باب الرجوع إلى الشرع، وسَهُل علينا استدراجهم إلى الانخلاع عن الدين، وإن بقي عندهم معتصم من ظواهر القرآن ومتواتر الأخبار أوهمنا عندهم أن تلك الظواهر لها أسرار وبواطن، وأن أمارة الأحمق الانخداع بظواهرها، وعلامة الفطنة اعتقاد بواطنها" [١].

وقد استطاعت الباطنية أن تُروج باطلها في المجتمع الإسلامي، ولم تترك عقيدة إلا وقد أدخلت عليها ما يشوهها ويفسد ظاهرها.

وسوف أعرض إلى بعض عقائدهم الفاسدة التي تأثر بها المجتمع الإسلامي في المطلب الثاني من هذا المبحث.

ج): الحركات العسكرية

وهي الذراع الثالث للمجوسية بعد الشعوبية والباطنية، وقد تمثلت بسلسلة من التمردات العسكرية التي قام أصحابها بمحاربة دولة الإسلام عن طريق ثورات عسكرية تنتحل بعض المسائل العقدية و سعياً إلى تقرير هذه العقائد الفاسدة في داخل المجتمع الإسلامي.

وكل الحركات العسكرية كان قادتها من غير العرب، واستمرت ثوراتهم من سنة ١٣٧هـ إلى سنة ٢٧٠هـ، أريقت بها الكثير من الدماء المعصومة، وهُتِكَتْ أعراض الحرائر، وانتشر بسببها الرعب والذعر بين الآمنين. و الأخطر من ذلك أن هذه الثورات كانت ترتكز على بعض المسائل العقدية و التي أصبح لها منادون و معتنقون من بين أبناء المسلمين فيما بعد.

- فثورة سنباذ سنة(١٣٧) هـ وهو مجوسيٌ من أهل قرية من قرى نيسابور، قامت على أساس أن الله عز وجل قد حل بأبي مسلم الخراساني.

---

١ الغزالي، المرجع السابق، ص١٨، ص١٩ – باختصار .

وقد اتُهم أبو مسلم الخرساني بالزندقة، ويقول ابن كثير يرفع عنه هذه الشبهة: "... ولم أرَ فيما ذكروا ما يدل على ذلك، بل على أنه كان ممن يخاف الله في ذنوبه، وقد ادعى التوبة فيما كان منه من سفك الدماء في إقامة الدولة العباسية، و الله أعلم بأمره "[١].

- و في سنة (١٤١)هـ كانت ثورة الراوندية: وهم قوم من أهل خراسان بلد أبي مسلم الخرساني، وحملت هذه الثورة عقيدة الحلول ومن عقائدهم تناسخ الأرواح، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور، وكانوا يطوفون بقصر أبي جعفر المنصور ويقولون: هذا قصر ربنا[٢].وقد كان الراوندية أصحاب قتال وبأس حتى أن أبا جعفر المنصور تولى قتالهم بنفسه[٣] حتى ردّ الله كيدهم.

- و ثورة المقنع الخرساني كان زنديقاً لا يخفي عقائده، يدعو أتباعه للسجود له[٤].وهو من خراسان من قرية من قرى مرو، جاءت ثورته بعقيدة التناسخ و حلول الله عز وجل في آدم ثم باقي الأنبياء الى أن حل الله بالمقنع الخرساني[٥]

- و ثورة بابك الخرمي[٦] سنة (٢٢١)هـ، وكانت عقيدة الخرمية عقائد المجوس ومنها: أن روح – جاويدان – أي الدائم الباقي قد دخلت في بابك الخرمي، ويعتقدون مذهب التناسخ، وان الأرواح تنتقل من حيوان إلى غيره[٧]

مما سبق يُلاحظ أن الحركات السابقة نشأت على أيدي أبناء الفرس، وكلهم اعتنق عقائد فارسية مجوسية الأصل، وقد انتهجوا في خروجهم سبيل القتل والترهيب للآمنين. و الثورات الأربع أظهرت وبقوة العقائد الفاسدة المتمثلة بالحلول و التجسيد و التناسخ و تعظيم

١تاريخ الطبري، مرجع سابق، ج٧، ص٤٧٩، أحداث سنة ١٣٧هـ حيث ذكر الطبري أسباب نقمة أبي جعفر المنصور على أبي مسلم الخرساني. و أنظر البداية والنهاية، مرجع سابق، المجلد ٥، ج ١٠، ص١١٧، أحداث سنة ١٣٧هـ و في نسخة دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٨٨م،ج ١٠، ص ٧٧ فإن النص كله يعود إلى عبدالله بن المبارك لا لابن كثير.

٢ تاريخ الطبري، مرجع سابق، ج٧، ص٥٠٥ وما بعدها.

٣ المرجع السابق، ج٧، ص٥٠٥.

٤ البداية والنهاية، مرجع سابق، مجلد ٥، جزء ١٠، ص١٧٨.

٥ اسمه عطاء أو هشام بن حكيم، كان ذميم الخلقة، ستر وجهه بقناع من ذهب، وكان على علم بالسحر والشعوذة، ويعتقد بالتناسخ، ثم ادعى الألوهية، وأنها انتقلت إليه من أبي مسلم الخرساني، ثار عليه الناس فأيقن بالهلاك فتحصن بقلعته ثم شرب ونساؤه السم فهلكوا جميعاً. أنظر: ترجمته: الأعلام للزركلي، مرجع سابق، ج٤، ص٢٣٤ وما بعدها.

٦ بابك الخرمي ت ٢٢٣هـ: بابك اسم معرب من الفارسية، زعيم الخرمية التي نشأت من المزدكية، أبوه بائع دهن من أهل المدائن وأمه امرأة عوراء من أذربيجان، كان راعياً وفقيراً و خادما، أخذ أفكار المجوس وتحرك في سنة ٢٠١ هـ، وقاتل دولة الخلافة حتى أسر وقتل في سامراء عام ٢٢٣هـ. أنظر سيرته: شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، ط٦، ٢٠٠٠م، ج٥، ص٢٠٢

٧ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، محمد بن محمد بن عبد الكريم، دار الكتب العلمية –بيروت، ط١، ١٩٨٧م، المجلد الخامس، ص٤٣٢، أحداث سنة ٢٠١ هـ.

البشر و هذا سوف يترك أثره على بعض الفرق التي تنتسب للإسلام خاصة الفرق التي سوف نشأت في العراق.

كما يلاحظ سرعة التفاف الناس من حولهم وكثرة الأتباع لهم على الرغم من فساد عقائدهم. وفي هذا دلالة على تشبع المجوس بحقدهم على الإسلام والعرب، فقد كانوا يناصرون كل خارج ويبايعونه على الموت، وفي ضمائرهم وأحلامهم استرجاع ملك المجوس والفرس الذي استأصله الإسلام.

ويلاحظ كذلك أن الشعوبية والباطنية قد انتقلت من السر إلى العلن عن طريق هذه الثورات، وأن الشعوبية بأدبها الفارسي قد حافظت على عقائد الفرس في نفوس المجوس فكانت ناراً تحت رماد تشتعل في جسد الأمة الإسلامية عند أول نفثة أو سانحة يركبونها ليكيدوا للإسلام وأهله.

أثر عقائد المجوس على التفكير العقدي الإسلامي

لقد ابتدأت الخلافة العباسية سنة ١٣٢هـ، وكانت أول ثورة مجوسية سنة (١٣٧هـ) وصاحبها سنباذ. وقد استمرت فتن المجوس وأفكارهم تسري وتنتشر في جسد الدولة الإسلامية إلى أن كانت خلافة المتوكل سنة (٢٣٢هـ)، حيث نصر السنة وقمع أهل الزيغ والضلال أذ تم القضاء عليها.

فأمر المتوكل بنشر السنة النبوية، وأكرم العلماء، واستقدم المحدثين والعلماء إلى مدينة سامراء، وطلب منهم أن يحدثوا بحديث أهل السنة لمحو كل أثر للقول بخلق القرآن[١].

ولقد ترك المجوس الكثير من المسائل العقدية التي تسرب بعضها إلى التفكير العقدي عند المسلمين، و بعضها الآخر فإنه عقائد كفرية لا يقول بها مسلم مثل الحلول والتناسخ، وبيان هذه العقائد في الآتي بإذن الله:

أولاً: العقائد الكفرية التي يعتنقها المجوس:

هي عقائد لا تمت للشرائع السماوية بأيةِ صلة، ولا يمكن بأيةِ حال أن تندرج ضمن عقائد المسلمين، مثل: عقيدة التناسخ، وعبادة أصلين وانتقال روح الله من الأنبياء إلى الأولياء و عقيدة الحلول.

---

١ البداية والنهاية، مرجع سابق، المجلد السادس، ج١١، ص٥٤ وما بعدها. وأنظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر ت٩١١ هـ، تاريخ الخلفاء،، مطبعة السعادة، ط١، ١٩٥٢م، ص٣٠١.

فهذه عقائد تصادم معتقدات المسلمين، وتخالف ما في كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه ﷺ، وتهدم أركاناً من عقائدنا؛ لذا كان الرفض لها صريحاً وواضحاً، قاومها العلماء وحذروا منها.

ولم تدخل هذه العقائد في فكرة جماعة إلا وتمّ إخراج هذه الجماعة من المسلمين، فَحُرِّم طعامهم ونساؤهم والصلاة خلفهم كما هو الحال في: عقائد الدروز، والنصيرية والعلويين وأمثالهم.

ثانياً: المسائل العقدية المجوسية التي دخلت إلى التفكير العقدي الإسلامي:

هذه المسائل العقدية بخلاف المسائل الأولى؛ فإنها قد وجدت لها مكاناً في الفكر العقدي الإسلامي، ووجدت من يتبناها ويدافع عنها ويصبغ عقائد المسلمين بها، وهذه المسائل العقدية منها ما يتعلق بالألوهية، أو بالنبوة، أو بالقضاء والقدر.

١- المسائل العقدية المتعلقة بالألوهية:

وأكثر هذه المسائل هي المتعلقة بصفات الله عز وجل، وبعض الصفات الموجودة عند المجوس تجدها نفسها قد قال بها بعض فرق المسلمين.

وفي المجوسية تجد تعدداً في الآراء المتعلقة بصفات الخالق ابتداءً من قولهم أن الخالق لا صفة له أصلاً، ولا تلحقه أيةُ صفة حقيقية إلى القول بأن الخالق له سبع صفات، إلى القول الثالث وهو أن الخالق كل صفاته قد اتحدت بذاته فسمعه هو بصره وبصره هو ذاته وهكذا – كما سوف يأتي بيانه.

أما منهج أهل السنة والجماعة في صفات الله عز وجل فهو إثبات صفات حقيقة تليق بالله عز وجل كما وصف الله -عز وجل- نفسه في كتابه الكريم، وكما وصفه النبي ﷺ في سنته بدون تأويل أو تعطيل أو تشبيه أو تجسيم، مع قطع الطمع في إدراك كيفية اتصاف الله عز وجل بتلك الصفات، وينفون عن الله عز وجل كل وصف نفاه الله -عز وجل -عن نفسه في كتابه الكريم أو نفاه عنه نبيه ﷺ مع وجوب اعتقاد كمال ضد ذلك المنفي.

أ) مسألة الصفات عند المسلمين:

وهي المسألة التي كانت الأمة الإسلامية فيها على وفاق واتفاق في عصر النقاء وقبل الاختلاط بالأعاجم، وقبل دخول غير المسلمين إلى الإسلام بعد الفتوحات الإسلامية.

فما أُدخل إلى الأمة الإسلامية من مباحث تتعلق بصفات الله -عز وجل - هي مباحث لم يقل بها صحابة رسول الله ﷺ على عظيم إيمانهم وعمق فهمهم، وما أسندوا منها شيئاً إلى رسول الله ﷺ

فكان عدم الخوض بها سببه شدة وضوحها، مع فصاحتهم في اللغةِ، ففهموها على مراد الله عز وجل و على مراد رسول الله ﷺ.

وبقيت مسألة الصفات بهذا النقاء والصفاء، حتى احتك المسلمون بأرباب العقائد الوثنية، فدخل أصحاب الأهواء والأغراض إلى الإسلام، حاملين معهم فهمهم السقيم، وإدراكهم العليل، وسوء القصد والنية، فنفوا عن الله بعض الصفات معتمدين ظاهرياً على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

والحق والحقيقة أنها عقائد فارسية باطنية، مُلئت زندقة وإلحاداً، والإسلام منها بريء، والقرآن الكريم والسنة النبوية لها عدو، وفي الآتي بيان لهذه المسائل:

١. نفي صفات الله عز وجل أو تحديدها بعدد في المجوسية:

فهذه العقيدة موجودة عند بعض من فرق المجوس و هي الديصانية[1]؛ فعند عرض هذه الفرقة لصفات الخالق – و هو النور - عندهم قالوا: " إن إدراك النور إدراك متفق، فإن سمعه، وبصره، وسائر حواسه شيء واحد، فسمعه هو بصره وبصره هو حواسه، وإنما قيل: سميع، بصير؛ لاختلاف التركيب لا لأنهما في نفسهما شيئان مختلفان" [2].

يقول الدكتور علي سامي النشار: " و سنجد نفس هذه الفكرة عند المعتزلة فيما بعد[3].

فعقيدتهم بصفات النور هي أن كل صفاته ما هي إلا شيءٌ واحدٌ، فليس السمع غير البصر و ليست الحواس أمرا غير السمع و البصر.

وعلى غرابته إلا أنه وجد من يقول به من المنتسبين إلى الإسلام، فقد قال بهذا القول بعض طوائف المعتزلة .

يقول الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم شارح الأصول الخمسة في كيفية استحقاق الله تعالى لهذه الصفات: " و الأصل في ذلك أن هذه المسألة خلاف بين أهل القبلة، فعند شيخنا أبي

---

١ الديصانية: من الديانات الفارسية الثنوية، مؤسسها ميمون بن ديصان الذي أثبت أصلين نوراً وظلمة. أنظر: الملل والنحل، مرجع سابق، ص٢١١.
وميمون بن ديصان من مؤسسي الباطنية، وانتسب إلى آل البيت إلى عقيل بن أبي طالب، ثم إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق. أنظر: الإسفراييني، طاهر بن محمد، التبصير في الدين، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٣، ص١٤١.
٢ أنظر: الملل والنحل، ص٢١٢.

علي على أنه يستحق هذه الأربع التي مونه قادراً عالماً حياً موجوداً لذاته، و هند شيخنا أبي هاشم: يستحقها اما هو عليه في ذاته، و قال أبو الهذيل: إنه تعالى عالم بعلم هو هو، و أراد به ما ذكره الشيخ أبو علي، إلا أنه لم تتلخص له العبارة، ألا ترى أن من يقول: أن الله تعالى عالم بعلم لا يقول: أن ذلك العلم هو ذاته تعالى "[١].

ولم يكن قول كل من الجبائية والهاشمية إلا متفرعاً عن أحد أصول المعتزلة وهو التوحيد الذي بنوا عليه نفي صفات الله عز وجل، فنفي الصفات عندهم سببه أن إثبات صفات لله عز وجل يؤول إلى مشاركة هذه الصفات لله عز وجل في القِدم الذي هو أخص وصف له و بالتالي مشاركته الله عز و جل في الإلهية

يقول الإمام أحمد بن الحسين "... و الأصل في ذلك أنه تعالى لو كان يستحق هذه الصفات لمعان قديمة و قد ثبت أن القديم إنما يخالف مخالفه بكونه قديماً، و ثبت أن الصفة التي تقع بها المخالفة عند الافتراق بها تقع عند الاتفاق، و ذلك يوجب أن تكون هذه المعاني مثلاً لله تعالى، حتى إذا كان القديم تعالى عالماً لذاته، قادراً لذاته، وجب في هذه النعاني مثله، و لو وجب أن يكون الله تعالى مثلاً لهذه المعاني – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – لأن الاشتراك في صفة من صفات الذات يوجب الاشتراك في سائر صفات الذات، بل كان يجب أن يكون كل واحد مثلاً لصاحبه، بل يلزمهم العلم بصفة الحياة و القدرة و غيرها حتى يقع الاستغناء بواحد منها عن سائرها، و هذه الدلالة مبنية على أصول:

١- أنه تعالى يخالف مخالفه بأنه قديم.

٢- أن الصفة التي تقع بها تقع المماثلة عند الاتفاق

٣- أن الاشتراك في صفة من صفات الذات يوجب الاشتراك في سائر الصفات[٢]

و يشرع في شرح هذه النقاط الثلاثة ثم يقول: "... وإذا ثبت هذا، فالقديم تعالى لو استحق هذه الصفات لمعان قديمة لوجب أ، تكون مثلاً لله تعالى، و هذا يوجب إذا كان العالم تعالى عالماً قادراً لذاته، وجب أن تكون هذه المعاني أيضاً قادرةٌ عالمةٌ و ذلك محال، و أن تكون بعض هذه المعاني بصفة البعض و أن يقع الاستغناء بأحدها عن الباقي و ذلك محال، و ما أدى إليه وجب أن

١ابن أبي هاشم ، أحمد بن الحسين ، شرح الأصول الخمسة ، (تحقيق : عبدالكريم عثمان) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٩ م ، ص ١٨٢ و ما بعدها .

٢ابن أبي هاشم، أحمد بن الحسين، شرح الأصول الخمسة، تحقيق: عبدالكريم عثمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩ م، ص ١٩٦ و ص ١٩٦.

يكون محالاً " [١]فما كان منهم إلا أن قالوا أن صفات الله عز و جل هي ذاته، و ليست صفة من صفاته، و هذا هو ذات قول الديصانية.

ومسألة قدم الصفة واشتراكها مع الله في الإلهية و التي تذرع بها المعتزلة لنفي صفات الله عز و جل هي أيضا من الفكر المجوسي والذي كان يجعل للنور سبع صفات قديمة هي: النور، والعقل الطيب، والحق، والسلطان، والتقوى، والخير، والخلود[٢].

ففي الزردشتية[٣]: إن الإله خالق الكون قد صنع تحت إمرته **خلائق إلهية، أو صفات مجسمة له، أسماها الفكر الخير، والبر والفلاح، والتفكير الصائب و المشفق والخلود**[٤].

فقول المعتزلة: إن إثبات الصفات يجعلها تشترك مع الله في الإلهية هو ذات القول عند المثنوية و الزرداشتية. أي أنه ليس من مفردات الفكر الإسلامي المعتمد على الكتاب والسنة، بل كان تأثيراً وافداً من المجوسية إلى الإسلام.

وكان أثره أولاً: بنفي الصفات وجعلها هي عين الذات

وثانياً: بتعليل هذا النفي بالخوف من تعدد القدماء كما هو الحال في المجوسية القائلة بأن الصفات أجسام قديمة.

---

١ المرجع السابق، شرح الأصول الخمسة، ص ١٩٧

٢ قصة الحضارة، مرجع سابق، ج٢ من المجلد الأول، ص٤٢٩.

٣ الزردشتية: نسبة الى زردشت التي تعني ذهب الصحراء ولد قبل المسيح عليه السلام ب ٦٠٠٠ سنة وكان زردشت يقول بالأصلين النور و الظلمة و وجود المخاصمة و المنازعة بينهما، ينسب الى زرادشت كتاب زند أوستا يقسم العالم فيه عالماً روحانياً وآخر جسمانياً، و ينسب لزرادشت كذلك بعض المعجزات. أنظر الملل و النحل مرجع سابق، ص ١٩٨ و ما بعدها بتصرف و اختصار

٤ سعيد، حبيب، أديان العالم، دار التأليف للكنيسة الأسقفية، بدون تاريخ، ص١٥١.

٢. سألة نسبة الشر إلى الخالق:

لم يستطع حكماء العجم القدامى فهم صدور الشر والخير عن موجود واحد فقط... فكان لا بد من وضع مبدأ آخر ينتج الشر[١]؛ فالأحياء النافعة من خلق إله الخير، والأحياء الضارة من خلق إله الشر[٢]؛ فالله لا يمكن أن يكون مسؤولاً عن الشر لأن الشر جوهر مثله مثل الخير، وكل منهما يرجع إلى سبب مختلف[٣].بل إن رجال الدين الزرادشتيين كانوا يقولون بأن لا وجود للشر حقيقة[٤].

ومن الفرق المجوسية التي قالت بهذا القول:

١. المانوية[٥]: فقد نسبوا الشر والفساد والضر والغم والتشويش والاختلاف إلى الظلمة أو إله الظلمة. الديصانية[٦]: فقد نسبوا الشر إلى الظلام وبفعله طبعاً واضطراراً[٧].

والأصل الذي بنوا عليه هو استحالة أن يصدر الشر عن الخير المحض؛ لذا هربوا من هذا بنسبة الشر إلى إله آخر يتحمل مسؤولية الظُلْمة والظُلْم والظَلام في هذا الكون وهو إله الشر أو إله الظلمة.

والذين تلقفوا هذه العقيدة – خلق الشر من قبل البشر لا من الله - وبنوا عليها هم المعتزلة، فإن من أصولهم أن الربّ- تبارك وتعالى- منزه أن يُضاف إليه شر وظلم و أن فعل ما هو كفر ومعصية لا يصح نسبته إلى الله جل في علاه؛ لأنه – بظنهم – لو خلق الظلم كان ظالماً كما لو خلق العدل كان عدلاً[٨].

يقول الإمام أحمد بن الحسين في رده على القدرية:

" و هؤلاء المجبرة مع علمهم بقبح هذه المقبوحات أضافوها إلى الله تعالى من غير حشمة و لا مراقبة.

.... و مما يوضح لك سوء حالهم في الإسلام، **إنهم بإضافتهم الأفعال كلها حسنها و قبيحها إلى الله تعالى،** سدوا على أنفسهم طريق معرفته أصلاً.... **و كذلك فنسبتهم القبائح إليه** أخرجوا أنفسهم من صحة نبوة الأنبياء، فإن صحة العلم بذلك يترتب على عدل الله تعالى و حكمته، **و أنه**

١النشار، نشاة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج١، ص١٨٩.
٢ العقاد، محمود عباس، توحيد الأنبياء، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٧٠م، ج١، ص١١١.
٣ سعفان، كامل، معتقدات آسيوية، دار الندى مصر، ط١، ١٩٩٩ م، ص١٢٣.
٤ قصة الحضارة، مرجع سابق، ج٢ من المجلد الأول، ص٤٣٠.
٥ من فرق المجوس من أتباع ماني، جاء بعد بعثة عيسى عليه السلام، وكان ماني يثبت أصلين قديمين النور والظلمة، ويعتقد أن آدم أبو البشر، ويؤمن بالأنبياء من بعده إلا موسى عليه السلام. أنظر: الملل والنحل، مرجع سابق، ص٢٠٩، ص٢١٠.
٦ سبق التعريف بها.
٧ الملل والنحل، مرجع، سابق، ص٢١١.
٨ الملل والنحل، مرجع، سابق، ص٤٣.

لا يختار القبح و لا يفعله، و لا يصدق الكذابين، و لا يظهر عليهم الأعلام المعجزة، فصار حالهم لهذه الوجوه شراً من حال سائر المبطلين الملحدة و المجسمة و غيرهم "[١]

ما سبق كان رده على المجبرة الذين أضافوا الخير و الشر إلى الله تعالى ثم يبين الحق عنده في أفعال العباد فيقول:

"... و قريب من هذه الجملة الكلام في أ افعال العباد لا يجوز أن توصف بأنها من الله تعالى و من عنده و قبله، و ذلك واضح، فإن أفعالهم حدثت من جهتهم و حصلت بدواعيهم و قصودهم، و استحقوا عليها المدح و الذم و الثواب و العقاب، فلو كانت من جهته تعالى أو من عنده أ، قبله لما جاز ذلك، فإذن لا يجوز إضافتها إلى الله تعالى إلا على ضرب من التوسع و المجاز، و ذلك بأن تقيد بالطاعات فبقال إنها من جهته و من قبله، و على معنى أنه أعاننا على ذلك، و لطف بنا، و وفقنا و عصمنا عن خلافه "[٢]

و قد فصل الشهرستاني أقوال فرق المعتزلة في المسالة على النحو الآتي:

١. الواصلية[٣]: قالوا أن الباري عز وجل حكيم عارف[٤]، لا يجوز أن يضاف إليه شر أو ظلم.

٢. الهذيلية[٥]: فقوله في القدر مثل ما قال أصحابه، فهو ينسب الشر إلى الإنسان في الدنيا، وأما في الآخرة فكل أفعال العباد مخلوقة لله عز وجل. لذا قالوا عن الهذيلية: قدري في الدنيا جبريٌّ في الآخرة[٦].

٣. النظامية[٧]: قال قول السابقين في أن القدر خيره وشره من البشر، وزادوا على ذلك فقالوا: إن الله لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي، وليست هي مقدورة للباري تعالى بخلاف السابقين حيث قضوا بأنها مقدورة لله لكنه لا يفعلها لأنها قبيحة.

---

١ شرح الأصول الخمسة، مرجع سابق ص ٧٧٨، باختصار.

٢ المرجع السابق، ص ٧٧٩، باختصار

٣ الواصلية: من أصحاب أبي حذيفة واصل بن عطاء الغزال الألثغ، كان تلميذاً للحسن البصري في أيام عبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك، وهو من الذين ينسب إليه نشوء فرقة المعتزلة حين اعتزلوا حلقة الإمام حسن البصري بعد سؤاله عن مسألة حكم مرتكب الكبيرة. أنظر: الملل والنحل، ص٤٣ وما بعدها.

٤ عارف: لا يقال لله عز وجل عارف، لأن المعرفة يسبقها جهل، ولكن يقال عن الله عز وجل بأنه عالم فهي صفة لا يسبقها جهل، و لعله أراد عادل.

٥ الهذيلية: أصحاب حمدان بن الهذيل العلاف، شيخ المعتزلة ومقرر الطريقة، أخذ الاعتزال عن عثمان بن أحمد عن واصل بن عطاء، انفرد عن أصحابه بعشر مقالات في الاعتزال. أنظر: الملل والنحل، ص٤٦، ص٤٧.

٦ الملل والنحل، مرجع سابق، ص٤٧.

٧ النظامية: أصحاب إبراهيم بن سيار بن هانئ النظام، طالع كتب الفلسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة وانفرد عن المعتزلة بثلاث عشرة مسألة. أنظر: الملل والنحل، ص٤٩.

وفي الآخرة قال: لا يوصف الباري تعالى بالقدرة على أن يزيد في عذاب أهل النار ولا أن يخرج أحداً من أهل الجنة وليس ذلك بمقدور له.

ومصدر هذه المقالة من قدماء الفلاسفة حيث قضوا بأن الجواد لا يجوز أن يدخر شيئاً لا يفعله، فما أبدعه و أوجده هو المقدور له، ولو كان في علمه تعالى ومقدوره ما هو أحسن وأكمل مما أبدعه نظاماً وترتيباً وصلاحاً لفعله[١].

فهذه المقالة ذات مرجع فارسي مجوسي ثنوي فلسفي تبناها المعتزلة بتأثير من المجوسية، وهي كما يقال حق أريد به باطل، وبيان ذلك أن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله -عز وجل -لا يصدر عنه شر محض إطلاقاً، وأن الشر ليس في أفعاله بل في مفعولاته، أي في ما يقع للبشر من شرور هي أفعال بها شر بالنسبة لهم، ولكنها خير لغيرهم أو حتى لأنفسهم في عاقبة الأمر.

وأما الشر المحض فإنه لا ينسب إلى الله عز وجل مع أنه خالقه، فهو بالنسبة لله خير محض وإن جهلنا ذلك، وبالنسبة للبشر هو شر نسبي[٢].

فعن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: (وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين... والخير كله في يديك والشر ليس إليك) [٣].

يقول ابن القيم: "تبارك الله وتعالى عن نسبة الشر إليه، فلو أضيف إليه لم يكن شراً بل كل ما نسب إليه فهو خير، والشر إنما صار شراً لانقطاع نسبته وإضافته إليه "[٤]،" إن الشر المحض لا يكون بفعل الله أبداً؛ الشر المحض الذي ليس فيه خير لا حالاً ولا مآلاً، هذا لا يمكن أن يوجد في فعل الله أبداً؛...لأنه حتى الشر الذي قدره الله شراً لابدّ أن يكون له عاقبة حميدة، ويكون شراً على قوم وخيراً على آخرين"[٤].

ب - حرية الإرادة:

يعد الإنسان في المجوسية هو ميدان الصراع بين إله الخير أو النور، وإله الشر أو الظلمة، وكل عمل أو قول أو فكر يتبناه الإنسان فهو بذلك يناصر إما إله النور أو إله الظلمة.

---

١ الملل والنحل، ص٤٩، ٥٠.

٢ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار الحديث، ط٢، ١٩٩٧م، ص٣٩٧، الباب الحادي والعشرون في تنزيه القضاء الإلهي عن الشر – بتصرف واختصار .

٣ صحيح مسلم، مرجع سابق ج١، ص ٥٣٤، حديث رقم ٧٧١، كتاب صلاة المسافرين و قصرها، باب الدعاء في صلاة الليل و قيامه..

٤ العثيمين، محمد بن صالح، شرح رياض الصالحين، دار الغد الجديد –مصر ، ط١، ٢٠٠٥م، ج١، ص٢٩٦، باب المراقبة.

بل الإنسان له إرادة حرة بمقدوره أن يختار طريق النور أو طريق الظلام؛ فهو ليس مجرد بيدق[١] يتحرك بغير إرادته[٢].

فمن تعاليم زرادشت أن للناس حرية الاختيار و الكفاح في سبيل الخير أو الخضوع لمغريات الشر[٣]؛ فالإنسان يتمتع بحرية الإرادة كمخلوق حر التصرف أبداً حيث جاء في أسفارهم: "... العاقل الحكيم من يختار الخير والغبي الأبلة هو الذي يختار الشر"[٤]. فهذا النص يشيرإلى حرية الإرادة.

و من فرق المجوس الكيومرثية[٥]، وهي فرقة باعتقادها أن الناس اختاروا طريقهم بأن يلبسوا الأجساد ويحاربوا أهرمن إله الظلام؛ فقد خيّر إله النور الناسَ وهم أرواح بلا أجساد، بين أن يرفعهم عن مواضع أهرمن إله الشر، وبين أن يلبسهم الأجساد فيحاربوا أهرمن؛ **فاختار الناس** لبس الأجساد ومحاربة أهرمن[٦].

فهذا النص يظهر بوضوح عقيدة حرية الاختيار والإرادة في المجوسية، ويظهر أن إرادة النور - إله الخير – كانت تابعة لإرادة الناس، فهو لم يجبرهم على مراده في قتال إله الشر أهرمن بل هم كانوا أصحاب الرأي والاختيار في كل ذلك.

وهذه الفكرة أو العقيدة تبناها من الفرق المنتسبة للإسلام فرقة أو طائفة القدرية، فقد نفوا أن يكون هناك تقدير من الله على الخلق، بل قالوا الإنسان حر في اختياره وفي أفعاله.

وهم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: (القدرية مجوس هذه الأمة)[٧].

ووجه مشابهة القدرية للمجوس يأتي من:

الأول: أن المجوس ينسبون بعض التقدير إلى يزدان – إله النور – وبعضه الآخر إلى أهرمن – إله الظلام -، وهذا عين فعل القدرية حيث ينسبون بعض التقدير لله عز وجل وبعضاً آخر للمخلوق.

---

١ البيدق: الجندي الراجل، أنظر مذكور، ابراهيم و آخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، تركيا، ط١، ج١، ص ٧٨
٢ قصة الحضارة، ج٢، المجلد الأول، ص٤٣١ – بتصرف واختصار .
٣ معتقدات آسيوية، كامل سعفان، مرجع سابق، ص١٠٩.
٤ أديان العالم، سعيد حبيب، مرجع سابق، ص١٥٢.
٥ أصحاب كَيومرث، وهو عندهم آدم – عليه السلام – كانوا يقولون بأصلين: يزدان وأهرمن، وقالوا يزدان قديم وأهرمن محدث مخلوق. الملل والنحل، الشهرستاني، ص١٩٥.
٦ الملل والنحل، الشهرستاني، ص١٩٦.
٧ السجستاني، سليمان بن الأشعث، ت ٢٧٥هـ، سنن أبي داود، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني نشر بيت الأفكار الدولية، كتاب السنة، باب القدر، حديث رقم ٤٩٦١، ص٥١١، قال الألباني: حديث حسن.

الثاني: أن الإنسان في المجوسية إرادته وقراره وخياره هو الذي يقع لا إرادة الله عز وجل. وكذلك الأمر في القدرية؛ فإن الإنسان حر مختار في إرادته لا تعارضه حتى إرادة الله عز وجل[١].

الثالث: أن المجوس جعلوا الخير كله لإله النور، والشر لإله الظلمة، وكذلك القدرية؛ فقد جعلوا الخير ينسب إلى الله، والشر مخلوق للعبد.

يقول ابن تيمية:" و إنما حدثت القدرية من الملتين الباطلتين: المجوس، والذين أشركوا"[٢].

وأول من أشاع مسألة القدر رجل من البصرة يُقال له: سنسويه، وكثير من المؤلفين ينسبونه إلى النصرانية، يقول الدكتور مصطفى حلمي: " وقد روي أن أول من ابتدع مسألة القدر بالعراق رجل من أهل البصرة يُقال له سيسويه من أبناء المجوس" [٣].

فسند معبد الجهني[٤] الذي أخذ عن سنسويه ضلالاته يرجع إما إلى مجوسي أو إلى نصراني، مع أن النصارى كانوا في جزيرة العرب، وخالطوا المسلمين كثيراً ولم يظهروا مسألة القدر، وأما البصرة فهي أقرب إلى عاصمة المجوس المدائن، وفيها مرتع لعقائد الفرس، وسنسويه فارسيٌ نصرانيٌ أو مجوسيٌ خالصٌ، وفي كلا الأمرين فإن مسألة القدر كانت في الفارسية والنصرانية معاً.

لكن النصرانية تؤمن بأن الله عز وجل عالم بكل شيء، بخلاف القدرية الأُول مثل معبد الجهني الذين نفوا علم الله الأزلي. ففي النصرانية جاء في أعمال الرسل: "معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله"[٥]. أي أعمال الأمم معلومة عند الله منذ الأزل؛ فالنصرانية تثبت علم الله الأزلي، فالماضي والمستقبل أمام عيني الخالق كالحاضر، وتدخل في دائرة علم الله الحوادث الكبيرة والخطيرة،

---

١ الاسفراييني، طاهر بن محمد ت ٤٧١هـ، التبصير في الدين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٣ م، ص٩١.

٢ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم ت ٧٢٨هـ، مجموع الفتاوى، دار الوفاء، دار ابن حزم، ط٢، ٢٠٠١م.، المجلد الرابع، ج الثامن، ص٢٦١

٣ حلمي، مصطفى، منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٥م، ص٥٦.

٤ معبد الجهني: هو عبدالله أو أبو عبدالله بن عكيم، قيل أنه صحابي و قيل إنه من التابعين قال ابن حجر: معبد تابعي، أرسل حديثا فذكره بعضهم في الصحابة، كان رأساً في القدر حذر منه و من مذهبه طائفة من العلماء من امثال الدارقطني و الجوز جاني و ابن الجوزي و طاووس و قال الحسن البصري لا تجالسوا معبداً، أنظر ترجمته في: أبو نعيم، أحمد بن عبدالله بن أحمد ت ٤٣٠ هـ معرفة الصحابة، دار الوطن، ط١ ت ١٩٩٨م، ج٣، ص١٧٤٠ و ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله ت ٤٦٣ هـ الاستيعاب في معرفة الاصحاب، دار الجيل، ط١، ١٤١٢ هـ، ـ ج٣، ص ١٤٢٦، و ابن الجوزي عبدالرحمن بن علي، ت ٥١٠، الضعفاء و المتروكين، دار الكتب العلمية ١٤٠٧ هـ، ج٣، ص١٢٩.

٥ أعمال الرسل، ١٥: ١٨.

فعلم الله عند النصرانية علم أزلي في الماضي والحاضر والمستقبل؛ لذا فإن ما نقله سنسويه إلى معبد الجهني قد لا يكون من عقائد النصارى بل إن معبد الجهني أخذ عقائد المجوس الثنوية عن سنسويه.

وكذلك الأمر في خلق أفعال العباد؛ فالنصرانية تنسب الخلق إلى الله، وتصفه بأنه صاحب قدرة لا يقاومها شيء، ولا يوجد شيء غير مستطاع عنده، فقوته لا تقاوم، بل يعمل حسب مشيئته ومقتضى قصده... ولا يمكن أن يعارضه مانع في نفاذ أوامره وأحكامه[١].

جاء في سفر أعمال الرسل: "...و قالوا:أيها السيد أنت هو الإله الصانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها"[٢]. وأيضا: "الرب الصانع هذا كله"[٣]. ففي النصرانية كذلك لا تنسب إلى الإنسان أن له قدرة أو خلق يخرج عن قدرة أو خلق الله عز وجل. وهذا عكس قول القدرية الذين جعلوا الإنسان خالقاً لأفعاله، وأنها من إرادته وليست إرادة الله عز وجل، وهذا أيضا يؤيد أن سنسويه قد أدخل أفكار المجوس إلى معبد الجهني وليس أفكار النصارى.

و سبق أن تدارس الصحابة في القدر في عهد النبوة؛ فعن أبي هريرة قال: "خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى احمرّ وجهه حتى كأنما فقئ في وجنتيه الرمان، فقال: " أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه "[٤].

فهذا حديث نبوي به نهى عن الخوض في القدر، وتحذير من التحدث فيه، وبيان لحال الأمم السابقة وكيف أنهم تنازعوا في القدر فتفرقوا واختلفوا حتى هلكوا في هذه العقيدة.

ونقاش الصحابة لم يكن بأيةِ حال بغرض الاعتراض أو الاستشكال بل هو من باب التذاكر و المُدارسة، ولم يكن في نية أحد منهم أن يكون نواة لفرقة، أو ممهداً لمقولة فاسدة؛ لذا فإن صحابة رسول الله قد امتنعوا عن الخوض بالقدر استجابة لنهي رسول ﷺ، ولم تعد هذه المقالة للظهور إلا في أواخر عهد الصحابة على لسان معبد الجهني الذي تلقفها من سنسويه المجوسي.

---

١ علم اللاهوت، مرجع سابق، ص١٣٠.
٢ سفر أعمال الرسل، ٤: ٢٤.
٣ أعمال الرسل، ١٥:١٧.
٤ الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرَة، ت ٢٧٩هـ، جامع الترمذي، طبعة بيت الأفكار الدولية، بدون تاريخ، كتاب القدر، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر، حديث رقم: ٢١٣٣، قال الألباني: حديث حسن، ص٣٥٥.

ولقد تلقف غيلان الدمشقي[١] مقولة القدر من معبد الجهني، والفرق بين معبد الجهني وغيلان الدمشقي: أن معبداً هو الذي احتك بالمجوس وأخذ مقالتهم في القدر ونقلها إلى غيلان فتبناها الأخير و نافح عنها، لكن الأثر المجوسي كان ابتداءً على معبد الجهني وليس على غيلان الدمشقي.

وهذا لا يبرئ غيلان الدمشقي من دسه لبعض العقائد الفاسدة في الفكر العقدي الإسلامي، ولكن الحديث عنه سوف يكون عند الحديث عن أهل الكتاب والمسائل العقدية التي أثاروها في المجتمع الإسلامي.

أما مصدر هذه المقولة المجوسية فهو سنسويه، الذي كان يسكن بالبصرة وكان على النصرانية، ثم أسلم ثم ارتد إلى النصرانية وهو من الأساورة[٢].

ولا يوجد الكثير عنه وعن أصوله وحياته إلا ذكر لقياه لمعبد الجهني وتلقينه الفكر المجوسي في القدر وحرية الإرادة[٣].

ج: التشيع لآل البيت المأخوذ من تقديس العائلة الحاكمة عند المجوس:

مرّ فيما سبق قول الغزالي في كتابه (فضائح الباطنية)، كيف أن جماعة من المجوس من المزدكية و المثنوية وملاحدة الفلاسفة قرروا أن ينتسبوا إلى آل البيت والتباكي على ما حل بآل محمد ﷺ، وكيف أنهم اتخذوا من التشيع لآل البيت ستاراً وغطاءً لكل حركة تهدف إلى حرب الإسلام باطناً وتوالي آل البيت ظاهراً[٤].

هذا من جانب، ومن جانب آخر ففكرة وجود عائلة تُعنى بإقامة الدين، ومنها يخرج القادة الدينيون للأمة، فهذه فكرة فارسية انتقلت إلى الفكر الإسلامي عن طريق دخول المجوس إلى الإسلام. وفي الآتي بيان ذلك:

التستر بالتشيع لحرب الإسلام والأصل الفارسي لهذه الفكرة:

لقد كان حب آل البيت مدخلاً لكثير من الطوائف الفاسدة، وكم ظهرت من الفرق، بعضها تدعي حب آل البيت، تنتسب لهم وتتمسح بقربهم، ولكنها في باطنها فرق تكيد للإسلام والمسلمين،

---

١ غيلان الدمشقي، قبطي، قدري، أخذ القدر عن معبد الجهني، يكنى بأبي مروان، ناظره الإمام الأوزاعي، وعاد غيلان عن ضلالاته في عهد عمر بن عبد العزيز، وبعد وفاة عمر بن عبد العزيز عاد غيلان إلى القول بالقدر، فصلبه هشام بن عبد الملك بباب دمشق. أنظر: المعارف لابن قتيبة، مرجع سابق، ص٤٨٤، و أنظر تفصيل هذه المناظرات في الفرق الإسلامية، د. عطا الله المعايطة، مرجع سابق ص٣٥٠ و ما بعدها.

٢ قوم من العجم نزلوا في البصرة.

٣ أنظر: الفرق الإسلامية، د. عطا الله المعايطة، مرجع سابق، ص٣٠٧.

٤ الغزالي، فضائح الباطنية، مرجع سابق، ص١٨، وص١٩ – باختصار وتصرف .

تعبث بالعقائد وتزور التاريخ والأفكار، وقد جاوزت هذه الفرق الحد الشرعي في حب آل البيت، ورفعتهم من منزلة بشر إلى منزلة الإله، ونسبت إليهم القدرات والمعجزات، واستباحت باسمهم الأموال والأعراض والدماء.

والقدر الشرعي في حب آل البيت هو بحبهم ونصرتهم والدعاء لهم وتوليهم، وذلك لقربهم من رسول الله ﷺ و لوصيته بهم.

قال تعالى: (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**) [الأحزاب: ٣٣].

يقول شيخ الإسلام: "ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم محمد ﷺ، ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم، ويحفظون وصية رسول الله ﷺ فيهم حيث قال يوم غدير خم: " أذكركم الله في أهل بيتي" [١].

ولقد كان أكثر من يدعي حب آل البيت ويبالغ في الانتساب إليهم هم من غير العرب، جعلوا حب آل البيت وسيلة وذريعة لإدخال بدع عقائدهم وأهوائهم إلى المسلمين[٢].

١ صحيح مسلم، مرجع سابق، ج٤، ص١٨٧٣، حديث رقم ٢٤٠٨، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب.

٢ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، العقيدة الواسطية، سلسلة المتون العلمية متون التوحيد والعقيدة، دار ابن عمر، ط١، ٢٠٠٤، ص٢٤١.

ومن الفرق الضالة التي انتسبت إلى آل البيت ظلماً وزوراً وعدواناً:

الجارودية، والسليمانية، والباقرية، والناموسية، والعمادية، والشمطية، والإسماعيلية، والمباركية، و الممطورية،، وكل فرقة من هذه الفرق تنتسب إلى رجل من آل البيت تسمت به وتعصبت له، و قد ذكر كامل مقالاتهم الإمام الرازي في كتابه (اعتقادات فرق المسلمين) [١].

وهناك فرق الغلاة مثل: السبئية والبنانية والخطابية و المغيرية والمفوضية والغريبة والنصيرية والأزلية [٢].

ومعظم هذه الفرق تقول بألوهية علي بن أبي طالب، ولها أقوال شاذة في الإيمان والوحي. وهناك الفرقة الهاشمية التي كانت تقول أن الإمامة لآل عباس، وقد تبناها أبو مسلم الخرساني ليكيد لبني أمية، وفرقة الراوندية تجعل الإمامة حقاً لآل العباس[٣].

وهذه الفكرة - أي وجود عائلة لا قيامة للدين إلا بها - هي فكرة فارسية دخيلة، فقد وجد في المجوسية بعض القبائل الفارسية كقبيلة **(المغان)** التي تحتكر الحق في الإشراف على بيوت النار التي يقيمون فيها شعائرهم الدينية، وكذلك عائلة **(مبديا)**، وهي عائلات مقدسة يخرج منها فقط

---

١ الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص٥٢ وما بعدها،قال:.......
- الباقرية: وهم يقولون إن الإمامة لما بلغت الى محمد بن علي الباقر حتمت عليه وهو لم يمت ولا يموت لكنه غائب.
- الناموسية: وهم يقولون إن جعفرا لم يمت لكنه غايب وهو الإمام.
- العمادية: وهم يقولون إن الإمام بعد جعفر الصادق ولده موسى.
- الشمطية: وهم يقولون إن الإمام بعد جعفر الصادق ولده موسى.
- الأسماعيلية: وهم يقولون إن الإمام بعد جعفر الصادق إسماعيل بن جعفر ولكن لما مات.إسماعيل في حال حيوة أخيه عادت الإمامة الى أخيه
- المباركية: وهم يقولون إن إسماعيل لما مات انتهت الإمامة الى ولده محمد بن إسماعيل دون أخيه.
- الممطورية: وهم قوم يقولون إن موسى بن جعفر لم يمت بل هو غائب..

٢ الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص٥٦ وما بعدها قال: وأما الغلاة منهم فهم فرق كثيرة منها:
- السبابية: أتباع عبد الله بن سبا وكان يزعم أن عليا هو الله تعالى.
- البنانية: أصحاب بنان بن اسماعيل الهندي ويزعمون أن الله تعالى حل في علي رضى وأولاده.
- الحطابية: وهم يزعمون أن الله تعالى حل في علي ثم في الحسن ثم في الحسين ثم في زين العابدين ثم في الباقر في الصادق.
- المفوضية:وهم قوم يزعمون أن الباري تعالى خلق روح علي وأرواح أولاده وفوض العالم إليهم.
- الغرابية: قالوا علي بمحمد أشبه من الغراب بالغراب وقالوا إن الله تعالى أرسل جبريل الى علي فغلط جبريل وأدى الرسالة الى محمد لتأكد المشابهة بين علي ومحمد عليه السلام.
- النصرية: وهم يزعمون أن الله تعالى كان يحل في علي في بعض الأوقات وفي اليوم الذي قلع علي باب خيبر كان الله تعالى قد حل فيه.
- الأزلية: وهم يزعمون أن عليا قديم أزلي وكذلك عمر بن الخطاب أيضا قديم أزلي إلا أن عليا كان خيرا محضا وعمر كان شرا محضا وكان يؤذي عليا دائما وكأنهم اقتبسوا هذه المقالة من المجوس.

٣ المرجع السابق، ص٦٣.

الحكام وسدنة بيوت النار[١]، فالفرس ينظرون إلى ملوكهم كأنهم كائنات إلهية اصطفاهم الله للحكم بين الناس، وخصّهم بالسيادة وأيدهم بروح من عنده[٢].

فالمغالاة في التشيع لآل البيت إحياء لعقائد زردشت و مانو و مزدك، وكل الذي فعلوه أنهم استبدلوا عائلة المغان بآل البيت وقالوا للناس إن آل البيت هم ظل الله في الأرض وإن أئمتهم معصومون، وتتجلى فيهم الحكمة الإلهية[٣].

فقد صبغ الفرس عقائدهم بصبغة إسلامية، فنظرة الشيعة في علي وأبنائه هي نظرة آباء الفرس الأولين من الملوك الساسانيين، فثنوية الفرس كانت منبعاً يستقي منه الرافضة في الإسلام[٤].

من صور تأثير المجوسية في التفكير الإسلامي

لم تدخل المجوسية إلى التفكير العقدي الإسلامي جهاراً ونهاراً، بل تسللت خلسة، بمكر دُبر ليلاً ونهاراً، تمالأ عليه المجوس فيما بينهم، على اختلاف مواقعهم في الدولة العباسية التي كانت في حضن الفرس.

- فإن أهم المناصب في الدولة العباسية كانت **الوزارة**، وكان كل الوزراء من الفرس، فأبو سلمة الخلال – أول وزير – مولى فارسي، وأبو أيوب المورياني وزير المنصور فارسي، ويعقوب بن داود وزير المهدي مولى فارسي، ويحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد فارسي، وكذلك أبناء سهل وهم من أولاد ملوك الفرس، وكذلك أحمد بن يوسف، وثابت بن يحيى. فكل الوزراء من الفرس، وكانوا يقومون مقام الخليفة في كل الشؤون المالية والحربية والمراسلات[٥].

- وكذلك الأمر في أعوان الوزراء وهم: **الكُتّاب**، فقد كان لكل وزير كاتب يكتب مراسلاته ويصوغ مضمونها. وطائفة الكُتّاب كان أكثرهم من الفرس، يظهرون بمظاهر الفرس في اللباس، وفي المواكب حين يتنقلون. وقد عمل الوزراء والكُتّاب على إدخال الثقافة الفارسية إلى الثقافة العربية، فأدخلوا حِكم بزرجمهر الفارسي، وتاريخ الفرس، وأقوال كسرى[٦].

---

١ الغريب، عبدالله محمد، وجاء دور المجوس، مكتبة الرضوان، ط١، ٢٠٠٥ م،، ص٢٩، وص٦١.
٢ أمين، أحمد فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١٠، ١٩٦٩م فجر الإسلام، ص١١١.
٣ وجاء دور المجوس، عبدالله محمد غريب، ص٦١.
٤ فجر الإسلام، أحمد أمين، ص١١٢.
٥ أمين، أحمد، ضحى الإسلام، الهيئة العامة للكتاب، مصر ج١، ص١٨٤ وما بعدها و سوف أتحدث عن الترجمة و دورها فيما بعد.
٦ ضحى الإسلام، ج١، ص١٨٦ وما بعدها، حيث ذكر المؤلف تأثير الفرس على اللغة والأدب والألفاظ والأمثال.

وقد عمد الفرس إلى ترجمة الكتب الفارسية إلى اللغة العربية، ومن أشهر المترجمين: عبد الله ابن المقفع، والحسن بن سهل، والبلاذري، ومحمد بن الجهم البرمكي[١].

وقد كان بعض الخلفاء العباسيين قد نشأ نشأة فارسية فتأثروا بهذه التربية وظهر ميلهم إلى نقل الثقافات الأجنبية، وهذا بدوره أدّى إلى دخول كثير من العقائد الفارسية وأقوالهم الدينية في الجماعة الإسلامية[٢].

وقد كان عصر المأمون[٣] هو العصر الذهبي للترجمة حيث نشط هذا الأمر، واحتذى بعض الأغنياء بالمأمون فقاموا بإغداق الأموال على المترجمين مثل عائلة بني موسى بن شاكر[٤].

وحتى فكرة تبني المأمون لترجمة كتب الثقافات الأخرى، تجد أنها فكرة قام بها ملوك الفرس من قبل، فقد قام الملك الساساني الفارسي أردشير بابك بترجمة كتب الثقافات الأخرى وبعث بطلب كتب من الهند والروم والصين، وكذلك كان الشأن في عهد ابنه سابور، وعهد كسرى أنوشروان[٥].

فلعل ترجمة المأمون لكتب الحضارات الأخرى ما هي إلا تكرار لما فعله ملوك الفرس. وبإيحاء للمأمون من حاشيته الفارسية.

- وقد سعى الفرس في الدولة العباسية إلى تغيير شعار الدولة العباسية من اللون الأسود إلى اللون الأخضر، وهو شعار ملوك الفرس ولباس كسرى[٦].

---

١ المرجع السابق، ص١٩٢.
٢ البهي، محمد، الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، دار غريب للطباعة، ط١، ص١٦٥، وما بعدها – باختصار.
٣ المأمون، الخليفة أبو العباس، عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي، وُلد سنة ١٧هـ، قرأ العلم والأدب والأخبار، أمر بتهريب الكتب، وعمل الرصد فوق جبل دمشق، دعا إلى القول بخلق القرآن، كان حازماً وصاحب رأي وعقل وهيبة. أنظر: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٢٧٣.
٤ الجانب الإلهي، ص١٧١، وص١٧٢ – باختصار – عائلة موسى بن شاكر:." محمد بن موسى بن شاكر، أبو عبد الله: عالم بالهندسة والحكمة والموسيقى والنجوم. وهو أحد الاخوة الثلاثة الذين تنسب إليهم حيل بني موسى، في الميكانيك وهم مشهورون بها. واسم أخويه أحمد والحسن. وكانوا مقربين من المأمون العباسي يرجع إليهم في حل ما يعسر عليه فهمه من آراء متقدمي الحكماء. وكانت لهم همم عالية في تحصيل العلوم القديمة وكتب الاوائل، أنظر الأعلام، الزركلي، مرجع سابق، ج٧، ص١١٧
٥ ضحى الإسلام، أحمد أمين مرجع سابق، ج١، ص١٩٤.
٦ ضحى الإسلام، أحمد أمين مرجع سابق، ج١، ص٢٠٠.

- وكذلك أرادوا أن تكون عاصمة الخلافة هي مرو وهي في بلاد فارس وعاصمة إقليم خراسان في وسط بلاد الفرس[١].

- بل إنهم تمادوا كثيراً وأرادوا إدخال النار إلى بيوت الله عز وجل وإلى المساجد، فأشاروا على الخليفة العباسي الرشيد بأن يتخذ في جوف الكعبة مجمرة يتبخر عليها العود أبداً، فعلم الرشيد أنهم أرادوا من ذلك عبادة النار في الكعبة، وأن تصير الكعبة بيت نار فكان هذا أحد أسباب قبض الرشيد على البرامكة[٢].

وتتبع كل أعمال الفرس المجوس التي أثروا بها على التفكير العقدي الإسلامي أمر بطول ذكره، ولكن يكفي:

- أن أول باطني في الأرض كان هو عمار بن بديل[٣] وكان من المزدكيين[٤].

-وأن مانوياً واحداً من أتباع ماني قد وضع أربعة آلاف حديث كذبها على رسول الله ﷺ وهو عبد الكريم بن أبي العوجاء الذي قال ساعة إعدامه: "أما والله لئن قتلتموني، لقد وضعت عليكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحل بها الحرام، ولقد فطرتكم في يوم صومكم وصومتكم في يوم فطركم"[٥].

فهذه الأمثلة وغيرها الكثير مما يظهر أن الفرس بعقائدهم المختلفة قد أوجدوا بيئة عقدية فاسدة، سربوا من خلالها كفرهم وزندقتهم قبل أن يُفطن إليهم ويظهر عوارهم.

---

١ حيث كان المأمون والياً أصلاً على خراسان، ومقيم في عاصمتها مرو.

٢ الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي،مرجع سابق، ص٢٥٠.

٣ عمار بن بديل: كان واليا على خرسان و بعد أن نزل مرو غير أسمه إلى بخاش تبعه أناس كثير ور خص لهم في النساء، و كان أول باطني في الأرض، و كانت نهايته بأن قتله أسد بن عبدالله القسري أنظر: المقدسي، المطهر بن طاهر، البدء و التاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بدون تاريخ، ج٦، ص ٦٠ و ٦١

٤ نشأة الفكر الفلسفي، ج١، ص٢٠٥.

٥ المرجع السابق، ص٢٠١. عبد الكريم العوجاء، خال معن بن زائدة، تلميذاً لحماد، وكان حماد لا يحفظ، وكان عبد الكريم يدس الأحاديث في كتبه. قال عنه ابن حجر: زنديق. أنظر: ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي لسان الميزان،، مكتبة المطبوعات الإسلامية، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ج٥، ص٢٤١.

المطلب الثاني: أثر الديانات الهندية في التفكير العقدي الإسلامي

شبه القارة الهندية بحر من اللغات والأديان. كان بداية دخول الإسلام إليها سنة أربعٍ وأربعين هجرية، حين غزاها المهلب بن أبي صفرة[١]، وكان هذا أول احتكاك للمسلمين بهذه البلاد. وهم أمة كبيرة وملة عظيمة، منهم البراهمة و الدهريون وأصحاب الروحانيات وأصحاب الهياكل، ومنهم عبدة الأصنام والحكماء[٢].

وأديان الهند أثرت في التفكير العقدي الإسلامي بعد أن وفد بعض من أبناء الهند إلى بلاد المسلمين كالسمنية، أو بعدما احتك المسلمون بإحدى ديانات الهند وهي البوذية.

والأثر الذي تركته الديانات الهندية لا يقل خطراً وإفساداً عن الخطر الذي أحدثته الديانة الفارسية؛ فكلا الفرقتين خلفا في ديار الإسلام بذور الفرق الضالة التي أنبتت معتقدات فاسدة ودخيلة ومستوردة، مما أفرز المزيد من الفُرقة والاختلاف بين أبناء الإسلام.

أولاً: السُمنية وأثرها على التفكير العقدي الإسلامي:

١- السمنية و الجهم بن صفوان[٣]:

السمنية: من فلاسفة الهند السفسطائيين على معتقد البراهمة، يعبدون الأصنام، وينكرون الصفات التي لا تدرك بالحواس حتى ولو كانت متواترة، وينفون وقوع المعرفة بالنظر والاستدلال، ولهم عقائد عدّة منها: القول بالتناسخ، وإنكار المعاد والبعث، ويقولون بقدم العالم[٤].هذا تعريف بهذه الطائفة والتي هي أصلاً من بلدة سومنات في الهند، وهي فرقة مغمورة مجهولة، لا تُعرف في بلاد المسلمين إلا أن أفكارها قد لاقت رواجاً كبيراً، وأحدثت في عقائد المسلمين شرخاً عظيماً، وغيرت وبدلت في مسائل الصفات – بالذات – بمسائل ومباحث لم تكن معروفة أو مطروقة من مبعث رسول الله ﷺ إلى أن ناقشهم الجهم بن صفوان في المسائل مع هذه الفرقة فقد"

---

١ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام وفيات المشاهير، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٨٧، ج٤، ص١٢، حوادث سنة ٤٤ هـ.

٢ الملل والنحل، مرجع سابق، ص٤٥٠.

٣ أنظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان ت٧٤٨هـ، سير أعلام النبلاء ج٦، ص ٢٦: جهم بن صفوان أبو محرز الراسبي، مولاهم، السمرقندي، الكاتب المتكلم، أس الضلالة، ورأس الجهمية، كان صاحب ذكاء وجدال، كتب للامير حارث بن سريج التميمي. وكان ينكر الصفات. وينزه الباري عنها بزعمه، ويقول بخلق القرآن. ويقول: إن الله في الامكنة كلها.قال ابن حزم: كان يخالف مقاتلا في التجسيم وكان يقول: الايمان عقد بالقلب، وإن تلفظ بالكفر.قيل: إن سلم بن أحوز قتل الجهم، لانكاره أن الله كلم موسى.

٤ أنظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن ابي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، ط٩، ١٩٨٨م، ص٥٢٣. والتبصير في الدين للاسفراييني، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٣، ص١٤٩. والتنبيه والرد للمطلي، مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩٣، ص٧٥، والرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد، دار الثبات، ط١، ٢٠٠٢، ص٩٣ وما بعدها. البغدادي، الفرق بين الفرق،، مرجع سابق، ص٢٣٥. و بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية، مؤسسة قرطبة، ج٢، ص١٤٩.وأنظر: لسان العرب، مرجع سابق، مادة س م ن، ج٧، ص٢٦٤.

ابتدءوا معه الجدال بالحديث عن مصدر المعرفة الصحيح المتيقن (وهى أكبر قضية فلسفية على الإطلاق، وأصل كل بحث ونظر) وكانت فلسفتهم تقوم على أن المصدر للمعرفة الحواس الخمس، ولما نازلهم جهم وهو جاهل بدينه خال من مصدر اليقين الأصلي - وهو الوحي - حصروه وأفحموه "[١]،و دار بين السمنية والجهم حوار عن الله عز وجل فقالوا له:

" نكلمك فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك " فوافق، فسألوه: ألست تزعم أن لك إلهاً؟ قال الجهم: نعم، فقالوا له: فهل رأيت إلهك؟، أو سمعت كلامه؟ أو شممت له رائحة؟ أو وجدت له مجساً؟ قال: لا. فقالوا: فما يدريك أنه إله؟ فتحير الجهم فلم يدْرِ من يعبد أربعين يوماً، ثم إنه استدرك حجة مثل حجة زنادقة النصارى فقال للسمني: ألست تزعم أن فيك روحاً؟ قال: نعم، فقال: هل رأيت روحك؟ قال: لا. قال: فهل سمعت كلامه؟ قال: لا. قال: فهل وجدت له حساً؟ قال: لا. قال: كذلك الله لا يرى له وجه ولا يسمع له صوت ولا يُشم له رائحة، وهو غائب عن الأبصار ولا يكون في مكان دون مكان.

ووجد ثلاث آيات من المتشابه قوله: (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**) [الشورى: ١١]، (**وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأرض**) [الأنعام: ٣]، (**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ**) [الأنعام: ١٠٣][٢].والذي فعله الجهم بهذا الجواب أنه صاغ عقائد المسلمين في الله عز وجل وفصلها بما يناسب أسئلة السُمنية. بدلاً من أن يرد شبهاتهم القائمة على مبدأ باطل وهو قياس الغائب على الشاهد من كل وجه، أي قياس صفات الخالق على صفات الخلق، فبدلاً من ذلك وقع بحبائلهم وخرج بعقيدتهم من حيث لا يدري؛ فإن بعض خواص الهنود تُسمي الله تعالى (نقطة)، ليبرئه بها عن صفات الأجسام[٣].

---

١ الحوالي، سفر بن عبدالرحمن، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، دار الكلمة للنشر و التوزيع، ط١، ١٩٩٩م، ص٢٦٧

٢ حنبل، أحمد بن حنبل، ت ٢٤١هـ، الرد على الجهمية والزنادقة، دار الثبات للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٣، ص٩٣ وما بعدها.

٣ البيروني، محمد بن أحمد ت ١٠٤٨هـ، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذوله، بدون تاريخ، ص١٢.

فكان جواب الجهم والآيات الثلاث التي استدل بها كلها تدعم عقيدة الهنود في أن الله ليس له صفة، وكان الأصل أن يكون رده هو تقرير صفات الله عز وجل كما تعرفها أمة الإسلام وأن لا يجاريهم في ضلالهم، بل يستند إلى الكتاب والسنة فالكون كله يدل على وجود الخالق، ويدل على صفاته حتى ولو لم تر هذا الخالق أو تلمسه أو تشمه. و لكن الجهم كان فصيح اللسان ولكن قاصر الحجة وقليل العلم، فهو لا يعرف له شيخ و لا يعرف له مجلس جَلَسَهُ لطلب العلم[١].

والسمنية بجدالهم للجهم لم يقصدوا إلا أن يدخلوا الجهم في عبادة الأصنام التي كانوا يلمسونها بأيديهم ويتصلون معها بحواسهم، إلا أن الجهم لم يتحول لعبادة الأصنام، ولكنه جاء بإله جديد لا وصف له. و لم يفطن الجهم إلى أن الهنود يحولون كل صفة معنوية لإلههم إلى وثن يحتفظون به في بيوتهم، فعندهم أصنام كثيرة، صنم للرزق، وآخر للذرية، وثالث للشفاء؛ فكل صفة لإلههم حولوها إلى صنم يُلمس و يُجسم[٢]، فهم مؤمنون أن لإلههم صفات ولكنها ملموسة وليس كما نؤمن بها في الفكر الإسلامي صفات غيبية.

فكانت النتيجة أن السمنية يجسدون صفات الخالق عندهم، والجهم ينفي صفات الله عز وجل، وهم لم يطلبوا من الجهم نفي الصفات لأنهم يؤمنون بها مجسمة، ولكنهم أرادوا منه أن يتابعهم في وثنيتهم، لكن الجهم رفض ذلك وجاء بعقيدة جديدة تشابه السمنية، من جهة أن السمنية لا تؤمن بالصفات الغيبية، و جاء بإله لا يوجد له صفات غيبية.

٢- كيف أثرت مقولات السمنية في معتقدات الجهم بن صفوان؟

ليس المقصود نقل كل آراء الجهم بن صفوان الاعتقادية، فهذا ما يطول نقله أولاً، وثانياً؛ فقد عُني الكثيرُ من الباحثين[٣] في تناول المسائل العقدية التي خالف بها الجهم بن صفوان، وتابعوها مسألة تلو الأخرى بما يكفي ويشفي ويظهر الحق.

و فعل الجهم بن صفوان كان مقدمة لظهور العديد من الفرق المقولات و التي تعتمد كل واحدة منها على نفي صفة من صفات الله، فهناك من نفى رؤية الله و آخر نفى صفة الكلام و ثالث

١ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ، مختصر العلو للعلي الغفار، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤١٢هـ، ص٧٥.
٢ أبو زهرة، محمد، الأديان القديمة، بدون تاريخ، ص٢٨. شلبي، أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة، ط١١، ٢٠٠٠م، ص٣٢.
٣ أنظر مثالاً على ذلك: مقالات الجهم بن صفوان، تأليف ياسر القاضي، أضواء السلف، ط١، ٢٠٠٥م، فقد أورد بها الباحث معظم أقوال الجهم بن صفوان وردّ على كثير منها، وأحال إلى دراسات أخرى عن الجهم بن صفوان.

نفى العلو و هكذا؛ فإن الجهم كان مفتاحاً و باباً لغيره للتجرؤ على القول بصفات الله بغير علم وأسوق هنا بعضاً من أهم المسائل العقدية التي أثرت فيها مناقشة السمنية للجهم بن صفوان[١].

أ): أثر فلاسفة السمنية على مسمى الإيمان:

سبق في تعريف السمنية بأنهم طائفة من فلاسفة[٢] الهند، وهم يظنون أن كمال النفس في مجرد العلم، وهذا قول الجهم في أن الإيمان هو مجرد العلم[٣].

فطبق الجهم بالحرف والنص رأي الفلاسفة على مسمى الإيمان، بل إنه حصر الإيمان بجانب ضيق من الجوانب وهو العلم فقط بالله عز وجل، ولم يتبع ذلك لا بإقرار اللسان ولا بالعمل بالجوارح، فكانت النتيجة مشوهة؛ لأن نتيجة قوله إثبات الإيمان لفرعون وإبليس؛ لأن كلاً منهما يعلم بوجود الله عز وجل.

يقول عبيد بن سلام: "... ثم حدثت فرقة ثالثة... شذت عن الطائفتين جميعاً، ليست من أهل العلم ولا الدين، فقالوا: الإيمان معرفة بالقلوب لله وحده، وإن لم يكن هناك قول ولا عمل، وهذا منسلخ عندنا من قول أهل الملل الحنفية لمعارضته كلام الله ورسوله ﷺ بالرد والتكذيب[٤].

فقد وصف العبيد بن سلام أصحاب مقولة أن الإيمان هو المعرفة فقط بأنهم ليس عندهم علم ولا دين، وأنهم خارجون عن الملة عاداً إياهم مكذبين لكتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ.
وقد بيّن – رحمه الله – في بداية كتابه اعتقاد المسلمين في الإيمان فقال: " الإيمان بالإخلاص لله بالقلوب وشهادة الألسنة وعمل الجوارح، وقال: فوجدنا الكتاب والسنة يصدقان الطائفة التي جعلت الإيمان بالنية والقول والعمل جميعا " [٥].فالجهم لم يقل بإيمان القلب ولا بعمله بل حصر الإيمان بمجرد معرفة الله عز وجل، و معرفة الله أمر ينطبق على كل البشر مع اختلاف مللهم و أديانهم و معتقداتهم، و قلما أن تجد إنساناً لا يعرف الله عز وجل.

ب): أثر مقولة السُمنية على صفة الكلام لله عز وجل:

---

١ هناك مسائل عقدية تأثر بها الجهم من جانبين الأول: السمنية، والثانية: تأثير أهل الكتاب، وسوف أتحدث عن أهل الكتاب وتأثيرهم في مبحث مستقل.
٢ و قد عدهم من الفلاسفة السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم ت ١١٨٨هـ، لوامع الأنوار البهية و سواطع الأنوار الأثرية، مؤسسة الخافقين – دمشق،ط٢، ١٩٨٢، ص٢٣٣ و كذلك أنظر الطحاوية مرجع سابق، ص٥٢٣
٣ مجموع الفتاوى، مرجع سابق، ج٢، ص٩٤.
٤ ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام ت ٢٢٤هـ، كتاب الإيمان، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٠م، ص٦٠، ص٦١.
٥ المرجع السابق، ص١٠.

سبق بيان أن السُمنية تركت الجهم وهو يعبد رباً لا صفة له، وانعكس هذا على صفة الكلام التي عطلها الجهم وبنى عليها بأنه إذا كان الله عز وجل لا يتكلم فالقرآن الذي بين أيدينا ليس من كلامه بل هو أحدُ مخلوقاته، وقول الجهم هذا مخالف لإجماع المسلمين الذي نقله الآجري، فقال الآجري ت (٣٦٠)هـ:

لم يختلف أهل الإيمان أن القرآن كلام الله تعالى؟ فلما جاء جهم بن صفوان فأحدث الكفر بقوله: القرآن مخلوق لم يسع العلماء إلا الرد عليه بأن القرآن كلام الله غير مخلوق بلا شك، ولا توقف فيه "[١]. وخطورة هذه المقالة أن مآلها إلى إبطال الشرع، وإبطال ما أنزل الله عز وجل، فنفي صفة الكلام يقود إلى نفي جميع الصفات، وإبطال للوحي، وللأمر والنهي"[٢].

وقد أدّت هذه المقولة فيما بعد إلى ابتلاء المسلمين وامتحان العلماء في مسألة خلق القرآن أيام الخليفة المأمون، حيث ضُرب بها الإمام أحمد بن حنبل، وثبت على قوله بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، حتى نصر الله عز وجل به الأمة[٣].

ج): أثر مقولة السُمنية على عقيدة الإيمان بالقدر:

لقد منع الجهم إطلاق أي اسم أو صفة على الله عز وجل إذا اشترك هذا الوصف مع المخلوقين؛ لذا فإن الجهم لا يسمي الله سميعاً أو بصيراً؛ لأن هذه الأسماء وما تحمله من صفات تنطبق على المخلوقين؛ لذا ما كان من جهم إلا أن حصر أسماء الله عز وجل بما لا ينطبق إلا على الله عز وجل، من ذلك: القادر والخالق والفاعل حيث لا يوصف أي من خلقه بأنه قادر أو خالق أو فاعل[٤].

وبإثبات الجهم أن لا فاعل حقيقة إلا الله جعل الإنسان لا يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله ولا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار، وتنسب الأفعال للإنسان مجازاً كما تنسب إلى الجماد مثل قول: جرى الماء وتحرك الحجر[٥]. فكانت النتيجة نبتة خبيثة جديدة أنبتت عقيدة الجبر، وهي عقيدة فاسدة تلغي الإرادة الحرة والاختيار للمكلف، وتجعل منه أداة للتنفيذ بدون أي دور له في حياته.

---

١ الآجري، محمد بن الحسين الآجري ت ٣٦٠هـ، كتاب الشريعة، تحقيق: عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن، ط١، ١٩٩٧م، ج٢، ص٥٢٨، باب ذكر النهي عن مذاهب الواقفة.

٢ الدارمي، عثمان بن سعيد ت ٢٨٠هـ، الرد على الجهمية، الدار السلفية، ط١، ١٩٨٥م.

٣ ابن بطة، عبد الله بن محمد بن بطة العكبري ت ٣٨٧هـ، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، تحقيق: يوسف بن عبد الله الوابل، دار الراية، ط١، ١٤١٥هـ، الكتاب الثالث، المجلد الأول، ص٢١٣.

٤ الملل والنحل، مرجع سابق، ص٧٢.

٥ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، مؤسسة قرطبة، ج٢، ص٤١٩.

- أين أخطأ الجهم بن صفوان؟

لقد كان لمقولات الجهم أسوأ الأثر في التفكير العقدي الإسلامي، وقد نشأ في ترمذ وعاش في سمرقند، وفي مدينة بلخ، ومرو، وزار الكوفة، وظهر بخراسان[١].

وهي كلها بلاد غير عربية باستثناء الكوفة، حيث إن هذه المدن تلتقي بها عقائد المسلمين بعقائد الوثنيين فينشأ الناشئ بها على عقيدة المسلمين من جهة وعلى تأثره بعقائد وأفكار الوثنيين من جهة أخرى.

وهكذا نشأ الجهم، وبما أنه كما سبق نقله كان لا يعرف العلم، ولم يجالس العلماء، فكان الأولى به أن لا يعرض نفسه للشبهات، ولا يستشرف للفتن، فقد عرض نفسه وعقيدته إلى فتن كثيرة، وكانت نفسه قد ملئت هوى وحباً للنقاش والجدال مع فراغ جعبته من العلم والفهم السليم، فافتتن في عقيدته وزاغ قلبه وظهر ذلك على عمله[٢].

ولو أنه أخذ بهدي رسول الله ﷺ حيث قال: (ستكون فتن كريح الصيف... من استشرف لها استشرفته) [٣].فقد تعرض الجهم للفتن فافتتن، واستشرف لها فاستشرفته، **فالتصدي للفتنة** كان أول زلات الجهم، ثم أنه أضاف إلى ذلك **أنه لم يرجع إلى أهل العلم** ليسألهم ويستفسر منهم عملاً بقوله تعالى: **(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ)** [النحل: ٤٣]. بل غلب عليه حب الجدل والنقاش فحرمه من سؤال أهل العلم، فزل مرة ثانية وزلّت معه فرق وطوائف.

ثانياً: تأثير البوذية في التفكير العقدي الإسلامي:

١- تعريف البوذية و مكان التقائها بالمسلمين:

البوذية وتنسب إلى بوذا (أي المستنير)، وهو سدهارتا أمير من مملكة صغيرة في شمال الهند قرب جبال الهملايا. كان سدهارتا شاباً مُرفهاً من طبقة البراهمة، والتي كانت أعلى الطبقات في المجتمع الهندي. وقد تزوج سدهارتا وهو صغير ورزق بمولود، وفي إحدى جولاته داخل بلاده لاحظ بؤس الفقير، وضعف الشيخوخة، ووجع المريض، وبشاعة الموت. كل هذه مشاهد واجهها في جولته وتركت في نفسه تساؤلات كثيرة عن السعادة في الحياة، وعن أسباب الشقاء في هذه الدنيا.

---

١ مقالات الجهم، ياسر القاضي، مرجع سابق، ج١، ص٧٥.
٢ مقالات الجهم، ياسر القاضي، مرجع سابق، ج١، من ص ٨٦ إلى ص٩٩ بتصرف و اختصار.
٣ ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد ت ٣٥٤هـ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان،تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة، ج١٣، ص٢٩١، ذكر البيان بأن اختلاط الفتن بالمرء على حسب استشرافه لها، وقال الشيخ شعيب إسناده على شرط مسلم.

ولم تتركه هذه التساؤلات حتى ترك كل حياة الترف، وهام على وجهه في الغابات بعد أن لبس ملابس الرهبان وعكف على البحث عن الحقيقة، واختار طريق الألم لإيجادها فعذّب نفسه بالجوع، وبالحر والبرد، و النوم على الحجارة والسير على الشوك حتى كاد يهلك، فما كان منه إلا أن استنار فكرهُ مرةً أخرى بأن الحقيقة لا يمكن أن تكون بالجوع والعذاب، فترك هذه الحياة القاسية، وعاد إلى طعامه وشرابه، ثم إنه اعتكف تحت شجرة، وقال لنفسه: لن أبرح هذا المكان حتى أجد الحقيقة، حتى ولو تقطعت الشرايين، وتشقق الجلد.

وبينما هو على هذه الحالة، إذ بهاتف يهتف به: " أن يا بوذا نعم هناك في الدنيا حقيقة وإن هناك طريقاً للخلاص من الألم والمعاناة ". لقد كانت هذه لحظة الاستنارة المهمة التي لأجلها لقب ببوذا أي المستنير، وقد أصبحت من أهم عقائد البوذية وتسمى النرفانا، وسوف أتحدث عنها لاحقاً، ثم شرع بوذا في نشر ما وصل إليه من حقيقة وأخذ يجمع من حوله الأتباع والمريدين ويعلمهم طريقة الخلاص من المعاناة والألم مكوناً بذلك بدايات البوذية[١].

والبوذية تعد مثالاً واضحاً على نشوء دين أو معتقد أو سلوك بسبب البيئة المحيطة به كردة فعل موافقة أو مخالفة.

فالبوذية بمفرداتها ومباحثها ما هي إلا عكس لمفردات الديانة البرهمية، وهي انعكاس لضيق المجتمع الهندوسي من تسلط الرهبان البراهمة باسم الدين على الشعب، وأكل مقدراته وخيراته، فالبوذية ردة فعل رافضة لنظام الطبقات في الهندوسية ورافضة لتسلط البراهمة على مقاليد الحكم[٢].

لقد حمل بوذا نقمة شديدة على الهندوسية ومبادئها، فما كان منه إلا أن أهمل أهم مسألتين في الهندوسية ولم يتعرض لهما في البوذية، وهي مسألة الإله ومسألة الطبقات.

فبهاتين المسألتين تولد في الهندوسية الألم والمعاناة والفقر، لذا سعى جاهداً إلى رفضها ومحاربتها.

---

١ أنظر: سيرة بوذا وبداية نشأة البوذية في: عجيبة. أحمد علي دراسات في الأديان الوثنية القديمة،، دار الأوقاف العربية، ط١، ٢٠٠٤، ص١٣٦. أبو زهرة، محمد، مقارنة الأديان في الأديان القديمة، نشر معهد الدراسات الإسلامية، بدون تاريخ، ص٥٣.، و الساموك، سعدون محمود، موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة، دار المناهج، ط١، ٢٠٠٢م، ص١١٢. و حلمي، مصطفى الإسلام والأديان،، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٤، ص٦٧. والبولا راهولا – بوذا ، ترجمة يوسف شلبي، الشام، دار ورد، بدون تاريخ، ص١١. و الندوي، محمد اسماعيل،الهند القديمة حضاراتها وأديانها،، دار الشعب، بدون تاريخ، ص١٤٨.

٢ موسوعة الأديان، مرجع سابق، ص١١١. وأنظر: الإسلام والأديان، مرجع سابق، ص٦٦. و مقارنة الأديان، محمد أبو زهرة، ص٥٣.

لذا هو في بعض نقاشاته يسخر من الآلهة، ويصفها بالجهل، ويرفض التضحية في سبيل الآلهة، ورفض كل اعتقاد وكل عبادة لكائنات أعلى من هذه الطبيعة[١].مع أن بعضاً من العلماء والباحثين يعدون بوذا صاحب إيمان في الإله وأنه ليس ملحداً[٢]، بل قالوا لا يوجد أي نص صريح يُظهر أن بوذا ينكر الألوهية[٣].

وفيما يتعلق بالطبيعة فهو يخاطب أتباعه ويدعوهم إلى دعوة الناس إلى دين حر كامل الحرية، بدلاً من الجمود وصناعة الكهنوت، ويفتح طريقاً للخلاص، للكافرين والمؤمنين أن يسلكوه على السواء، ويقول: انتشروا في الأرض كلها وانشروا هذه العقيدة، قولوا للناس أن الفقراء والمساكين والأغنياء كلهم سواء وكل الطبقات في هذه العقيدة الدينية تتحد لتفعل فعل الأنهار تصب كلها في البحر[٤].

فهذا نص يوضح نظرة بوذا إلى الطبقية، وهذه دعوته يوجهها لكل الناس ليدخلوا إلى عقيدة جديدة من دون أي درجات أو تفاوت طبقي.

وقد تعددت أوصاف العلماء في وصف ما جاء به بوذا، وذلك لغموض المسائل الأساسية في أفكاره، فبعض الباحثين عد ما جاء به بوذا هو ديانة[٥]، وبعضهم عدها فلسفة[٦]، وثالث عدها رياضة أخلاقية ومنهجاً خلقياً لتقويم السلوك في المجتمع[٧].

و لكن البوذية تدرس ضمن الأديان و العقائد و ليس ضمن الأخلاق و السلوك و لها كتاب خاص بها يسمى إنجيل بوذا، بل إنها تحوي تشابهاً كبيراً جداً مع النصرانية، فهناك مسائل تصل إلى حد التطابق ما بين عيسى عليه السلام و بوذا [٨]، مما يرجح أن البوذية حركة دينية و ليست مجرد نظام أخلاقي.

---

١ معتقدات آسيوية، مرجع سابق، ص٢٠٧ وما بعدها.
٢مقارنة الأديان، أبو زهرة، مرجع سابق، ص٧٠. وكذلك
٣الندوي،الهند القديمة، مرجع سابق، ص١٥٠.
٤ قصة الحضارة، مرجع سابق، المجلد الأول، ج٣، ص٨١.
٥ دراسات في الأديان الوثنية القديمة، أحمد علي عجيبة، مرجع سابق، ص١٣٨.
٦ موسوعة العقائد، سعدون الساموك، مرجع سابق، ص١١٥.
٧ أبو زهرة، مقارنة الأديان، الأديان القديمة، مرجع سابق، ص٧٠. والهند القديمة، الندوي، مرجع سابق، ص١٤٨.
٨ الشلبي،أحمد، المسيحية، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة، ط ١٠، ص ١٨٣ إلى ص ١٨٨

٢- أين التقت الحضارة الهندية بالحضارة الإسلامية؟

لقد بدأ التقاء الحضارة الهندية بالإسلامية سنة (٩١هـ) حين فتح محمد بن القاسم الثقفي الهند في أيام الوليد بن عبدالملك بن مروان ت (٩٦) هـ، وقد فتح إقليم السند بالكامل، ثم تبع هذا الالتقاء الحضاري حركة علمية نشطة كان من روادها بعض الموالي الذين جلبهم المسلمون من الهند.

و قد أثر الهنود في الثقافة الإسلامية من ناحيتين:

مباشرة: وذلك باتصال الهنود بالمسلمين عن طريق التجارة والفتوحات الإسلامية.

وغير مباشرة: حيث إن ثقافة الهند نقلت إلى العرب بوساطة الحضارة الفارسية[١].

٣_ المسائل العقدية الوافدة إلى تفكير بعض الفرق التي تنسب إلى الإسلام من البيئة البوذية:

أ): مسألة التناسخ

وهي أن الأرواح لا تموت ولا تفنى، ولكنها تنتقل من بدن إلى بدن، كما يستبدل البدن اللباس إذا خَلِقَ، وتنتقل النفس من بدن إلى آخر لتستفيد تجارب جديدة ومعلومات جديدة، وقد ربطوا الثواب والعقاب بالجنة والنار بنظرية التناسخ. وهذه العقيدة كما يقول البيروني: هي شعار الهند، كما أن التوحيد هو شعار المسلمين[٢].

وقد وجدت عقيدة التناسخ لها أرضاً خصبة في بعض الفرق **التي تنسب نفسها** إلى الإسلام، وأقدم من قال بذلك هم السبئية أتباع عبد الله بن سبأ، حيث كانت فرقته تقول بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي[٣]. ثم ظهرت هذه العقيدة في فرق: البيانية، والخطابية، والراوندية، وكلهم يقول بتناسخ روح الإله دون أرواح الناس[٤].

والقائلون بتناسخ الأرواح في البشر منهم: أحمد بن خابط وتلميذه أحمد بن أيوب، وأحمد بن محمد القحطي، وعبد الكريم بن أبي العوجاء.

وقد كانت مقولة أحمد بن خابط – وهو من المعتزلة ثم فارقوه – هي أن الروح لا تزال في هذه الدنيا تتكرر في قوالب وصور مختلفة ما دامت طاعتها مشوبة بذنوبه وعلى قدر طاعته

---

١ ضحى الإسلام، ج١، مرجع سابق، ص٢٤٨ وما بعد – بتصرف واختصار . وأنظر كذلك:، عبد الله مصطفى، البوذية وعلاقة الصوفية بها، أضواء السلف، ط١، ١٩٩٩م، ص٣٦٥ وما بعدها. حيث فصل مواطن وجود البوذية في البلاد التي فتحها المسلمون. وأنظر: نومسك، عبد الله مصطفى علاقة البوذية بالصوفية، مرجع سابق، ص٢١٨ وما بعدها.

٢ البيروني، تحقيق ما للهند، طبعة وزارة المعارف الهندية، ١٩٨٥، ص٣٨.

٣ الملل والنحل، الشهرستاني، مرجع سابق، ص١٤١.

٤ الفرق بين الفرق،البغدادي، مرجع سابق ص ٢٣٦

وذنوبه تكون منازل قوالبه في الإنسانية والبهيمية إلى أن يتمخض عمله إلى الطاعات فيرد إلى النعيم الدائم... أو يتمخض عمله معاصي فينقل إلى النار الدائم عذابها[١]، وهي مقولة البوذية نفسها دون زيادة أو نقصان.

ب - المسألة الثانية: النرفانا البوذية وعلاقتها بالفناء الصوفي:

النرفانا: هي حالة من التشبع الروحي، بالانصراف عن الدنيا كلها، وهي حالة إذا وصل إليها الإنسان تتخلص النفس أثناءها من الشعور والإحساس، ومن الرغبات والشهوات، ومن كافة الصفات البشرية، فتضمحل الكائنات في نظره حتى يصبح لا يشاهد فيها شيئاً، وهي غاية ما يصبو إليه الزاهد البوذي، بعد معاناة شاقة وطويلة[٢].

و النرفانا تتطابق مع أحد أنواع الفناء في الصوفية حيث أن الفناء يراد به ثلاثة أمور:

" **أحدها**: هو الفناء الديني الشرعي الذي جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب وهو أن يفنى عما لم يأمر الله به بفعل ما أمر الله به: فيفنى عن عبادة غيره بعبادته وعن طاعة غيره بطاعته وطاعة رسوله وعن التوكل على غيره بالتوكل عليه وعن محبة ما سواه بمحبته ومحبة رسوله؛ وعن خوف غيره بخوفه بحيث لا يتبع العبد هواه بغير هدى من الله، وبحيث يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما كما قال تعالى: { قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره } فهذا كله هو مما أمر الله به ورسوله وأما (**الفناء الثاني**: وهو الذي يذكره بعض الصوفية وهو أن يفنى عن شهود ما سوى الله تعالى فيفنى بمعبوده عن عبادته و بمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن معرفته بحيث قد يغيب عن شهود نفسه لما سوى الله تعالى فهذا حال ناقص قد يعرض لبعض السالكين وليس هو من لوازم طريق الله ولهذا لم يعرف مثل هذا للنبي صلى الله عليه وسلم وللسابقين الأولين ومن جعل هذا نهاية السالكين فهو ضال ضلالا مبينا وكذلك من جعله من لوازم طريق الله فهو مخطئ بل هو من عوارض طريق الله التي تعرض لبعض الناس دون بعض ليس هو من اللوازم التي تحصل لكل سالك.

وأما الثالث: فهو الفناء عن وجود السوي بحيث يرى أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق وأن الوجود واحد بالعين فهو قول أهل الإلحاد والاتحاد الذين هم من أضل العباد " [٣].

---

١ الفرق بين الفرق، المرجع سابق، ص٢٣٦ وما بعد – بتصرف واختصار .
٢ البوذية وعلاقتها بالصوفية، مرجع سابق، ص٤٠٥.
٣ مجموع الفتاوى، ابن تيمية، مرجع سابق، ج ٣، ص١١ و ما بعدها

ويشترك النوع الثالث من الفناء الصوفي مع النرفانا البوذية بأنهما غاية ما يريده ويقصده الصوفي أو البوذي، وأن كليهما يجهد نفسه إجهاداً بليغاً للوصول إليه، ويسعى لتحصيله بأوعر الطرق وأصعب الوسائل.

الفرق بين النيرفانا البوذية والنوع الثالث من الفناء الصوفي:

الفرق بينهما في نقطة النهاية؛ فالفناء الصوفي يعقبه الاتحاد بالله وشعور الفاني بأنه هو الله وأنه باقٍ جديدٌ في الألوهية.

وأما في النرفانا فإنه فناء تام، ومطلق ونهائي في النفس الكلية حيث لا يبقى وجود ذاتي للفاني، ولا يبقى في نفسه ولا في تفكيره شيء لا إله ولا غيره.[١]

وهاتان النهايتان هما مرتبة الكمال والسعادة عند كل من البوذي والصوفي.

ولم يكن التشابه محصوراً فقط في الرغبة في الحصول على الفناء الصوفي أو النرفانا البوذية، بل أن لكلا الطائفتين طريقاً وسبيلاً مرسوماً يتبعه الصوفي والبوذي، لا يخرجان عنه ولا يخالفانه.

وقد تشابه هذان الطريقان بل تطابقا في بعض مراحلهما مثل:

- لبس الزي: فالصوفي والبوذي له لباس خاص عند دخولهما إلى الصوفية أو المعبد البوذي.
- الخلوة: حيث يقوم كل من الصوفي والبوذي بنفس مظاهر العبادات والقربات نفسها مثل: الصوم، والصمت، والصلاة، والتبتل.
- احترام الشيخ أو المرشد: فكلاهما يقدر شيخه أو مرشده لدرجة تصل إلى التقديس في بعض حالاتها.

١ البوذية و علاقتها بالصوفية، ص ٤٢٠

- الذِكر: فهو من واجبات الراهب البوذي، والذكر هو الذي يساعد على الوصول إلى حالة الوجد في الصوفية[١].

مع أن كل واحدةٍ منها هي مرغوبة و مطلوبة في الإسلام، إلا إنها بمجموعها تعتبر نظاماً وافداً إلا الفكر العقدي الإسلامي.

خلاصة المبحث الأول من الفصل الثاني

مما سبق يظهر أن الديانات الشرقية الثلاث – الفارسية، والهندية و البوذية – قد تركت أثراً على بعض الفرق الإسلامية، وأن الاحتكاك بين الحضارة الإسلامية وهذه الحضارات قد أوجد بيئة جديدة، ظهرت بها معتقدات جديدة.

فكان التواصل بين المسلمين وهذه الديانات سبباً للتبادل المعرفي والعلمي، وكذلك العقدي.

وأن الديانة الفارسية كانت أكثر الديانات الثلاث تأثيراً في التفكير العقدي للمسلمين، ويعود السبب في ذلك إلى تنوع الأساليب الفارسية المجوسية في نشر عقائد الفرس في المجتمع الإسلامي، بما كان لدى المجوسية من أدوات سياسية وعسكرية وفكرية، سهّلت ومهدت لولوج معتقدات الفرس في التفكير العقدي الإسلامي.

---

١ البوذية وعلاقتها بالصوفية، ص٢٩٥ وما بعدها، حيث يشرح طرق الرهبنة عند البوذيين، وص٢٤٥ يذكر فيها طرق الصوفية ويشرحها. وقد فصل البيروني بعض هذه المقالات في كتابه تحقيق ما للهند. أنظر: ص٦٢ وما بعدها.

المبحث الثاني: تأثير البيئة الفكرية لأهل الكتاب في التفكير العقدي الإسلامي

بدأت الدعوة الإسلامية في مكة، وأول من تعامل معها واحتك بها هم أهل مكة، وكانوا على عبادة الأصنام في غالبهم. وقد قاوم أهل مكة دعوة النبي ﷺ وسعوا بكل جدهم إلى إبطالها، وإثارة الشبهات حولها. لكنهم في كل ما قاموا به لم يتجاوزوا عقائدهم السابقة قبل البعثة، فقد عارضوا دعوة النبي ﷺ بعقائدهم السابقة و مثال ذلك: فمن كان يعبد الجن من العرب اتهم رسول الله ﷺ بأن رئياً من الجن يعلمه، لذا قالوا عنه ساحر وكاهن،

وقوله تعالى: (**فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ**) [الطور: ٢٩].

ومن كان ينكر الميعاد والبعث والنشور، قام باستحضار هذه العقيدة ليعارض بها دعوة النبي صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: (**أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إذا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ (٣٥) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧)**) [المؤمنون: ٣٥-٣٧].

ومن كان من أهل مكة ينكر الخلق يجيبه كتاب الله بقوله تعالى: (**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ**) [الطور: ٣٥].

وهكذا حال كفار قريش اجتروا عقائدهم الباطلة السابقة وحاولوا أن يعارضوا بها دعوة الوحي، و لم تكن لهم أسئلة عميقة أو استفسارات دقيقة بل هي عموميات توارثوها و اعتقدوها.

قال تعالى: (**وَإِذا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا**) [لقمان: ٢١].

ولضعف حجج كفار قريش حاولوا أن يستعينوا بأهل الكتاب ليلقنوهم أسئلة وحججاً ليبطلوا بها دعوة النبي ﷺ.

أخرج البيهقي (ت ٤٥٨هـ) في دلائل النبوة " أن مشركي قريش بعثوا النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة وقالوا لهم: سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله؛ فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء.

فخرجا حتى قدما المدينة فسألوا أحبار اليهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفوا لهم أمره ببعض قوله، فقالت لهم أحبار اليهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو

نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول فروْا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم، فإنه كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها وما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هو[١]؟

فهذا النَقْلُ يظهر عجز كفار قريش في مناقشة و محاججة رسول الله ﷺ حتى اضطرهم الأمر إلى سؤال أهل الكتاب في المدينة، ليزودوا معارفهم بما لدى أهل الكتاب من علم سابق، ولعلّ هذا هو الإتصال الأول بين أهل الكتاب والنبي ﷺ، وقد كان اتصالاً غير مباشر.

المطلب الأول: المسائل العقدية التي تحدث بها أهل الكتاب في المدينة النبوية

كان لأهل الكتاب في المدينة المنورة دورٌ كبيرٌ في تهيئة سكان المدينة لفكرة النبي الخاتم الذي اقترب زمانه.

فلقد كان للمشاحنات والنزاعات ما بين يهود المدينة، وبين الأوس والخزرج دوراً في نشر فكرة ظهور النبي المؤيد من الوحي، ذاك النبي الذي عنده علم يفوق علم أهل الكتاب، فكلما اختصم اليهود مع الأوس والخزرج توعدهم اليهود بالنبي الخاتم والذي وجدت صفته في التوراة.

فقد كان اليهود يستفتحون على الأوس والخزرج و يتوعدونهم برسول الله ﷺ قبل مبعثه و يقولون: " إن نبياً مبعوثٌ الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم "[٢]..

وتوعد اليهود لأهل المدينة بالنبي الخاتم كان أمراً قد ذاع وشاع خبره في المدينة وحفظه الأوس والخزرج؛ فعندما كلم رسول الله نفراً من الأوس والخزرج في سنة (١١) للبعثة ودعاهم إلى الإسلام وأخبرهم بأنه النبي الخاتم ونبي آخر الزمان؛ فقال بعضهم لبعض: "يا قوم اعلموا والله أن هذا النبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه"[٣].

ومع معرفة اليهود بمبعث النبي ﷺ وأن هذا زمانه إلا أنهم كفروا به بعدما بعث، فأنزل الله عز وجل بهم: (**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ**) [البقرة: ٨٩] [٤].

---

١ البيهقي، دلائل النبوة، مرجع سابق، ج٢، ص٢٧٠ بعنوان: باب ذكر اسئلتهم لرسول الله ﷺ بمكة.
٢ البيهقي، دلائل النبوة، مرجع سابق، ج٢، ص٤٣٤.
٣ الأصبهاني ، أبو نعيم ت(٤٣٠) هـ ، **دلائل النبوة** ، دار النفائس عمان ، ط١ ، ١٩٨٦م ، ج١ ، ص٢٩٧ ، أثر رقم ٢٢٢
٤ الوادعي، مقبل بن هادي، **الصحيح المسند من أسباب النزول**، مكتبة صنعاء الأثرية - اليمن، ط٢، ٢٠٠٤م، ص٢٠، وقال : إسناده حسن.

وبعد إنكارهم لنبوة محمد ﷺ أخذ اليهود يشككون بدعوته ﷺ وذلك بتوجيه أسئلة دقيقة له بقصد إظهار تفوقهم في العلم، وأن لديهم من العلم بالكتاب أكثر وأدق مما لديه .

ولم تكن أسئلة اليهود مسائل عامة أو استفسارات إجمالية كما كان يسأل كفار قريش، بل إن أسئلة اليهود كانت مستوحاة من التوراة وهي – أي الأسئلة – لا يعرف إجابتها إلا نبي.

ومن هذه الأسئلة:

١. سؤال اليهود عن الروح وعن ذي القرنين وعن أصحاب الكهف:

فقد أرسل اليهود هذه الأسئلة مع كفار قريش ليختبروا بها صدق رسول الله ﷺ؛ فأنزل الله عز وجل جواباً لهذه الأسئلة في سورتي الكهف و الإسراء.

وهذه أسئلة تتحدث عن أمور غيبية عندهم بها علم، مثل قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين، و أضاف اليهود لها مسألة ثالثة لا يعرفون عنها شيئاً هي الروح.

سؤال اليهود عن خلال أربع لا يعلمهن إلا نبي:

حضرت عصابة من اليهود نبي الله صلى الله عليه وسلم يوما، فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي، قال: " سلوني عما شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله، وما أخذ يعقوب عليه السلام، على بنيه: لئن أنا حدثتكم شيئا فعرفتموه، لتتابعني على الإسلام " قالوا: فذلك لك، قال: " فسلوني عما شئتم " قالوا: أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن: أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟ وأخبرنا كيف ماء المرأة، وماء الرجل؟ كيف يكون الذكر منه؟ وأخبرنا كيف هذا النبي الأمي في النوم؟ ومن وليه من الملائكة؟ قال: " فعليكم عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم لتتابعني؟ " قال: فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق، قال: " فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى صلى الله عليه وسلم هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب عليه السلام، مرض مرضا شديدا، وطال سقمه، فنذر لله نذرا لئن شفاه الله تعالى من سقمه، ليحرمن أحب الشراب إليه، وأحب الطعام إليه، وكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها؟ " قالوا: اللهم نعم، قال: " اللهم اشهد عليهم، فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ، وأن ماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله؟ إن علا ماء الرجل على ماء المرأة كان ذكرا بإذن الله، وإن علا ماء المرأة على ماء الرجل كان أنثى بإذن الله؟ ". قالوا: اللهم نعم، قال: " اللهم اشهد عليهم، فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه؟ " قالوا: اللهم نعم. قال: " اللهم اشهد " قالوا: وأنت الآن فحدثنا: من وليك من الملائكة؟ فعندها نجامعك أو

نفارقك؟ قال: " فإن وليي جبريل عليه السلام، ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه " قالوا: فعندها نفارقك، لو كان وليك سواه من الملائكة لتابعناك وصدقناك، قال: " فما يمنعكم من أن تصدقوه؟ قالوا: إنه عدونا. فأنزل الله عز وجل: (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ) [البقرة: ٩٧] [١]."

و في رواية أخرى كان السؤال عن: ما هو أول أشراط الساعة؟ فأجابهم رسول الله ﷺ بأنها نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب. [٢]

فهذه أسئلة لليهود أيضا كلها **جوانب عقدية دقيقة** مأخوذة من علمهم بالتوراة، ولم يكن يسألها أهل مكة ولكن لتغير البيئة التي يوجد بها النبي من بيئة كفار قريش إلى بيئة أهل الكتاب تبع ذلك اختلاف في موضوعات ومحتويات الأسئلة والاعتراضات.

٢. سؤال حبر من اليهود عن خلق السموات والأرض وعن صفات الله عز وجل:

جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك.

فضحك ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ ﷺ: **(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأرض جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّموَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ)** [الزمر: ٦٧] [٣].

---

١ مسند الإمام أحمد بن حنبل، مرجع سابق، ج٤، ص٣١٢، حديث رقم ٢٥١٥، مسند عبد الله بن العباس، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حسن.

٢ صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٦ ، ص١٩ ،حديث رقم ٤٤٨٠ ، كتاب تفسير القران ، باب : من كان عدواً لجبريل

٣ صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن الكريم، باب قوله: وما قدروا الله حق قدره، ج٦، ص١٢٦، حديث رقم: ٤٨١١.

وهذا السؤال تظهر أهميته من عدّة نواح:

أ. أن الذي سأله هو حبر من أحبار اليهود، أي سؤال من خبير مطالع للتوراة وعالم بما فيها من صفات للبارئ عز وجل، وليس سؤالاً من عاصٍ يستفسر، بل هو سؤالٌ من مقرٍ لهذه العقيدة.

ب. أن سؤاله يتعلق بصفات الله عز وجل، وعن اليوم الآخر.

جـ. أن النبي ﷺ لم ينكر عليه، ولم يزجره، ولم يخطئه في قوله بل ضحك ﷺ تصديقاً له وتعجباً منه كيف أن هذا الحبر اليهودي يعلم هذا العلم الدقيق، ويعلم ما هي قدرة الله عز وجل في الدنيا والآخرة، ومع ذلك لا يؤمن بالحق ولا يتبع النبي ﷺ، فكأن هذا اليهودي لم يكن مقدراً لله عز وجل حق التقدير الذي يمليه عليه ما عنده من علم.

٣. السؤال عن عذاب القبر:

عن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – أن رسول الله ﷺ دخل عليها وعندها امرأة من اليهود.

وهي تقول: هل شعرت أنكم تفتنون في القبور؟

فارتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إنما تفتن يهود!

قالت عائشة: فلبثنا ليالي، ثم قال رسول الله ﷺ: "هل شعرت أنه أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور؟"

وقالت عائشة: "سمعت رسول الله ﷺ بعدُ يستعيذ من عذاب القبر"[١].

وسبب ارتياع النبي ﷺ من قول اليهودية هو استبعاد رسول الله ﷺ أن يعذب المؤمن، ولم يكن قد أوحي إليه شيء في ذلك. وبعدما أوحي إليه أخذ يتعوذ من عذاب القبر في صلاته.

يقول بدر الدين العيني: " ذكر ما يستفاد منه فيه... جواز التحديث عن أهل الكتاب إذا وافق قول الرسول الله ﷺ، وفيه التوقف عن خبرهم حتى يعرف أصدق هو أم كذب[٢]؟

المسائل السابقة هي نماذج لبعض المسائل العقدية التي تحدث بها اليهود ومنها: مسائل هي من عقائد المسلمين مثل: الروح، وقصة ذي القرنين، وأصحاب الكهف، فهي من المغيبات التي

---

١ صحيح مسلم، مرجع سابق، ج١، ص٤١٠، حديث رقم ١٢٣، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر.

٢ العيني، محمود بن أحمد ت ٨٥٥هـ، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث، بدون تاريخ، ج٨، ص٢٠٤، حديث رقم ٣٧٣١، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر.

تحدث بها القرآن الكريم. **ولا يقصد بأيِ بحال أن اليهود كانوا مصدراً من مصادر عقيدتنا، فعقيدتنا مصدرها الكتاب والسنة.**

ولكن القصد أن البيئة العقدية لأهل الكتاب قد أنتجت تساؤلات جديدة، مستوحاة من الفكر اليهودي، ولم يأخذ بها المسلمون إلا بعد أن أقرها رسول الله ﷺ.

يقول ﷺ: ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله. فإن كان باطلاً لم تصدقوه، وإن كان حقاً لم تكذبوه[١].

فهذه من باب الإسرائيليات التي لا تقوم بها حجة في دين الله، إلا إذا وافقت كتاب الله وسنة نبيه ﷺ. وموقف العلماء منها على ثلاثة أوجه:

أ. إذا كانت هذه الإسرائيليات موافقة لما في الكتاب والسنة وأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي من عقائدنا ونؤمن بها.

ب. إذا كانت هذه الإسرائيليات تخالف الكتاب والسنة فهي مما يترك ولا يؤخذ منه شيءٌ.

جـ. وإذا كانت هذه الإسرائيليات من المسكوت عنها التي لم يرد الخبر في تصديقها أو تكذيبها ولم تخالف كتاباً ولا سنة؛ فهذا الصنف هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لا تصدقوهم ولا تكذبوهم وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"**[٢].

١المسند للإمام أحمد في، ج٢٨، ص٤٦٠، حديث رقم ١٧٢٢٥، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط إسناده حسن.

٢ الزرقاني، محمد عبد العظيم، ت ١٣٦٧هـ، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط٣، ج٢، ص٢٨. انظر: العثيمين، محمد بن صالح ت ١٤٢١هـ، أصول في التفسير، المكتبة الإسلامية، ط١، ١٤٢٢هـ، ص٥٣.

المطلب الثاني: تأثير البيئة العقدية لأهل الكتاب على التفكير العقدي الإسلامي بعد النبوة

١- بعد انتهاء عهد النبوة بوفاة رسول الله ﷺ، ازدادت مقولات أهل الكتاب بين المسلمين، وظهرت فيما بعد هذه المقولات في كتب التفسير بالذات، وفي بعض الروايات لمن أسلم من أهل الكتاب مثل كعب الأحبار و وهب بن منبه.

ويصعب تتبع كل المسائل التي أثارها أهل الكتاب بين المسلمين ولكن هناك بعضاً من المواقف الممتدة والتي تظهر استمرار الدس من أهل الكتاب في دين الإسلام، والتي قام المسلمون بإظهارها وردها وإرجاع أصولها إلى أهل الكتاب لا إلى الإسلام كما فعل عمر بن الخطاب حين سأل كعب الأحبار في القدس: أين ترى أن أصلي؟ فقال كعب: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة، فكانت القدس كلها بين يديك.

فقال عمر:" ضاهيت اليهودية، لا، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ " فتقدم إلى القبلة فصلى[١].

فهذه الحادثة كانت مثالاً واضحاً على طريقة دخول بعض الإسرائيليات في شرح كتاب الله عز وجل، فقد تنبه الفاروق لها و أرجع قول كعب إلى مشابهة اليهودية التي كان عليها كعب قبل إسلامه، فقد كان المسلمون حريصين على العمل بقوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنْ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ**) [آل عمران: ١٠٠].

وكذلك الأمر حين خطب الفاروق في الجابية[١] و الجاثليق[٢] ماثلٌ بين يديه والترجمان يترجم، فقال عمر رضي الله عنه: من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادي له، فقال الجاثليق: إن الله ، عز وجل ، لا يضل أحدا.

فقال عمر: ما يقول؟ فقال الترجمان: لا شيء، ثم عاد في خطبته، فلما بلغ: من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

قال الجاثليق: إن الله ، عز وجل ، لا يضل أحدا.

فقال عمر: ما يقول؟ فأخبره، فقال: كذبت يا عدو الله ، ولولا عهدك ضربت عنقك؛ بل الله خلقك، والله ، عز وجل ، أحياك، ثم يميتك، ثم يدخلك النار إن شاء الله.

---

١ مسند الإمام أحمد، مرجع سابق، ج١، ص٢٧٦، حديث رقم ٢٦١. مسند عمر بن الخطاب، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

ثم قال: إن الله ، عز وجل ، لما خلق آدم نثر ذريته فكتب أهل الجنة وما هم عاملون، وأهل النار وما هم عاملون، ثم قال: هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه.

وقد كان الناس تذاكروا القدر، فافترق الناس وما يذكره أحد[١]. وهذا مثال ثان في رد ضلالات أهل الكتاب، وهذه المرة كانت في مسائل القدر، وقد كان موقف الفاروق حازماً وكافياً في ردع محاولاتهم الضالة.

مقتل الفاروق كذلك كان باتفاق نصراني مجوسي:

فقد تناجى الهرمزان[٢] وجفينة النصراني وأبو لؤلؤة المجوسي ورآهم عبد الرحمن بن أبي بكر وهم يتآمرون و سقط منهم خنجر صفته هي صفة الخنجر الذي قُتل به الفاروق.

فلما قتل الفاروق ووصل الخبر إلى عبيد الله بن عمر بن الخطاب، قام عبيد الله بقتل الهرمزان الفارسي وجفينة النصراني[٣].

أهل الكتاب وخلافة ذي النورين و علي بن أبي طالب:

خلافة عثمان ما كانت لتنتهي بهذا الشكل المأساوي، لولا دس عبد الله بن سبأ اليهودي الذي كان له دورٌ كبيرٌ في التحريض على نزع الطاعة عن ذي النورين، فقد ألب المسلمين على الخليفة عثمان في مصر والكوفة والشام والبصرة، حتى تم له ما أراد من نزع الخليفة، وزرع الفتنة بين المسلمين[٤].

واستمر عبد الله بن سبأ اليهودي في دوره الهدّام في عهد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب فكان أتباعه يرفضون الخروج من المدينة النبوية، وكان السبئية ومن ساندهم يملكون المدينة، ولا قدرة للإمام الجديد في حسابهم ومعاقبتهم. وقد أفسد السبئية الصلح ما بين علي بن أبي طالب وبين

---

١ الفريابي، جعفر بن محمد بن الحسن ت ٣٠١هـ، كتاب القدر، أضواء السلف ـ السعودية.ط١، ١٩٩٧م، ج١ ص ٦٦، أثر رقم ٥٣

٢الهرمزان : هو اسم لبعض أكابر الفرس ، وهو دهقانهم الأصغر ، و كان من أمراء جيش الفرس في معركة القادسية ، و انهزم في خوزستان ، و أسره أبو موسى الأشعري ﷺ و أرسله إلى الفاروق أنظر النووي، محي الدين بن شرف النووي ـ (٦٧٦)هـ ، **تهذيب الأسماء و اللغات** ، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ، ج٢ من القسم الأول،ـ ص ١٣٥، باب الهاء

٣الصنعاني ت (٢١١) هـ ، المصنف ، مرجع سابق ، ج٥ ، ص٤٧٨ وانظر ترجمة جفينة في : ابن سعد، محمد بن سعد بن عبدالله (ت ٢٣٠) هـ، الطبقات الكبرى ، (تحقيق : احسان عباس) ، دار صادر، بيروت، ط١ ، ١٩٦٨ ، ج٣ ، ص٣٥٦

٤العودة ، سليمان بن فهد ، عبدالله بن سبأ و أثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام ، دار طيبة ، ط ٣، ١٤١٢هـ ، ص ١٤١ و ما بعدها .

طلحة والزبير – رضي الله عنهم جميعاً -. واعتدى السبئية على الطرفين ليلاً ليوهموا أن كلا الطرفين قد نقض الميثاق و العهد[1]

٢- المسائل العقدية التي جاء بها السبئية اليهود[2]:

فكلها تتعلق بعلي بن أبي طالب، فنسبوا له أنه وصي رسول ﷺ و أنه لم يمت بل سوف يرجع و ادعوا أن الله عز وجل قد حل في علي بن أبي طالب وأن الجزء الإلهي يتناسخ في أبناء علي.

فهذه عقائد الرجعة والوصي والحلول والتجسيد والتناسخ كلها عقائد فاسدة دخيلة ذات أصول يهودية أذاعها اليهود في الأمة الإسلامية في زمنِ فتنةٍ وضعف، وفي زمن كثر فيه حديثو الدخول في الإسلام من الموالي والأعاجم، خاصة من الفرس الذين كانت عقائدهم السابقة تقبل هذه العقائد وتقول بها، فاتبعوا ابن سبأ في ضلاله؛ لأن ما وجدوه عنده يوافق ما ألفوه في عقائدهم السابقة.

فكان دساً يهودياً موجهاً إلى فئة قابلة للخداع في بيئة كثر بها الهرج والقتل والاختصام، فاجتمعت هذه العناصر - في لحظة نادرة - من التاريخ الإسلامي وسمحت بنفاذ عقائد فاسدة إلى هذه الأمة بفعل أهل الكتاب.

وكانت الأفكار السبئية مقدمة لظهور فرق التشيع بصيغها الغالية في علي بن أبي طالب؛ فكان التشيع في صورته الغالية أسبق في الظهور من باقي الفرق الإسلامية.

٣- أهل الكتاب وعقيدة القدر

سبق البيان في أن عقيدة القدر قد تعرضت لهجمة فارسية، خاصة فيما يتعلق بمسألة الشر ونسبته إلى الله عز وجل، وكيف قاد ذلك إلى القول بأن الإنسان هو خالق الشر، وينسب إليه تماماً كما نسب المجوس الشر إلى غير إله النور، وعقيدة نفي القدر كذلك كان للنصرانية دور كبير في ظهورها.

مع العلم أن أثر النصرانية قد لا يكون بنقل مفرداتها إلى التفكير العقدي الإسلامي، بل عن طريق دس النصارى للعقائد الفاسدة - أياً كان مصدرها - في عقائد المسلمين.

١عبد الله بن سبأ، المرجع السابق، ص١٩١.

٢مقالات الإسلاميين، الأشعري، مرجع سابق، ج١، ص٨٦، والبغدادي ، الفرق بين الفرق، البغدادي، مرجع سابق، ص٢٣٦.

أي إن بعض النصارى كان همهم الإساءة إلى الإسلام بأي عقيدة أو فكرة، سواء أكانت هذه الفكرة نصرانية أم فكرة وثنية فقام النصارى بتحريفها وتشويه مبادئها بهدف النيل من الإسلام والمسلمين.

لذا، فإنك تجد أن عقيدة الجبر – كما سبق بيانه عند الحديث عن الجهم – لها سند يصل إلى اليهود، وعقيدة نفي القدر لها سند إلى النصرانية.

فالهدف هو زعزعة الفكر العقدي الإسلامي، بغض النظر عن مصدر هذه الأفكار الدخيلة.

ومن جانب آخر فهناك من يستلهم معتقدات أهل الكتاب وتؤثر به ابتداء من دون دس خارجي، كما حصل مع الجهم بن صفوان حين رد على السمنية حين سألوه عن معبوده وصفاته، فقام الجهم بالرد عليهم مستعيناً بحجج النصارى وعقائدهم.

وتأثير النصارى تجده في معتقدات بعض الفرق الإسلامية ورجالها.

فغيلان الدمشقي[١] أدخل عقيدة النصارى في القدر إلى التفكير العقدي الإسلامي، فالمسيحيون الشرقيون – و غيلان منهم - يقولون إن الإنسان مخير والغربيون يقولون إن الإنسان مجبور[٢].

والقول بوجود إلهين للكون أحدهما قديم والآخر حديث فكرة أدخلها أحمد بن خابط[١] حين قال أن للخلق إلهين أحدهما قديم والآخر محدث هو عيسى بن مريم. وقال أحمد بن خابط: إن المسيح تدرع بالجسد الجسماني وهو الكلمة القديمة المتجسدة كما قالت النصارى[٢].

وكذلك الأمر فيما يتعلق بمسائل الحلول والتناسخ والقول بالأصلح ونفي الصفات والأسماء والمجاز، فكل هذه المسائل لها جذور نصرانية قد تأثر بها أبناء الإسلام[٣].

والسؤال الآن: كيف تسربت هذه المسائل النصرانية إلى عقائد المسلمين، ومن كان ينشرها ويدعو لها؟

والجواب على هذين السؤالين من جانبين:

١. إن احتكاك العرب بأهل الكتاب كان سابقاً على بداية الدعوة الإسلامية:

---

١ غيلان الدمشقي: ضال مسكين من بلغاء الكتاب، قال له مكحول لا تجالسني وهو غير موثوق ولا مأمون، كان مالك ينهى عن مجالسته، وقد أفتى الأوزاعي بقتله فقتله هشام بن عبد الملك وصلبه سنة ١٠٥هـ. أنظر: لسان الميزان، مرجع سابق، ج٦، ص٣١٤.

٢ دي بور، ت. ج دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مكتبة النهضة، ط٥، ص٩٤. وأنظر: الجانب الإلهي، ص٩٠.

٣ أنظر: الفرق الإسلامية، د. عطا الله المعايطة، مرجع سابق، ص٩٧.

٤ إسرائيل ولفنسون تاريخ ايهود في الجزيرة العربية، مرجع سابق، ص ٨٤

فقد كان العرب والنصارى واليهود يتجاورون ويتاجرون وبينهم أحلاف ومواثيق، فتأثر العرب من أهل الكتاب في بعض المسميات مثل النسيء وصنم منى [٤]. وكان العرب يأخذون من أهل الكتاب – اليهود بالذات – بعض الصناعات والتجارات والزراعات مما يدل على كثرة اختلاط العرب مع أهل الكتاب، فلا عجب إذا انتقلت عقائد أهل الكتاب إلى العرب مع مرور الزمن[١]. وكانت دولة الغساسنة جسراً لنقل حضارة اليونان النصرانية و الوثنية إلى البلاد العربية.

٢. دور يوحنا الدمشقي في نشر عقائد النصارى:

يوحنا الدمشقي آخر آباء الكنيسة اليونانية في الشرق، وكان لعائلته دورٌ كبيرٌ قبل الفتح الإسلامي وبعده. والاسم الحقيقي ليوحنا هو منصور بن سرجون وعرف بالدمشقي لأنه ولد في دمشق سنة (٦٦٠م) وتوفي سنة (٧٥٠م)، وله آراء دينية فيما يتعلق بفكرة الألوهية، وأدلة إثبات وجود الله تعالى، وكذلك مسألة وحدانية الله عز وجل، والعلم الإلهي، ومسألة الصفات وتأويلها، ومسألة التسيير والتخيير، وينسب بهذه المسألة إلى القدرية مؤكداً حرية الإنسان، وكذلك كان يؤمن بنظرية العدل والصلاح الإلهي، وبذلك كانت أفكار يوحنا الدمشقي قد دخلت إلى أفكار الفرق الإسلامية كالمعتزلة فيما بعد[٢].

ولقد اذاع يوحنا الدمشقي المسائل السابقة عن طريق أحد مؤلفاته هو الهرطقة المئة الذي بث به أفكاره عن طريق حوار اصطنعه بين مسلم ونصراني يُعلم به النصراني كيف يجادل ويناقش المسلم في المسائل العقدية.

٤- خلق القرآن والأثر اليهودي:

سبق القول بأن الجهم بن صفوان قال بخلق القرآن الكريم، وكان له بذلك اعتماد على فكرة نفي الصفات عن الله عز وجل، خاصة التي قد يشترك بها مع المخلوق كصفة الكلام، مضاهاة منه لقول السمنية حين ناقشوه.

ولمقولة خلق القرآن سند آخر يرجع إلى اليهودية، تلقاه الجهم بن صفوان عن جعد بن درهم عن أبان بن سمعان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ. أما النص الذي وصل إلى الجهم بهذا السند فهو:

---

١ سبق الحديث عن علاقة العرب مع أهل الكتاب في بداية البحث.

٢ الظاهر، سليمان أحمد، لاهوت يوحنا الدمشقي، من كتاب القدس عاصمة الثقافة العربية، من منشورات جامعة دمشق.، بدون تاريخ، ص٧٣٧ وما بعدها – بتصرف واختصار ،

" يقول فيلان اليهودي حاكياً قصة تكليم الله موسى على طور سيناء: "وفي ذلك الوقت، أجرى الله تعالىمعجزة مباركة فأمر بخلق صوت غير مرئي في الهواء، وهذا الصوت كان ناطقاً ومسموعاً ". وهذا عين مقولة الجهم بن صفوان[١] استعارها من اليهودية ليرد بها على السمنية.

٥- استمرار تأثير أهل الكتاب:

لم ينقطع تأثير أهل الكتاب وشبههم على المسلمين، ففي الدولة العباسية كان لهم أيضا صولات وجولات، وتصدّى لهم بالرد الجاحظ برسالة أسماها: المختار في الرد على النصارى[٢].

وقد كان لأهل الكتاب أثر في الفتن والحروب في القرن الأول الهجري[٣]، وكذلك في إسقاط الخلافة العثمانية[٤].

وصدق الله العظيم حين قال: **(وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا)** [البقرة: ٢١٧].

٦- أَلِأهلِ الكتاب تأثير على عقائد المسلمين أم لا؟

تعددت آراء أهل العلم بتأثير أهل الكتاب على عقائد المسلمين من عدمه، فمنهم من قال بوجود التأثير، ومنهم من نفاه، وآخر قال بل تأثير أهل الكتاب يكون بتوجيه عقيدة موجودة أصلاً و توجيهها إلى غير المنهج النبوي.

---

١ مقالات الجهم بن صفوان، مرجع سابق، ص٤٩١.

٢ مطبوعة في دار الجيل، بيروت، ومكتبة الزهراء في مصر، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي.

٣ المصري، جميل عبد الله، أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب في القرن الأول الهجري، مكتبة الدار، ط١، ١٩٨٩م، رسالة دكتوراه.

٤ السليمي، هيلة بنت سعد، دور اليهود في إسقاط الدولة العثمانية، جامعة أم القرى، ٢٠٠١م.مرجع للاطلاع فقط.

فالدكتور علي سامي النشار ينكر أي دور للنصارى في ظهور بدعة القدرية، ويرى أن تساؤلات المسلمين في كتاب الله قادت البعض لأن ينحرف في مفهوم القدر[١].مع أنه قبلها أفرد فصلاً كاملاً في الحديث عن الإسلام وعلاقته بالنصرانية[٢].

والدكتور محمد البهي يرى أن لا تأثير لليهودية أو النصرانية في التفكير الإسلامي في إيجاد أي عقيدة وإدخالها في عقائد المسلمين، بل إن تأثير أهل الكتاب منحصر في تصور هذه العقيدة وتوجيهها. أما طرائق معالجة بعض العقائد في الفكر الإسلامي فمرجعه إلى فلسفة الإغريق في الغالب[٣].

وللإجابة عن السؤال المطروح: هل لأهل الكتاب تأثير على التفكير العقدي الإسلامي؟ فلا بدّ من التفريق بين أمرين:

الأول: هو عدُ أهل الكتاب مصدراً من مصادر عقائد المسلمين، فهذا أمر لا يصح، ويكذبه كتاب الله وسنة نبيه ﷺ قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنْ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ**) [آل عمران: ١٠٠]..

وعقائد المسلمين معروفة ومبثوثة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ يتناقلها المسلمون محفوظةً صدراً وسطراً. ولا يوجد أيةُ عقيدة منها مصدرها من اليهود أو النصارى.

الثاني: أن هناك بعض عقائد المسلمين قد نالها بعض من تأثيرات أهل الكتاب، فهذا أمر واقع لا ينكر كما سبق بيانه في هذا المبحث، ولكنها كما سبق بيانه عقائد لا يُقَرُ عليها المخالف، ويرفضها الفكر الإسلامي كعقيدة الجبر أو القدر والتعطيل وغيرها.

وكثير من أرباب الفرق هو الذي تابع اليهود والنصارى بأفكارهم ومعتقداتهم كما فعل الجهم بن صفوان بعقيدة خلق القرآن، وأحمد بن خابط حين نسب الألوهية إلى عيسى عليه السلام.

فعقائد اليهود والنصارى لم تكن لتجد لها موطئ قدم في التفكير العقدي الإسلامي لولا أنها لاقت أذناً صاغيةً ونفساً متآمرة، عملت على جلب عقائد أهل الكتاب وصياغتها بقالب عقدي ظاهره الإسلام وباطنه الكفر والإلحاد.

فيلاحظ أن عقائد الفرق التي تعاملت مع الحضارة الفارسية توشحت بالعناصر المجوسية، والفرق التي تعاملت مع أهل الكتاب توشحت بمفردات أهل الكتاب، والفرق التي تعاملت مع

---

١ أنظر: نشأة الفكر الفلسفي، ج١، ص٣١٩.
٢ المرجع السابق، ج١، ص٩٠ وما بعدها.
٣ محمد البهي، الجانب الإلهي، ص٩٣.

الحضارة الهندية تزيت بزيهم، والفرق التي درست الحضارة اليونانية كذلك لبست ثوبهم؛ فالمشاهد أن بعضاً الفرق الإسلامية أخذت تؤيد قولها ورأيها بأقوال الحضارة التي تعيش في كنفها.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: (لتتبعن سنن الذين من قبلكم) [١]؛ فالحديث ظاهر في أن بعضاً من أبناء المسلمين هو الذي يتابع سنن من كان قبلنا بتقليدهم من حيث يدري أو لا يدري.

تأثيرات أخرى للبيئة الفكرية:

١. **ظهور علم الكلام:**

بعد أن تعرض الإسلام إلى هجمات من الحضارات المحيطة به، ومعظمها حضارات بعيدة عن الوحي ولا تعرف نور النبوة، ولا تعترف بآيات الكتاب، ولا تتبع نصاً نبوياً.

فتركت هذه الحضارات آثاراً سلبية، وأفكاراً دخيلةً على عقائد المسلمين، وهي أفكار ومعتقدات مبرهن عليها عند أصحابها بطريقة عقلية فكرية لم يألفها العربي الذي نشأ في الجزيرة العربية بعيداً عن المدارس العقلية والفلسفية شرقاً وغرباً.

ووجد المسلم العربي نفسه أمام مصطلحات وأفكار جديدة محبوكة بقالب عقلي، وما عند المسلم العربي من ثقافة لا تصلح لمواجهة هذه المصطلحات وهذه الأفكار خاصة فيما يتعلق بصفات الله.

وظهرت كذلك أساليب جديدة في التعامل مع النصوص كالتأويل والتعطيل والتشبيه والتمثيل، ولم يعد الخطاب الذي يناسب العرب يصلح لخطاب غيرهم من الأمم المسلمة الجديدة غير العربية.

لذا، وجد أبناء الإسلام أنفسهم مدفوعين لتعلم أساليب جديدة ترد الشبه الجديدة، وأخذ ينمو بين المسلمين علم جديد تتوزع مسائله هنا وهناك، بحسب المسائل التي يتعرض لها الخصم.

وهذا العلم هو علم الكلام، الذي ظهر كأفكار جزئية متناثرة في الردود على شبه المخالفين، ثم أخذ ينمو في الحضارة الإسلامية حتى أصبح علماً قائماً بذاته ومستقلاً بأصوله وتفريعاته. وأصبح لعلم الكلام علاقة وطيدة بأصول الفقه والتصوف و الفلسفة الإسلامية.

---

١ صحيح مسلم، مرجع سابق، ج٤، ص٢٠٥، حديث رقم ٢٦٦٩، كتاب العلم، باب إتباع سنن اليهود.

وكلما ازدادت رقعة البلاد الإسلامية، وزاد عدد الداخلين من غير العرب في الإسلام، و كلما زادت حركة الترجمة تبع ذلك ازدياد في الحاجة إلى علم الكلام وزيادة في مسائله ومباحثه. ابتداء بالخوارج وانتهاء بالأشعرية و الماتريدية، كان علم الكلام يزداد وضوحاً واستقلالاً عن غيره من العلوم.

وكل فرقة تظهر كانت تضيف إلى علم الكلام إما مفردات جديدة أو أسلوباً جديداً، ودليلاً جديداً يظهر نتيجة لشبهةٍ جديدة نشأت بفعل فرقة أو طائفة جديدة.

لقد وجد علماء الكلام أنفسهم مجبورين لأن يخوضوا في مباحث جديدة ومصطلحات حادثة لم تعرف من قبل في عقائد المسلمين مثل مصطلحات الحلول، الاتحاد،لفظ الماهية،الشيء، الذات،الجهة، والحد، الجوهر، الأعراض الأبعاض، والأغراض، حلول الحوادث، تسلسل الحوادث، اللفظ، الملفوظ،الاسم والمسمى، و الهيولي،الصورة، وغيرها.

وأخذ علماء الكلام يكيفون هذه الألفاظ بما يرد شبيه المخالفين، وكذلك بما يوافق الشريعة الإسلامية. لذلك تعددت الأسماء التي تطلق على علم الكلام، وكل اسم مأخوذ من أحد مباحثه مثل أصول الدين أو علم التوحيد أو علم العقائد الإسلامية أو الفقه الأكبر.

يقول الحليمي ت (٤٠٣):

"إن السلف من أهل السنة والجماعة كانوا يكتفون بمعجزات الرسل، صلوات الله عليهم،... ثم إن أهل الأهواء كانوا يدّعون على أهل السنة أن مذاهبهم في الأصول تخالف المعقول، فقيض الله تعالى جماعة منهم للاشتغال بالنظر والاستدلال حتى تبحروا فيه، وبينوا بالدلائل النيرة والحجج الباهرة أن مذاهب أهل السنة توافق المعقول كما هي موافقة لظاهر الكتاب والسنة"[١].

ويقول الغزالي ت(٥٠٥) هـ:

"..... فأنشأ الله تعالى، طائفة المتكلمين، وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب، يكشف عن تلبيسات أهل البدع المحدثة، على خلاف السنة المأثورة، فمنه نشأ علم الكلام وأهله، فلقد قام طائفة منهم بما ندبهم الله تعالى إليه، فأحسنوا الذب عن السنة، والنضال عن العقيدة المتلقاة "[٢]

ويقول التفتازاني ت (٧٩٢) هـ:

---

١ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي ت ٤٥٨هـ، شعب الإيمان، مكتبة الرشد الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ، ج١، ص١٨٦.

٢ الغزالي، محمد بن محمد، المنقذ من الضلال، المكتبة الثقافية –بيروت، ص١٤ وما بعدها.

"... وكانت الأوائل من العلماء ببركة صحبة النبي صلى الله عليه وسلم وقرب العهد بزمانه وسماع الأخبار منه ومشاهدة الآثار مع قلة الوقائع والاختلافات وسهولة المراجعة إلى الثقات مستغنين عن تدوين الأحكام وترتيبها أبوابا وفصولا وتكثير المسائل فروعا وأصولا إلى أن ظهر اختلاف الآراء والميل إلى البدع والأهواء وكثرت الفتاوى والواقعات ومست الحاجة فيها إلى زيادة نظر والتفات فأخذ أرباب النظر والاستدلال في استنباط الأحكام وبذلوا جهدهم في تحقيق عقائد الإسلام وأقبلوا على تمهيد أصولها وقوانينها وتلخيص حججها وبراهينها وتدوين المسائل بأدلتها والشبه بأجوبتها وسموا العلم بها فقها وخصوا الاعتقاديات باسم الفقة الأكبر والأكثرون خصوا العمليات باسم الفقه والاعتقاديات بعلم التوحيد والصفات تسمية بأشهر أجزائه وأشرفها وبعلم الكلام لأن مباحثه كانت مصدرة بقولهم الكلام في كذا وكذا ولأن أشهر الاختلافات فيه كانت مسألة كلام الله تعالى أنه قديم أو حادث "[١].

من النقول السابقة يظهر سبب نشوء علم الكلام، وهو بالذات للرد على شبه المخالفين وأصحاب البدع والأهواء، الذين لا يُقرون بكتاب الله ولا يأخذون بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

وهذا تجده في تعريف علم الكلام:" فهو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة"[٢].

فهو موجه لغير المسلمين لخطابهم ومناقشتهم ومحاجتهم، ويخاطب من لا يؤمن بالكتاب والسنة بأسلوب عقلي يقود إلى تقرير مسائل الإيمان تقريراً عقلياً متسلسلاً.

ولم يكن علم الكلام يلاقي أية معارضة عندما وُجه إلى غير المسلمين، إلا أنه بعد ذلك لاقى معارضة شديدة من أبناء المسلمين عندما أصبح تقرير العقائد يعتمد على علم الكلام في داخل المجتمع الإسلامي، خاصة بعد تطرف المعتزلة في مسألة خلق القرآن.

مما سبق؛ فإن البيئة الفكرية المحيطة بالمسلمين كانت سبباً في ظهور علم الكلام كعلم مستقل وحامٍ لعقائد المسلمين، فاستطاع هذا العلم - مع علمائه – رد الهجمة عن الإسلام والمسلمين، وكذلك أثبت أن أمة الإسلام لديها مرونة فكرية كافية للتطور و الأخذ من علوم الآخرين بما يوافق أصولها وبما يخدم المسلمين.

٢. أثر البيئة الفكرية على أسئلة الناس و إفتاءات العلماء ومؤلفاتهم:

١ التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر ت ٧٩١هـ،شرح المقاصد، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب – بيروت، ط٢، ١٩٩٨م، ج١، ص١٦٤.

٢ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الأشبيلي ت ٨٠٨هـ، تاريخ ابن خلدون، بيت الأفكار الدولية، ط٤، ص٢٣٢.

إن كل عقيدة جديدة غير مألوفة للناس تثير لديهم الأسئلة والاستفسارات عن هذه العقيدة وما هو حكم الشرع بها، و: هي حلال أم حرام، أم: هي من الإيمان أم من الكفر؟

لذا تجد أن الناس يبحثون عن مجيب لأسئلتهم، وقطع الشك عندهم، وتدعيم يقينهم في عقائدهم.

لذا ما إن تنتشر فكرة أو معلومة في المجتمع إلا ويتبعها تساؤلات توجه إلى أهل العلم.

فقد سُئل ابن عمر عن قوم يقولون أن لا قدر وأن الأمر أنف؟ فقال" **"فإذا لقيت أولائك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء مني"**[١].

وهكذا الأمر كلما احتاج الناس إلى جواب لسؤال بادروا إلى السؤال و الاستفسار من أهل العلم، وهذه الأسئلة قد تدور في المجتمع ويكثر الحديث فيها، فيشرع الناس بسؤال أهل العلم فيرد أهل العلم على هذه الأسئلة بمصنفات علمية تعالج ذلك الأسلوب الذي ظهر في تلك البيئة. مثل رسالة إلى أهل الثغر للإمام أبي الحسن الأشعري و التي ألفها رداً على سؤال ورد إليه من العلماء و الفقهاء في مدينة باب الأبواب [٢] يسألونه عن اعتقاد أهل السنة.

و أيضاً مؤلفات ابن تيمية، فكثير منها سُميّ باسم البلد التي وجهت له السؤال، مثل:

الواسطية نسبة إلى واسط وهي بلد في شمال العراق وهي رسالة عن الصفات.

و البعلبكية نسبة إلى بعلبك في لبنان في صفة الكلام.

والحموية نسبة إلى بلدة حماة في سوريا عن آيات الصفات.

فالمسائل التي ينتشر الكلام عنها ما تلبث إلا وتخرج مؤلفات علمية تتناول تلك المسائل.

فأسئلة الخلق تشير إلى موضوع شائع أصبح الناس يخوضون فيه، مثل السؤال الذي وجه إلى حسن البصري (ت ١١٠هـ) يشير إلى ذيوع الحديث في مسألة مرتكب الكبيرة.

فقال الرجل السائل: يا إمام الدين **لقد ظهرت في زماننا** جماعة يكفرون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة وهم وعيدية الخوارج وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر

---

١ صحيح مسلم، مرجع سابق، ج١، ص٣٦، حديث رقم ٣٦، كتاب الإيمان، باب: الإيمان والإسلام و وجوب الإيمان بإثبات القدر بتصرف و اختصار.

٢ باب الأبواب: مدينة على ضفة نهر الخزر، مبنية من الصخور،... بناها أنوشروان الخير، انظر آثار البلاد و أخبار العباد مرجع سابق، ص ٥٠٦

والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الإيمان ولا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا؟"[١]؟

فهذا السؤال كان وليداً عن الصراع في مسألة الكبيرة ما بين المرجئة والخوارج، قد ظهر فيه الخلاف بين الناس حتى احتاج إلى الإفتاء فيه.

وكذلك الحال في مؤلفات العلماء، فهي أيضا تحاكي الصراع الذي في البيئة الفكرية، فتجد كتاباً لتأصيل مسألة ثم يتبعه كتاب آخر من مؤلف آخر لنفي ذات المسألة، وهكذا.

فالغزالي (ت ٥٠٥هـ) ألّف كتاباً للرد على الفلاسفة سماه تهافت الفلاسفة، فردّ عليه فيما بعد ابن رشد (ت ٥٩٥هـ) بكتاب ينتصر فيه للفلاسفة سمّاه (تهافت التهافت). وكذلك في كتاب فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال لابن رشد، الذي حاول فيه المواءمة ما بين الفلسفة والشريعة الإسلامية

بعد هذا الكتاب هناك فتوى أصدرها ابن الصلاح الشهرزوري (ت ٦٤٣هـ) حين قال: "إن الفلسفة أس السفه والانحلال ومادة الحيرة والضلال"[٢].

وعلم الكلام كذلك تجد من يؤلف في استحسانه والحثّ عليه مثل: كتاب استحسان الخوض في علم الكلام الذ ي ينسب للإمام الأشعري (ت ٣٣٠هـ)، ومن يؤلف في ذمه مثل: أبو إسماعيل الهروي (ت ٤٨١هـ) الذي ألّف كتاباً بعنوان (ذم الكلام وأهله).

فالمؤلفات العلمية أو الأسئلة والإفتاءات كلها تتأثر بالبيئة التي صدرت فيها، وببيئة العالم الذي أفتى بها أو ألفها أو سُئل عنها.

---

١ الملل و النحل، الشهرستاني مرجع سابق، ص٤٥.
٢ دراسات في الفرق والعقائد، مرجع سابق، ص١٥١.

خلاصة المبحث الثاني من الفصل الثاني

تأثير أهل الكتاب في التفكير العقدي الإسلامي

يظهر مما سبق أن التعامل مع أهل الكتاب كان سبباً في ظهور الحديث عن بعض المسائل العقدية، التي لم تكن معروفة أصلاً عند كفار قريش، وأن مخالطة أهل الكتاب قد قادت إلى ظهور مجادلات جديدة في مسائل عقدية، لم تكن موجودة في العهد المكي.

وسبب بروز هذه المسائل هو اختلاف الخصم الذي يحاور ويجادل المسلمين، ففي مكة كان الذي يتولى معاندة الدعوة هم كفار قريش، وما كانت أسئلتهم واستفساراتهم إلا إعادة لطرح عقائدهم بما يعارض دعوة التوحيد.

وبعد اختلاط المسلمين بأهل الكتاب بالمدينة، أخذت تظهر أسئلة ذات طابع عقدي أكثر دقة وامتحاناً لرسول الله ﷺ.

فتغير البيئة المحيطة برسول الله ﷺ تبعه تبدل في الأسئلة والنقاشات والحوارات بين المسلمين والخصوم.

الفصل الثالث

البيئة السياسية وتأثيرها في التفكير العقدي الإسلامي

المبحث الأول: تأثير البيئة السياسية في التفكير العقدي عند الخوارج

المبحث الثاني: تأثير البيئة السياسية في التفكير العقدي عند المرجئة

المبحث الثالث: تأثير البيئة السياسية في التفكير العقدي عند الشيعة

المبحث الرابع: تأثير الحاكم السياسي في نشر بعض المذاهب العقدية

الفصل الثالث

البيئة السياسية وتأثيرها في التفكير العقدي الإسلامي

يتأثر الإنسان بالأحداث المحيطة به، وتترك هذه الأحداث آثارها على تفكير الإنسان وسلوكه وأقواله، سواء أكانت أحداثاً اجتماعية / اقتصادية أم سياسية.

فالإنسان خليط من كل هذه الأحداث، يبني فكره وثقافته منها، وفي هذا الفصل سوف يكون الحديث عن العوامل السياسية وأثرها في تشكيل بعض الآراء العقدية، وكيف أن الخلاف السياسي يتحول إلى خلاف عقدي تنشأ باسمه الفرق، وتثار لأجله الحروب والمعارك.

وكذلك سوف أتطرق إلى الحديث عن تأثير القادة السياسيين في نشر بعض الآراء العقدية، وتبني هذه الآراء والدعوة إليها في المجتمع الإسلامي.

و يشمل هذا الفصل المباحث التالية:

المبحث الأول: تأثير البيئة السياسية في التفكير العقدي عند الخوارج

المبحث الثاني: تأثير البيئة السياسية في التفكير العقدي عند المرجئة

المبحث الثالث: تأثير البيئة السياسية في التفكير العقدي عند الشيعة

المبحث الرابع: تأثير الحاكم السياسي في نشر بعض المذاهب العقدية

المبحث الأول: تأثير البيئة السياسية في التفكير العقدي عند الخوارج

لقد كانت الأحداث السياسية التي وقعت منذ زمن مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان سنة (٣٥ هـ) إلى واقعة التحكيم في سنة (٣٧ هـ) هي الأحداث التي أدّت إلى ظهور فكر الخوارج.

ولم يكن ظهور الخوارج سببه شبه علمية أو تأويل مخالف، بل إن الذي أدّى إلى ظهور فكر الخوارج هو عاطفة سياسية جياشة[١]؛ فقد قامت السياسة بإظهار فرقة الخوارج، ثم قامت السياسة بتشكيل فكر الخوارج العقدي.

وهذا خلاف المعتاد في أن الفكرة تظهر أولا ثم يتبعها ظهور فرقة تعتنق هذه الفكرة، أما في الخوارج فقد ظهرت الفرقة أولاً ثم تبلورت مسائلها العقدية فيما بعد، وفي الآتي بيان ذلك:

المطلب الأول: تعريف بالخوارج والظروف التي نشأت بها

يعرف الشهرستاني الخوارج بأنهم " كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان "[٢]

لقد تعددت الأسماء التي تطلق على هذه الفرقة في أول ظهورها حتى وصلت هذه إلى ثمانية هي: الخوارج، الحرورية[٣]، أهل النهروان، الشراة، المارقة، المحكمة، النواصب، الشكاكية.

---

١ الكوثري، محمد زاهر بن الحسن ت ١٣٧١هـ، مقدمات الإمام الكوثري، مقدمة كتاب التبصير في الدين للاسفراييني، بدون تاريخ، نشر المكتبة الأزهرية في مصر، ص٦٥.

٢ الملل و النحل ، الشهرستاني ، مرجع سابق ص (٩٨)

٣ الحرورية نسبة إلى حروراء قرب الكوفة، معجم البلدان، ج٢، ص٢٤٥.

وكلها يجمعها لفظ جامع هو الخوارج، وهو أول أسمائهم، ثم تعددت المسميات لهم بحسب مجريات الأمور:

- فيسمون بالحرورية مثلاً لأنهم نزلوا بحروراء بعد معركة صفين[١] . ويسمون بأهل النهروان لأن علي بن أبي طالب قاتلهم عند النهروان[٢] .

- ويسمون بالشراة لأنهم كانوا يتمثلون قوله تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ)** [التوبة: ١١١].

- ويسمون بالمارقة لقوله ﷺ: (يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية) [٣].

- ويسمون بالخوارج نسبة إلى الحديث السابق، وهذا تسمية المسلمين لهم، والخوارج يحبون هذا الاسم بالاعتماد على قوله تعالى: **(وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إلى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ)** [النساء: ١٠٠].

ويسمون كذلك بالشكاكية: لاتهامهم علي بن أبي طالب بعد التحكيم أنه شك في إمارته[٤].وقد وصل عدد فرق الخوارج، إلى ثماني عشرة فرقة[٥] عند بعض الكتاب، والبعض أوصلها إلى عشرين فرقة[٦].

---

١ صفين: موقع بالقرب من الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي. أنظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ)، **معجم البلدان**، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ، ج٣، ص٤١٤، باب الصاد والفاء.

٢ النهروان: موقع بين بغداد وحلوان.

٣ صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٤، ص١٣٧، حديث رقم (٣٦١١)، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

٤ السكسكي، عباس بن منصور ت ٦٨٣ هـ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، تحقيق: بسام العموش، مكتبة المنار الزرقاء، ط١، ١٩٨٨، ص١٧.

٥ البرهان في معرفة عقائد الأديان، ص١٧ وما بعدها. أنظر: الأشعري، علي بن إسماعيل ت ٣٣٠ هـ، مقالات الإسلاميين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ١٩٩٠، ج١، ص١٦٧و انظر: العواجي، غالب بن علي، الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية، جامعة الملك عبد العزيز، رسالة ماجستير، ١٣٩٩هـ، ص٨ وما بعدها..

٦ الفرق بين الفرق، مرجع سابق، ص٧٢.

المطلب الثاني: الواقع السياسي الذي ظهرت به فرقة الخوارج

لقد ابتدأ هذا الواقع بمقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة (٣٥) هـ، وبعدها تمت البيعة لعلي بن أبي طالب.

لكن مسألة مقتل عثمان كانت قد بلغت الآفاق بين من يرى سرعة القصاص من قتلته مثل معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام تبعاً له، وبين من يرى أن الأولى هو إقامة الإمامة وتثبيت حكمها، والانتظار إلى استقرار الأمر ثم محاسبة قتلة عثمان وهذا رأي الإمام علي بن أبي طالب.

وهذا الخلاف على بساطة عرضه إلاّ أنه كان واقعاً مريراً، أورد الأمة في المهالك وأريقت به الدماء الكثيرة البريئة ابتداء بدم عثمان.

و هو خلاف حول مسألة سياسية و لم يكن بين علي بن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما – أي خلاف عقدي، و لم يكن بينهما خلاف في أن عثمان - رضي الله عنه- قد قتل مظلوماً.

مع أن قتل عثمان - رضي الله عنه – كان نتيجة لضعف عقائد المعتدين عليه، و سوء نيتهم و قصدهم، و ترصدهم بالإسلام و المسلمين، و هذا أمر لا خلاف عليه بين علي بن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما-.

كانت نتيجة الخلاف أن التقى المسلمون لأول مرة يقاتل بعضهم بعضاً في معركة الجمل سنة (٣٦ هـ) وكانت نتيجتها عشرة آلاف قتيل[١].

ثم كانت معركة صفين سنة (٣٧ هـ) بين جيش علي بن أبي طالب، وجيش معاوية، وكان عدد القتلى سبعين ألفاً[٢]، وقيل ستون ألفاً[٣].

---

١ البداية والنهاية، ج٨، ص١٦.
٢ البلخي، أحمد بن سهل ت ٣٢٢ هـ، البدء والتاريخ، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧، ج٢، ص٢٢٤.
٣ الفسوي، يعقوب بن سفيان ت ٢٧٧ هـ، المعرفة والتاريخ، مكتبة الدار بالمدينة، ط١، ١٤١٠هـ، ج٣، ص٤٠٤.

وقبل معركة صفين كانت المراسلات ما بين علي بن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان، واستمرت لمدة ثلاثة أشهر كان يقوم بها القراء[1]– وكان عددهم ثلاثين ألفاً – تمت خلالها خمس وثمانون مراسلة، لكنها كلها لم تفلح في منع القتال، حتى جرى بين الجيشين تسعون زحفاً خلال شهرين ونتج عن ذلك عدد كبير من القتلى، حتى أن القبر الواحد يدفن فيه خمسون رجلاً[2].

في ظل هذه الأحداث الدموية و التي امتد بها الزمان لأكثر من سنتين ظهرت فكرة الخوارج بالتدرج مع هذه الأحداث شيئاً فشيئاً، وما لبثت هذه الأفكار إلى أن أصبحت لها قوة عسكرية حتى قبل أن تخرج هذه الأفكار بشكلها النهائي، فقد وصل عدد جيش من القراء إلى ثلاثين ألفاًقبل أن تكون لهم أصول علمية يعتمدون عليها، بل إن الأصل الوحيد الذي كان يحركهم ويجمعهم هو السياسة.

ويمكن تتبع الأحداث التي حولت فكر الخوارج من قضية سياسية إلى قضية عقدية من خلال النقاط التالية:

الموقف الأول: قضية رفع المصاحف:

في معركة صفين رفع جيش الشام المصاحف على الرماح، حين أيقن جيش الشام بالهلاك، فكان رفعهم لهذه المصاحف[3] حيلة يتقون بها القتل عن طريق وقف القتال مع الخصم و دعوته للتحاكم لكتاب الله.

وقد تنبه علي بن أبي طالب إلى أنها خدعة من خدع الحرب فقال لجيشه: " يا أهل العراق بيننا و بينكم كتاب الله ندعوكم إليه فقالوا قد أنصفك معاوية فقال علي عليه السلام و يحكم هذا مكر إنما قاتلناكم ليدينوا بحكم كتاب الله قالوا لابد لنا من الموادعة والإجابة إلى كتاب الله "[4].

فهذه أولى المراحل التي مهدت لربط المسائل السياسية بالمسائل العقدية، وقد كان قبول علي بن أبي طالب لهذا التحكيم مكرهاً، وقد كان القراء – بما سبق لهم من وساطة بين الطرفين –

---

١ القراء : هم الذين كانوا يكثرون منقراءة القران الكريم و القيام و الصيام أنظر : العواجي ، غالب ، قصة الفتنة ، بدون تاريخ ، ج١ ص ٢٠٩ ، و القراء يتكون من قراء الشام و قراء العراق عسكروا ناحية صفين ، أنظر : المنقري، نصر بن مزاحم ت (٢١٢)هـ ، وقعة صفين ، (تحقيق : عبدالسلام هارون)، تامؤسسة العربية الحديثة للطبع و النشر ، ج١ ، ص ١٨٨

٢ أنظر: البدء والتاريخ، مرجع سابق، ج٢، ص٢٢٧. والبداية والنهاية، مرجع سابق، ج٤، ص٢٩.

٣ رفع كتاب الله في المعركة لم يكن جيش الشام أول من قام بذلك: فقد رفعته كذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين قدمت المصحف إلى قاضي البصرة كعب بن سور وقالت له: أُدعهم إليه. أنظر: البداية والنهاية، ج٨، ص١٤. وكذلك فعله علي بن أبي طالب – رضي الله عنه حين عرض المصحف على أهل البصرة ليكون حكماً بينهم. أنظر: البدء والتاريخ، مرجع سابق، ج٢، ص٢٢٢.

٤ البدء والتاريخ، مرجع سابق، ج٢، ص٢٢٦.

يرون أن لهم الحق في إجبار علي ﷺ على قبول التحكيم خاصة بعد أن قال أهل الشام:" قد فني الناس فمن للثغور"[١].

فخُدِعَ القراء مرتين حين قبلوا التحكيم ودفعوا الإمام علي بن أبي طالب ﷺ عليه، والمرة الثانية حين أشفقوا على الثغور بسبب كثرة القتلى.

الموقف الثاني: شعار لا حكم إلا الله:

بعد أن تم الاتفاق على التحكيم وعاد جيش العراق وقد أخذ الأشعث بن قيس[٢] يقرأ وثيقة التحكيم على الناس، ليخبرهم بما وصل إليه الأمر حتى سمع عروة بن أديّة التميمي[٣] ما جاء في وثيقة التحكيم فسلّ سيفه وقال: تحكمون الرجال ولا حكم إلا لله[٤].

فكان سيفه أول سيف للخوارج وكان هو أول من أعلن شعار لا حكم إلا لله و هو شعار الخوارج فيما بعد، و بهذا الشعار تم دمج السياسة بالعقيدة بحسب فكر الخوارج، وهو شعار تولد من الصراع السياسي الموجود، وأصبحت مسألة الرجوع إلى حكم الله أولاً، وثانياً جوزوا أن لا يكون في العالم إمام أصلاً [٥] هي من المسائل التي اعتنقتها بعض فرق الخوارج فيما بعد.

الموقف الثالث: تكفير من رضي بالتحكيم و طلب التوبة منه

أصبح الخوارج هنا يطبقون الشعار السابق على من رضي بالتحكيم، وبه يظهر تناقضهم، ففي السابق قالوا لعلي ﷺ ليدفعوه إلى قبول التحكيم:

"... يا علي أجب إلى كتاب الله إذ دعيت إليه وإلا دفعناك برمتك إلى القوم – أي إلى جيش الشام - أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفان، إنه غلبنا أن يعمل بكتاب الله فقتلناه والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك" [٦].

---

١ البداية والنهاية، مرجع سابق، ج٨، ص٤.
٢ معدي كرب بن كندة ﷺ ، كان شعره أشعثاً فلقب به و غلب على اسمه ، له صحبة و رواية ، أصيبت عينه في معركة اليرموك ، خرج مع علي بن ابي طالب ﷺ ، و كان أكبر أمراءه في صفين ، زوجته هي : فروة بنت أبي قحافة أخت ابي بكر الصديق ، و ابنة الأشعث زوجة للحسن بن علي ﷺ ، توفي الأشعث سنة (٤٠) هـ ، بعد علياً بن أبي طالب بأربعين ليلة ، و عاش ٦٣ سنة و صلى عليه الحسن بن علي بن أبي طالب . أنظر : سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٣٧ و ما بعدها ، ترجمة رقم ٨
٣ عروة بن أدية: من شعراء الخوارج، قتله زياد بن أبية في خلافة معاوية صبراً وقد كان شديد العبادة. أنظر: العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر ، **لسان الميزان،** مكتبة المطبوعات الإسلامية، ج٥، ص٤٢٦، ترجمة رقم ٥١٩٠.
٤ البدء والتاريخ، مرجع سابق، ج٢، ص٢٢٧.
٥ أنظر الملل و النحل ، مرجع سابق ، ص ٩٩ : حيث جوزت المحكمة الأولى أن لا يكون في العالم إمام أصلاً .
٦ البداية والنهاية، ج٨، ص٤١.

هكذا دفعوا وأجبروا علياً ﷺ على قبول التحكيم ثم بعد واقعة التحكيم قالوا له:" تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا"[١].

وقال له زرعة بن البرج: "أما والله يا علي لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله لأقاتلنك أطلب بذلك وجه الله ورضوانه" [٢].

وبهذه الأقوال أصبحت مسألة الحكم تؤول إلى مسألة تكفير أهل التحكيم أي مسألة سياسية تترتب عليها أحكاماً عقدية.

المطلب الثالث: أثر السياسة على منهج الخوارج

يلاحظ أن الخوارج قد أقاموا منهجهم على مجموع من الأصول السياسية و من ذلك: اولاً: النزاع على الخلافة ظهر على أصول الخوارج بعدم اشتراط أن يكون الخليفة من قريش، وهم يرون صحة الإمامة حتى لو كان الإمام من غير قريش.

ولعل هذا سببه أن معظم الخوارج من القبائل الربعية والتي بينها و بين القبائل المضرية الحن الجاهلية[٣]، و هذا الذي دفعهم إلى القول بأن الخليفة بالاختيار لا بالتوارث وجوّزوا الخروج عليه.

ثانياً:جرأة الخوارج على القتل حتى للأبرياء كما فعلوا بعبد الله بن خباب بن الأرت[٤]، فقد بَرَرَوها بكفر مرتكب الكبيرة، بل كفر العصاة عند بعض فرقهم[٥]، وبهذا الأصل أيضا استباحوا الدماء فيما بعد عند حربهم للدولتين الأموية والعباسية.

فهم يسلبون الإيمان عن المخالفين لأدنى مخالفة، وهذا يعتمد على أصلهم بأن الإيمان يزول بزوال بعضه، ولا يعترفون بتبعض الإيمان وأن العمل جزء من الإيمان لا كل الإيمان.

---

١ المرجع السابق، ج٨، ص٥١.
٢ المرجع السابق، ج٨، ص٥١.
٤ أبو زهرة، محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الحديث ودار الفكر، بدون تاريخ، ج١، ص٦٤.
٤ الطبري ، محمد بن جرير ت (٣١٠)هـ ، **تاريخ الأمم و الملوك** ، دار الكتب العلمية، ط١ ، ١٤٠٧ هـ ، ج٣ ، ص ١١٩ ، ذكر ما كان من خبر الخوارج
٥ الفرق بين الفرق، مرجع سابق، ص٧٢.

ثالثاً: المسائل **التي أجمعوا** عليها هي مسائل سياسية:

أ) يقول الإمام أبو الحسن الأشعري (٣٣٠ هـ): أجمعت الخوارج على إكفار علي بن أبي طالب ﷺ[١] لقبوله التحكيم.

ب) ويقول البغدادي (ت ٤٢٩ هـ)في المسائل التي تجمع الخوارج مرجحاً رأي أبي الحسن الأشعري: "... و الصواب ما حكاه شيخنا عنهم "[٢].

ج) ويقول الرازي (ت ٦٠٦ هـ): ساير فرقهم متفقون على أن العبد يصير كافراً بالذنب وهم يكفرون عثمان وعلياً وطلحة والزبير وعائشة[٣].

د) ويقول السكسكي (٦٨٣ هـ): "... وقد اجتمعوا على صحة إمامة أبي بكر وعمر وعلى تكفير علي وعثمان[٤].

خامساً: وكذلك أهم شعار لهم هو مرتبط بالسياسة نصفه سياسي و نصفه الآخر عقدي وهو شعار(لا حكم إلا لله).

سادساً: ومن فرقهم من سميت باسم واقعة التحكيم بالاعتماد على قولهم لا حكم إلا لله وهي المحكمة الأولى[٥].

سابعاً:حتى إن المسائل التي عارضوا بها الإمام علياً **كلها مسائل سياسية** لا شبهة علمية أو دينية أو عقدية مثل:

١. قولهم في معركة الجمل لعلي بن أبي طالب ﷺ: أبحت لنا مالهم ومتاعهم ولم تبح لنا نساءهم وذراريهم.

٢. نقمتهم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنه أزال اسمهُ كأمير للمؤمنين.

٣. إنكارهم على علي بن أبي طالب ﷺ قوله للحكمين: "إن كنت أهلاً للخلافة فأثبتاني"، فقالوا إن كنت في شك من خلافتك فغيرك بالشك فيك أولى

٤. سؤالهم لعلي بن أبي طالب ﷺ: لم حكمت الحكمين في حق كان لك[٦]؟

فكما ترى، فهي أسئلة سياسية بامتياز ليس فيها سؤال عن آية في كتاب الله أو حديث في سنة

---

١ مقالات الإسلاميين، مرجع سابق، ص١٦٨.
٢ الفرق بين الفرق، مرجع سابق، ص٧٢.
٣ اعتقادات فرق المسلمين، ص٤٦.
٤ البرهان في معرفة عقائد الأديان، ص١٨.
٥ أنظر: الملل والنحل، مرجع سابق، ص٩٩.
١ الفرق بين الفرق، ص٧٦.

رسـول الله ﷺ فمـا كـان لـدى الخـوارج إلا الـسياسة ومـا يتعلـق بهـا. فـشبههم سياسـية لا علميـة أو شرعية.

لذا؛ فالخوارج فرق دينية أفرزتها الأحداث السياسية وتركت هذه الأحداث أثرها على مسائل الإجمـاع وعلـى شـعاراتهم وعلـى تـسمياتهم. و هـو ردة فعـل لكثـرة القتـل باسـم الـسياسة والخلافـة والإمارة.

المبحث الثاني: تأثير البيئة السياسية في التفكير العقدي عند المرجئة

" يقول الشهرستاني:الإرجاء على معنيين:

أحدهما: بمعنى التأخير كما في قوله تعالى: (قالوا أرجه وأخاه) أي أمهله وأخره

والثاني: إعطاء الرجاء

أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد، وأما بالمعنى الثاني فظاهر فإنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة "[١]

و المعنى السابق يخص الإرجاء البدعي الذي جاء به الجهم بن صفوان حين حصر الإيمان بالمعرفة، أي معرفة الله وحده بدون مطالبة بتصديق أو إقرار أو أعمال. وقد سبق الحديث عنه عند التعرض لأثر السمنية على مقولات الجهم بن صفوان.

والإرجاء الثاني وهو إرجاء مرتبط بالأحداث السياسية التي مرّت بها أمة الإسلام من بعد مقتل الخليفة الثالث أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ ، وقد سبق الحديث عنهما.

والحديث في هذا المبحث عن أثر السياسة على ظهور الفكر الإرجائي في التفكير العقدي الإسلامي.

والذي يدلل على هذا التقسيم قول سفيان بن عيينه (ت ١٩٨ هـ):" الإرجاء على وجهين: قوم أرجوا أمر علي وعثمان فقد مضى أولئك، فأما المرجئة اليوم فهم قوم يقولون الإيمان قول بلا عمل"[٢].

وكلتا الطائفتين اللتين تحدث عنهما سفيان بن عيينة ظهرتا في وسط أحداث سياسية مرت بها الأمة، وكان بعض نتائجها ظهور الإرجاء والمرجئة.

المطلب الأول: الفتنة الأولى والإرجاء الأول وبراءة الصحابة و الحسن بن محمدﷺ منه:

١ الملل و النحل، مرجع سابق، ص١١٦.
٢ الطبري، محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ، تهذيب الآثار، مطبعة المدني، بدون تاريخ، ج٣، ص٦٥٩، أثر رقم ٩٧٦، مسند ابن عباس، حديث ٢٥.

لقد بدأت الفتنة الأولى بمقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ سنة (٣٥) هـ الأمر الذي تبعه الخلاف المعروف في أيهما أولى: القصاص من قتلة عثمان كما كان يرى معاوية بن أبي سفيان ﷺ ومعه جيش الشام، أم تثبيت أركان الدولة والخلافة ثم القصاص من قتلة عثمان ﷺ ، وكان على هذا الرأي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ومعه أعيان الصحابة الكرام، وسائر الحواضر في الدولة الإسلامية باستثناء الشام. ثم حصلت واقعة الجمل ثم معركة صفين، وكانت النتيجة آلاف القتلى والجرحى، كان منهم مجموعة من خيرة الصحابة كطلحة بن عبيد الله، وعمار بن ياسر[١]، والزبير بن العوام – رضي الله عنهم أجمعين -.

لقد وقع الخلاف بين أكابر الصحابة حول مسألة سياسية، وكل طرف عنده من الحجج والقناعات ما يدفعه للتمسك برأيه وقوله، ولم تكن القناعة فقط عند القائدين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما، بل كان جيشيهما كل فرد منهما على قناعة تامة وكاملة بحقه وصدق رأيه، وكل فرد في الجيشين تشبع بالرأي الذي يقاتل لأجله.

وإليك هذا النص الذي يدل على أن أفراد الجيشين كانوا على قناعة بعدالة قضيتهِ وبطلان رأي المقابل له، يقول ابن كثير في البداية والنهاية:

"... وذكر غير واحد من علمائنا السير أنهم اقتتلوا بالرماح حتى تقصفت، وبالنبال حتى فنيت، وبالسيوف حتى تحطمت، ثم صاروا إلى أن تقاتلوا بالأيدي، والرمي بالحجارة، والتراب يعفرونه في الوجوه، ثم تعاضوا بالأسنان، فكان يقتتل الرجلان حتى يثخنا ثم يجلسان يستريحان، وكل واحد منهما يهمز على الآخر ويهر عليه، ثم يقومان فيقتتلان كما كانا، لا يُمَكِنُ أحدهما الفرار من الآخر... وصلى الناس الصبح إيماءً وهم في القتال "[٢].

فهذا النص يظهر تعلق كل فريق برأيه، وقناعته التامة بصواب ما هو عليه وخطأ الخصم، وأن هذه القناعة كانت عند كل فرد من أفراد الجيشين أو هي الغالبة على الجميع، وليس أمراً – إلى القتال – أكره عليه الجيشين بل كانا يقاتلان عن قناعة تامة تشربها كلا الجيشين من الأمير إلى أصغر الجنود.

وفي ظل هذا التصادم في القناعات والآراء، والتقاتل عليهما والموت دونهما ظهر فكر جديد، ملأته الحيرة في أي الفريقين على الحق، وأيهما على الباطل، وأيهما يُنصر أو يقاتل.

وقد تمثل هذا الفكر الجديد بالنقاط التالية:

١ البداية والنهاية، مرجع سابق، المجلد الرابع، ج٨، ص١٨.
٢ البداية والنهاية، مرجع سابق، المجلد الرابع، ج الثامن، ص٤٠، أحداث سنة ٣٧ هـ.

الأول: طائفة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

الذين آثروا الابتعاد عن هذه الفتنة، وعدم الخوض فيها لا بقول ولا بفعل، بل اعتزلوا الفريقين مثل: سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وأبو هريرة، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، ومحمد بن سلمة، وأبو بكرة. – رضي الله عنهم أجمعين -.

ولم يكن اعتزالهم إلا بالاعتماد على أمرين:

١. حديث رسول الله ﷺ الذي يرويه الصحابي الجليل أبو بكر ﷺ - و هو أحد المعتزلين - فيقول: قال رسول الله ﷺ: " إنها ستكون فتنة يكون المضطجع فيها خيراً من الجالس، والجالس خيراً من القائم، والقائم خيراً من الماشي، والماشي خيراً من الساعي". قال: يا رسول الله ما تأمرني؟ قال: "من كانت له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه". قال: فمن لم يكن له شيء من ذلك؟ قال: "فليعمد إلى سيفه فليضرب بحده حره ثم لينج ما استطاع النجاء"[١].

فراوي الحديث الصحابي الجليل أبو بكرة قد روى هذا الحديث وعمل بما فيه فاعتزل الفتنة حين بدأت، وكذا فعل كثير من الصحابة.

٢. اعتمد الصحابة المعتزلون للفتنة على حديث النبي ﷺحيث قال: " إذا ذكر أصحابي فأمسكوا "[٢]. فهذا حديث يأمر بالإمساك عن الخوض في الصحابة وفي اختلافهم، والنهي كان عن مجرد ذكرهم بالسوء فكيف بقتالهم؟ وكيف إذا كان أحد الفريقين هو علي بن أبي طالب ﷺ أحد السابقين في الإسلام وأحد المبشرين بالجنة.

لذا، فقد امتنع صحابة رسول الله ﷺ عن الدخول بالفتنة، فكان موقفهم ليس إرجاءً بأي حال بل هو إحياء لسنة وتطبيقاً لها في الكف عن الفتن وعن الخوض في صحابة رسول الله ﷺ.

فاعتزال الصحابة - رضوان الله عليهم – للأحداث السياسية الواقعة لم يكن لتكوين عقيدة الإرجاء أو التمهيد لها أو لأي فرقة أخرى، بل كان موقفاً سياسياً حيادياً يقف على مسافة متساوية من كل الأطراف والأفكار[٣] معتمدين بذلك على ما وصاهم به رسول الله ﷺ.

---

١ أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٢٧٥ هـ، سنن أبي داود، بيت الأفكار الدولية، بدون تاريخ، كتاب الفتن والملاحم، باب النهي عن السعي في الفتنة، ص٤٦٤، حديث رقم ٤٢٥٦، قال الشيخ الألباني: صحيح.
٢ الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب ت ٣٦٠ هـ، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، ط٢، ج٢، ص٩٦، حديث رقم ١٤٢٧، من أحاديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ.
٣ وقد عد الشيخ سفر الحوالي أن موقف الصحابة المعتزلين للفتنة هو موقف الطائفة الفضلى من بين كل الفرق. أنظر: الحوالي، سفر بن عبد الرحمن، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، بدون تاريخ، ص١١٧.

الثانية: طائفة الشكاكين

وقد ورد خبرهم في معجم ابن الأعرابي:

قال: " وأما المرجئة فهم الشكاك الذين شكوا، وكانوا في المغازي، **فلما قدموا المدينة بعد قتل عثمان بن عفان** ﷺ، وكان عهدهم بالناس وأمرهم واحد ليس فيهم اختلاف فقالوا:

" تركناكم وأمركم واحد ليس فيكم اختلاف، وقدمنا عليكم وأنتم مختلفون، فبعضكم يقول: قتل عثمان مظلوماً وكان أولى بالعدل وأصحابه، وبعضكم يقول: كان علي أولى بالحق وأصحابه،كلهم ثقة، وعندنا مصدق، فنحن لا نتبرأ منهما ولا نلعنهما ولا نشهد عليهما، ونرجئ أمرهما إلى الله حتى يكون الله هو الذي يحكم بينهما"[١].

فهذا النص اعتمد عليه بعضهم في التأصيل لعقيدة الإرجاء، وأن منبعها كان من صحابة رسول الله ﷺ.

والنص عند التأمل يظهر عليه بعض المآخذ وهي على النحو الآتي:

١. إن أول من ذكره هو ابن الأعرابي الذي توفي سنة (٣٤٠) هـ في كتابه معجم ابن الأعرابي، وهذا بعد أحداث الفتنة و (٣٠٣) سنة، وهذا النص بما يحويه من تفاصيل مهمة وجب أن يكون ذكره قبل هذا التاريخ بمئات السنين، بل وجب أن يتعرض له أصحاب السير والتاريخ وكذلك المحدثين في كتبهم ومؤلفاتهم.

٢. ولو كان معروفاً ومشهوراً لوجدته – بما يحتويه من تفاصيل – مشهوراً ومتداولاً كما تتداول باقي النصوص المتعلقة بالفتنة، لا أن يُعرف في القرن الرابع الهجري.

٣. إن النص عرف المرجئة بأنهم الشكاك، والإرجاء بمعانيه المختلفة لم يحمل معنى الشك ولا يتطرق له، بل إن الفترة التي يتحدث عنها النص و هي سنة (٣٥ هـ) لم تكن فرقة المرجئة بجميع مقالاتها قد ظهرت.

٤. إن النص يحوي تناقضاً واضحاً في تحديد الفترة الزمنية، فالنص يشير إلى أنهم حضروا الفتنة ما بين علي ومعاوية من جهة لأنهم قدموا إلى المدينة بعد مقتل عثمان ﷺ .

ومن جهة أخرى فإن ذات النص يشير إلى أنهم ما شهدوا هذه الفتنة ليحكموا أي الفريقين أصوب، وهذا تناقض واضح في النص، لأن الفترة الزمنية بين مقتل عثمان و مقتل علي بن أبي طالب – رضي الله عنهما - هي خمس سنوات.

٥. على فرض أنهم عادوا بعد مقتل علي بن أبي طالب، فتكون الفترة التي ابتعدوا فيها وهم في الثغور تقرب من خمس سنوات من مقتل عثمان إلى مقتل علي، فهل يعقل أنهم لم يسمعوا عنها شيئاً؟ وقد شغلت هذه الفتن كل حواضر الإسلام من الشام إلى المدينة ومن مصر إلى الكوفة. وهل يعقل أنه لم يأتهم خبر الفتنة؟وأنهم لم يرجعوا خلال كل هذه السنوات الخمس إلى أوطانهم؟.

٦. من هم الشكاك في ميزان الصحبة، وهل يعقل أن يتوقف – من لم يُعرف حالهم – ويشكوا بمن هم أفضل منهم، أي أن عثمان وعلي خير أصحاب رسول الله ﷺ، فكيف يأتي من يتوقف بأمرهم ويشك فيهم – رضي الله عن الجميع -. وهم من المبشرين بالجنة، فالتوقف بخبر الشكاك أولى من التوقف بخبر صحابة رسول الله ﷺ.

٧. إن صحابة رسول الله ﷺقد جاوزوا القنطرة في أسبقيتهم وتقدمهم في دين الله، فكيف يُشك فيهم؟! أو كيف يتصور أن يصدر عنهم عقيدة تخالف عقائد المسلمين؟!. هذا إذا افترضنا صدق الخبر وأن الشكاك هم من صحابة رسول الله ﷺ.

٨. إن من رواة النص السابق (كثير بن مروان الفلسطيني)، و الذي تم تضعيفه من معظم علماء الجرح مثل: يحيى بن معين، و الدارقطني، و وُصِف بالكذب و الضعف و قالوا عنه: ليس حديثه بشيء، و لا يحتج به، و بهذا فلا يصح الاعتماد على هذا النص لشدة ضعفه [١].

نستخلص مما سبق:

أن النص المذكور في تاريخ معجم ابن الأعرابي لا يصح الاعتماد عليه أو الاحتجاج به في قول القائل إن فكرة الإرجاء نبتت في جيل من الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين – بعد الفتن السياسية التي وقعت في ذلك التاريخ.

الثالثة: الحسن بن محمد بن الحنفية ت (١٠٠ هـ) ورسالة الإرجاء:

هو حفيد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ من ابنه محمد بن الحنفية، و هو تابعيٌ جليل عالم بالحديث، من رواة الصحيحين، يقول عنه عمرو بن دينار ت (١٢٦) هـ:" ما رأيت أحداً أعلم بما اختلف فيه من الحسن بن محمد، ما كان زهريكم هذا إلا غلاماً من غلمانه (يعني ابن شهاب الزهري) "[١].

كان والده محمد بن الحنفية قد قاتل مع الإمام علي بن أبي طالب في معركتي الجمل وصفين. وقد كان الحسن صاحب علم وفقه، وكانت ترد إليه الأقوال والأسئلة والوفود لتسأله في حكم المختصمين في الفتنة، وما يقوله أو يفتي به له تأثير في المجتمع الإسلامي، حيث يترقب الناس قوله ليعملوا به.

وقد كانت بعض الطوائف في المجتمع الإسلامي قد أظهرت انقساماً في موالاة صحابة رسول الله ﷺ في الفتنة، فأما السبئية فقد تولوا علي بن أبي طالب ﷺ وكفروا مخالفيه، وأما الخوارج فقد تولوا أبا بكر وكفروا علياً وطائفتهِ، وهذا خلافٌ توقف به الصحابةُ واعتزلوه، فما فعله الحسن بن محمد بن الحنفية أنه عمل على تخفيف حدة التوتر السياسي عن طريق إصدار هذا الرأي – الآتي ذكره - في علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما.

وهذا ما يشير إليه النص الذي ينقل عن الحسن بن محمد ﷺ.

" فقد كان في مجلس فأكثر الجالسون فيه ذكر علي وعثمان وطلحة والزبير فأكثروا والحسن ساكت ثم تكلم فقال: قد سمعت مقالتكم ولم أرَ شيئاً أمثل من أن يرجأ عليٌ وعثمان وطلحة والزبير فلا يتولوا ولا يتبرأ منهم" [٢].

فالملاحظ أن رأي الحسن كان محايداً ومخففاً من حدة التوتر في المجتمع، ولم يكن – رحمه الله – يتحدث بالإرجاء المنهي عنه في الإيمان.

يقول ابن حجر: "المراد بالإرجاء الذي تكلم الحسن بن محمد فيه، غير الإرجاء الذي يعيبه أهل السنة المتعلق بالإيمان، وذلك أني وقفت على كتاب الحسن بن محمد المذكور..... أنه كان

---

١ الكلاباذي، أحمد بن محمد بن الحسين ت ٣٩٨ هـ، الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، رجال صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، ج١، ص١٦١ وما بعدها. وأنظر: الشيرازي، إبراهيم بن علي ت ٤٧٦ هـ، طبقات الفقهاء، دار الرائد العربي بيروت، ط١، ١٩٧٠، ج١، ص٦٣.

٢ تاريخ دمشق،ابن عساكر، مرجع سابق، ج١٣، ص٣٨٠، وانظر الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨ هـ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣، ج٢، ١٠٨٢، ترجمة رقم ٣٩. و.

يرى عدم القطع على إحدى الطائفتين المقتتلتين في الفتنة بكونه مخطئاً أو مصيباً، وكان يرى أن يرجئ الأمر فيهما. وأما الإرجاء الذي يتعلق بالإيمان فلم يعرج عليه"[١].

فقد كان رأي الحسن بن محمد هو رأي سياسي حاول فيه حقن دماء المسلمين، لذا فإنه كان يكتب رأيه هذا إلى الأمصار ليُقرأ عليهم[٢].

فرأيه ما كان رأياً عقدياً بقدر ما كان رأياً سياسياً رأى فيه حلاً وسطاً بين المختلفين، محاولاً بذلك إخراج المسلمين من أجواء الفتن أو من الخوض في أعراض صحابة رسول الله ﷺ.

المطلب الثاني: إرجاء الفقهاء والأحداث السياسية التي أوجدته

يُعَدُ هذا الإرجاء بداية الإرجاء البدعي، المتعلق بالإيمان ومسماه وهو يخالف كلياً الإرجاء الذي يُنسَب إلى الحسن بن محمد بن الحنفية – رضي الله عنه -.

وهذا الإرجاء انتهى إلى إخراج العمل من مسمى الإيمان، والاكتفاء بإيمان القلب وإقرار اللسان، وعدُّ الأعمال من كمال الإيمان لا من صحته.

و قد كانت مقدمة هذا الإرجاء حين نزع عبد الرحمن بن الأشعث الطاعة للحجاج، وبعد أن كان عبد الرحمن بن الأشعث من جنود الحجاج والدولة الأموية، أصبح ذا قوة وسلطان خاصة بعد أن خاض عدة معارك مع الحجاج وكانت الغلبة فيها لابن الأشعث.

لقد كان أول نزاع بين الحجاج وابن الأشعث حين توقف ابن الأشعث عن التوغل في بلاد الترك، فرفض الحجاج صنيعة ابن الأشعث فما كان من ابن الأشعث إلا أن جمع من معه وعرض عليهم الأمر ليتبادلوه فيما بينهم، فاستقر الرأي على نزع وخلع الحجاج ومبايعة عبد الرحمن بن الأشعث[٣]، فكان هذا أول أمر ابن الأشعث رأياً سياسياً تم الخلاف فيه.

وقد كان مع ابن الأشعث مجموعة كبيرة من الفقهاء والقراء والعلماء، وكان وجودهم في جيش ابن الأشعث سبباً في جعل هذه الثورة ذات طابع ديني أو صبغة دينية مع أنها ثورة سياسية في الدرجة الأولى. ولم يكن للثوار أيةُ شبه علمية أو عقدية في ثورتهم، ولكنهم قد وجدوا أن الفرصة متوافرة للخلاص من ظلم الحجاج.

١ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ، تهذيب التهذيب، بدون تاريخ، ج٢، ص٢٢٧، ترجمة رقم ٥٥٤.

٢ الملل والنحل، مرجع سابق، ص١١٨.

٣ أنظر تفاصيل ثورة ابن الأشعث في البداية والنهاية، مرجع سابق، المجلد الخامس، ج٩، ص١٤٦، وما بعد – بتصرف واختصار .

ولتأجيج هذه الثورة ونشر روح الحماس فيها كان القراء والعلماء يرفعون شعارات دينية لتحقيق نصر سياسي. ومن شعارات العلماء في تلك الفترة:

١. يقول عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه[١]: "قاتلوا هؤلاء المحلين المبتدعين".

٢. وقال أبو البختري[٢]: "أيها الناس، قاتلوهم على دينكم ودنياكم، فوالله لئن ظهروا عليكم ليفسدن عليكم دينكم وليغلبن على دنياكم".

٣. ويقول الشعبي[٣]: "يا أهل الإسلام، قاتلوهم ولا يأخذكم حرج في قتالهم، فوالله ما أعلم قوماً على بسيط الأرض أعمل بظلم ولا أجور منهم في الحكم، فليكن بهم البدار.

٤. ويقول سعيد بن جبير[٤]: "قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم بنية ويقين، وعلى آثامهم قاتلوهم وعلى جورهم في الحكم، و تجبرهم في الدين، و استذلالهم الضعفاء وإماتتهم الصلاة[٥].

فهذه بعض فتاوى كبار العلماء الذين خرجوا مع ابن الأشعث، وقد كان هدفهم وغايتهم الخلاص من حكم الحجاج الذي تسلط على الناس بسياسته الظالمة وعدم تورعه في الدماء.

وقد تعلق الناس بابن الأشعث، ورأوا فيه المخلص من ظلم الحجاج وبطشه، وقد بدأت ثورة ابن الأشعث سنة (٨٠ هـ) واستمرت ما يقرب من ثلاث سنوات حتى قتل ابن الأشعث في سنة (٨٣ هـ).

كانت معظم المعارك فيها تنتهي بانتصار ابن الأشعث على الحجاج، مما أَعْظَم الأمل والرجاء في نفوس المسلمين بالتخلص من حكم الحجاج، فكانت هزيمة ابن الأشعث هزيمة

---

١ عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه، إمام، علامة، حافظ، فقيه، حدث عن عمر وعلي وأبي ذر وابن مسعود، كان بين أصحابه يعظم وكأنه أمير، أدرك مئة وعشرين من الصحابة، مفسر وقارئ لكتاب الله، وهو من أئمة التابعين وثقاتهم. أنظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج٤، ص٢٦٢، ترجمة رقم ٩٦.

٢ أبو البختري، الطائي الكوفي، سعيد بن فيروز بن أبي عمران، تابعي جليل، روى عن عمر وعلي مرسلاً، وثقة أبو زرعة، وابن معين، وهو ثقة مثبت، فيه تشيع، وقليل من الإرسال. أنظر: ابن حجر، أحمد بن علي، لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ج٩، ص٤٦١. وتقريب التهذيب، مرجع سابق، ص١٨٠، ترجمة رقم ٢٣٨٠.

٣ الشعبي، علامة التابعين أبو عمرو عامر بن شرحبيل الهمداني، كان إماماً حافظاً فقيهاً، متفنناً، ثبتاً، خرج مع ابن الأشعث ثم نجا من سيف الحجاج وعفا عنه و ولاه قضاء الكوفة، مات بعد المئة وعمره نحواً من ثمانين سنة. أنظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨، ج١، ص٦٣، ترجمة، رقم ٧٦. و ابن حجر، أحمد بن علي، تقريب التهذيب، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٩م، ص٢٣٠، ترجمة رقم ٣٠٩٢.

٤ سعيد بن جبير، ولد سنة ٤٥ هـ، تابعي، كان أعلم التابعين، حين قتل لم يكن على وجه الأرض إلا وهو محتاج إلى علمه، كان إماماً، حافظاً، مقرئاً، مفسراً، و من كبار العلماء، قرأ القرآن على ابن عباس. أنظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج٤، ص٣٢١، ترجمة رقم ١١٦. وأنظر: الأعلام، للزركلي، مرجع سابق، ج٣، ص٩٣.

٥ الأقوال السابقة من تاريخ الطبري، مرجع سابق، ج٦، ص٣٥٧، وما بعدها، أحداث سنة ٨٣هـ.

لشريحة كبيرة من المظلومين والمضطهدين في المجتمع الإسلامي، وكان بقاء الحجاج هو استمرار لسياسة سابقة من الظلم والقتل والبطش بالمسلمين.

وقد كانت خاتمة هذه المحنة تصرف عجيب وجديد قام به الحجاج، كان هذا التصرف والسلوك محط استفسار العلماء والناس، وكان بذرة لإرجاء الفقهاء:

وهذا التصرف هو أن الحجاج بعدما هزم ابن الأشعث كان لا يبايع أحداً إلا إذا أشهدهُ على نفسه بالكفر، فإذا رفض قتله الحجاج[١].فتعرض لفتنة الحجاج العلماء والقراء والعامة من الناس، و بهذا الفعل من الحجاج ظهر حكمان:

الأول: حكم من شهد على نفسه بالكفر مكرهاً: فهذا بين كتاب الله حكمه، قال تعالى: **(مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)** [النحل: ١٠٦].

فالذين شهدوا على أنفسهم بالكفر أولئك كانوا مكرهين على ذلك، وما شهدوا على أنفسهم بالكفر إلا خوفاً من السيف ومن القتل، ولم تكن صدورهم منشرحة لهذا الكفر الذي نطقت به ألسنتهم[٢].

فحكمهم معروف ببقاء إيمانهم وإسلامهم، وعدم تضررهم من الكفر الذي ألزموا أن يشهدوا به على أنفسهم. فهؤلاء لم يكن فعلهم بجديد و لا حكمهم وقد وجد في كتاب الله لهم مخرجاً وحكماً.

الثاني: حكم الحجاج الذي أكره المسلمين على أن يشهدوا على أنفسهم بالكفر:

كان هذا الفعل من الحجاج هو من أواخر الفظائع التي ارتكبها، وقد سبقها فظائع أخرى حيث قتل ابن الزبير في مكة حين كان والياً على الحجاز ثم العراق، التي استمر بها والياً لمدة عشرين سنة كان بها جريئاً على الدماء لأدنى شبهة، وختمها حين أجبر الناس على أن يشهدوا على أنفسهم بالكفر.

و الإشكالية هي: أن الحجاج من ناحية فهو مسلم يؤدي ما عليه من واجبات دينية، ومن جهة ثانية فإن أعماله بحق الخلق والرعية كلها ظلم وبطش وقتل لعشرات السنين، ويضاف إليها قتله للعلماء وإجبار الناس على الاعتراف بالكفر، فأفعاله تشابه أفعال كفار قريش حين كانت تفتن المسلمين في دينهم وأعراضهم وأنفسهم، ولا يختلف عن كفار قريش في هذه الأفعال بل كان

---

١ تاريخ الطبري، مرجع سابق، ج٦، ص٣٦٠، وما بعدها – بتصرف واختصار – وفعل الحجاج هذا مثل فعل الخوارج الذين طالبوا علي بن أبي طالب أن يقر بكفره ويتوب منه.

٢ كقصة عمار بن ياسر حين عذبته قريش حتى ينطق بالكفر. أنظر: الحميدان،عصام بن عبد المحسن صحيح أسباب النزول،، مؤسسة الريان، ط١، ص١٩٩، سبب نزول آية ١٠٦ من سورة النحل، ص٢٢٦.

الحجاج أشد منهم قوة وبطشاً؛ فظهرت نتيجة ذلك أسئلةٌ جديدة عن الإيمان ومسمياته مثل: هل الحجاج مسلم أم غير مسلم؟ وهل أفعاله تخرجه من الإسلام أم لا؟ وهل هو مؤمن أم مسلم أم فاسق؟ وما حكم أفعاله؟ وما الحد الذي تخرج به بأفعاله عن مسمى الإسلام والإيمان؟

وقد امتدت هذه الأسئلة لتشمل الحجاج وقادة جيوشه وجنوده وسجّانيه، أي أن الأمر لم يكن فقط عن شخص واحد هو الحجاج بل إنه أصبح مسألة تؤرق المجتمع وأصبح الفقهاء والعلماء في مواجهة مثل هذه الأسئلة والناس ينتظرون الإجابة عنها.

فكانت الإجابة عن هذه التساؤلات **بتعديل مسمى الإيمان و عدِّ أن الأعمال التي قام بها الحجاج – ومن ناصره – لا تخرجهم من الإسلام ولا تقدح بإيمانهم؛ لأن هذه الأعمال ليست من الإيمان، لأن الإيمان محصور باعتقاد القلب وإقرار اللسان، وسائر الأعمال فعلاً وتركاً ليست من مسمى الإيمان، وهذه مقولة مرجئة الفقهاء.**

لقد ظهرت هذه المقولة أول ما ظهرت – على الأرجح – على لسان ذر بن عبد الله الهمذاني، وهو تابعي ثقة قال عنه الإمام أحمد: لا بأس به وكان مرجئاً[1]، ونُسِبت مقولة إرجاء الفقهاء إلى حماد بن سليمان، وقيس بن عمرو العامري، وسالم الأحوص وكلهم متعاصرون[2].

وهكذا؛ فإن الأحداث السياسية الدموية التي امتدت لعدّة سنوات كلفت الأمة الكثير من الدماء والعلماء، وأنبتت مفهوماً جديداً لمسمى الإيمان، كان هذا المفهوم حلاً وعلاجاً وجواباً للتساؤلات التي أفرزتها الأحداث السياسية.

---

١ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، بدون تاريخ، ج٢، ص٣٢، ترجمة رقم ٢٦٩٨.

٢ ظاهرة الإرجاء، مرجع سابق، ص١٨٤.

المبحث الثالث: تأثير البيئة السياسية في التفكير العقدي عند الشيعة

المطلب الأول: تأثير المسائل السياسية ودورها في نشأة بعض المسائل العقدية عند الشيعة وبروزها:

على الرغم من الخلاف في التاريخ الذي نشأ به التشيع سواء أكان في زمن النبوة أم بعد وفاة علي بن أبي طالب، وعلى الرغم من الاختلاف في تعيين المؤثر الخارجي الرئيس الذي حفز وأظهر التشيع سواء أكان فارسياً أم يهودياً أو نصرانياً أو أنه منشأ عربي أصيل[١].

على الرغم من كل هذه الخلافات؛ فإنه لا يمكن إنكار أن مسألة أحقية علي بن أبي طالب ﷺ في القيادة السياسية للأمة كانت تظهر عند كل وفاة سواء أكانت بعد وفاة رسول الله ﷺ أو الصديق أو بعد مقتل الفاروق وذي النورين، فقد كانت تظهر مسألة أولوية علي بن أبي طالب ﷺ في الخلافة كلما شغر منصب الخليفة أو منصب القائد.

ولكن بعد مقتل ذي النورين ﷺ وحصول الخلاف بين علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما -، أخذت مسألة التشيع لآل البيت تظهر بجلاء أكبر، ولقد ابتدأ التشيع بأقصى وأعلى درجات الغلو والتطرف على يد عبد الله بن سبأ اليهودي، والذي كان ينادي بألوهية علي بن أبي طالب ﷺ وما ردعه وما كف باطله – أي ابن سبأ – إلا علي بن أبي طالب ﷺ حين طارده فهرب ابن سبأ فهرب وقد كان فعل ابن سبأ بداية لخلط المسائل السياسية بالمسائل العقدية بما أبدعه من عقائد فاسدة كالوصية والرجعة وغيرها من المسائل التي تعمقت في فكر الشيعة فيما بعد.

لقد استفحل موضوع التشيع بعد أن نُكب آل البيت بمقتل ثلاثة من عظمائهم: علي بن أبي طالب سنة (٣٥ هـ)، والحسن بن علي سنة (٥٠ هـ)، ثم الفجيعة في مقتل الحسين سنة (٦١ هـ). ولقد حولت هذه الأحداث مع معركة الجمل و صفين –الصراع عند الشيعة وكأنه صراع بين الهاشميين والأمويين.

وأصبح التشيع يمثل قصة عائلة مظلومة ومضطهدة و مُتآمرٍ عليها، و نصرها يعدُّ عبادةً لله عز وجل، وكذلك لا سبيل للتخلي عنها، لأن الدين لا يقوم إلا بها، وكان هذا هو الأثر الفارسي الذي تسرب إلى التفكير العقدي الإسلامي.

---

١ عرفان عبد الحميد، دراسات في الفرق والعقائد، مرجع سابق، ص٢٥، وص٣٤.

وقد نبتت هذه الفكرة في العراق في الكوفة بالذات وهي الموطن الذي أصبح حاضرة من حواضر الإسلام، فقد كانت تخرج منها جيوش الفاتحين وترجع وقد نقص عددهم بالموت، وتستقبل بدلاً عنهم بل وأكثر منهم أعداداً وفيرة من أبناء المناطق المفتوحة من الفرس والترك والروم والقبط والكرد والبربر، وكان أكثرهم من الفرس والنصارى والعرب؛ فأصبحت هذه الرقعة من الأرض تحوي العديد من الألوان واللغات والثقافات والعادات والنظم والأفكار والمعتقدات، وظهر فيها تناقضات واضطرابات أدت إلى أن أصبح المجتمع مجتمعاً غير متجانس[١].

أصبح العراق بالذات هو النقطة والمنطقة المركزية التي اختلطت بها الحضارة الإسلامية مع الحضارة الفارسية المانوية و المزدكية والزردشتية، وكانت الشيعة هي المنهج الذي خطط ومزج تعاليم المثنوية بالإسلام[٢].

لقد نتج التشيع المعتمد على فكرة القائد أو الإمام نتيجة لامتزاج عنصرين:

١. العنصر الفارسي الذي يعتمد على العائلة في إقامة الشعائر الدينية.
٢. الأحداث الدموية التي مرت بها الدولة الإسلامية بسبب مسألة الخلافة منذ مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان سنة (٣٥ هـ) إلى مقتل الحسين بن علي سنة (٦١ هـ).

فتعاظم دور القائد والإمام والخليفة في التفكير العقدي الإسلامي من بوابة التشيع حتى غدا محورياً في عقائد الشيعة.

٣. يضاف إلى ذلك أنه تم استغلال العاطفة الدينية لدى العامة و تسخيرها لخدمة التشيع لآل البيت – رضوان الله عليهم -، عن طريق تضخيم الأحداث التي أدت إلى مقتل الحسين ﵁ ومن خلال اختلاق القصص المحزنة و المبكية التي تروي مقتل الحسين – رحمه الله – (٦١)هـ، و ما حل بالهاشميات من آل النبي - ﷺ- من إهانة وسبي من جيش الكوفة[٣].

---

١ الصلابي، علي محمد، الدولة الأموية، دار ابن كثير، ط١، ٢٠٠٦، ج١، ص٩٢ وما بعدها – بتصرف واختصار .

٢ الخياط، عبد الرحيم بن محمد، الانتصار، تحقيق: الدكتور نيبرج، مكتبة الدار العربية مصر ودار أوراق شرقية بيروت، ط٢، ١٩٩٣، ص٥٤ وما بعدها.

٣ الطبرسي ، أحمد بن علي ت (٦٢٠) هـ ، **الاحتجاج** ، منشورات الشريف الرضي ، ط١ ، ١٣٨٠ هـ ، ج٢ ، ص ٢٥ و ما بعدها و أنظر :الحسني ، السيد نبيل ، **سبايا آل محمد** ، نشر وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسن ، ط١ ، ٢٠١٢ م، ص ١٤٧ و ما بعدها

و قد كانت نتيجة هذه الأكاذيب أن تم المبالغة في تعظيم آل البيت، لدرجة مجاوزة الحد الشرعي في ذلك، وأصبحت موالاة آل البيت بسبب هذه العاطفة أهم ركن من أركان الدين.

وكما أفرزت الأحداث السياسية مسألة الخلافة والنزاع عليهاالتي تبنتها الشيعة، كذلك عملت مسألة الخلافة وتعيينه على تفريق وتشتيت الطائفة الشيعية حتى وصلت فرقها إلى حوالي ٣٠٠ فرقة[١]. فالسياسة أوجدت الفكر الشيعي ثم فرقته.

وقد سبق البيان في أن القتال بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما - لم يكن خلافاً سُخرت له الجيوش دون إرادتها، بل كانت هذه الجيوش وكل فرد منها على قناعة تامة بصدق موقفه أو أحقيةِ قضيته.

المطلب الثاني: أثر مسألة الإمامة على التفكير العقدي الشيعي

لم تؤثر الخلافات السياسية بأي فرقة كما أثرت بالشيعة على اختلاف فرقها. لقد دخلت المسائل السياسية في عمق التفكير العقدي الشيعي حتى أصبحت مسألة الإمامة هي أهم ركن من أركان الإسلام عند الشيعة. وأصبحت الإمامة هي الميزان الذي يحاكم إليه الأحياء والأموات، وهي الميزان الذي تحاكم إليه كل المسائل والمواقف التاريخية السابقة و اللاحقة.

فنظرية الإمامة تم بموجبها إعادة تفسير الأحداث التاريخية والمسائل العقدية. ويمكن أن يظهر أثر المسائل السياسية المتمثلة بنظرية الإمامة أو عقيدة الإمامة من خلال النقاط التالية:

١. لقد وصلت فكرة الإمامة – مع أنها مسألة سياسية – إلى درجة اعتبارها ركناً من أركان الإسلام عند الشيعة. فهي ليست من مصالح العباد التي تناط باختيار العامة، بل هي ركن الدين لا يجوز للرسل – عليهم السلام – إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة، فالإمامة ثابتة بالتعيين والنص[٢]، فهي أصل من أصول الدين لا يترك للعامة، بل هو محدد بآيات في كتاب الله، وسيرة النبي ﷺ.

استدلوا على ذلك بما جاء عن أبي جعفر – عليه السلام – قال: بني الإسلام على خمس: على الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية. وعن

---

٢ المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر ت ٨٤٥هـ، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بخطط المقريزي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ، ج٤، ص ١٧٩

٢ الملل والنحل، مرجع سابق، ص١٢١.

الصادق قال: " أثافي الإسلام ثلاثة: الصلاة والزكاة والولاية لا تصح واحدة منهن إلا بصاحبتيها"، والولاية أفضل من الصلاة والزكاة والحج والصوم، وقد رخص الله بهذه الأربعة ولم يرخص بالخامسة وهي الولاية "[١].

فالنصان السابقان جعلا من الإمامة – وهي مسألة سياسية –مسألة عقدية وركناً من أركان الإسلام لا رخصة فيها لأحد.

ثم خلطت الإمامة بالنبوة فنور النبي ﷺ ونور أئمتهم قد خلقوا من نور واحد[٢]، و قد شارك علي بن أبي طالب رضي الله عنه - بزعمهم - رسول الله ﷺ في لواء الحمد والكوثر والجنة والنار، ثم أُعْطِي عليٌ رضي الله عنه ثلاثة لم يشاركه بها أحد و هذه الثلاثة هي: فاطمة الزهراء والحسن والحسين والشجاعة[٣].

و زعموا لآل البيت فضائل عظيمة لم تحصل حتى للأنبياء والرسل، مثل:أن الملائكة تدخل بيوت الأئمة وتأتيهم بالأخبار، وأن الأئمة هم حجة الله وباب الله وولاة أمر الله ووجه الله وجنب الله ويمين الله وخزنة علمه[٤].

ورتبوا على ذلك أن منصب الإمامة لا تخلو منه الأرض، وصنفوا بذلك الكتب و و أفردوا لذلك الأبواب، كما هو الحال في الكافي للكليني – وهو من كتب الشيعة المعتمدة – فقد أفرد في كتابه الكافي تحت اسم الحجة، وفصل فيه المسائل المتعلقة بالإمامة، وكيفية إثباتها وميزاتها وخصائص الأئمة، والإشارات والنص على كل واحد منهم[٥].

ثم طبقوا نظرية الإمامة على كتاب الله، فلم يجدوا نصاً صريحاً لما يقولونه في الزعامة السياسية الدينية لآل البيت كما يرونها.

فعن أبي جعفر قال: لولا أنه زيد في كتاب الله أو نقص ما خَفي حقنا على ذي حجى، ولو قام قائمنا فنطق صدقه القرآن،... ولو قرئ القرآن كما أنزل لألفيتنا فيه مسمَّيْن[٦].أي مذكورين في القران الكريم.

---

١ الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، منشورات الفجر، ط١، ١٤٢٨هـ، ج١، ص١٥، كتاب الإيمان والكفر، باب ١٣، باب دعائم الإسلام، حديث رقم ١ إلى حديث رقم ١٥.
٢ الجزائري، نعمة الله ت ١١١٢ هـ، الأنوار النعمانية، دار الكوفة بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص٢١.
٣ المرجع السابق، ج١، ص١٩.
٤ ابن فروخ، محمد بن الحسن، فضائل أهل البيت، مؤسسة النعمان، ص٩٩ وما بعدها في الأئمة وأن الملائكة تدخل بيوتهم.
٥ الكليني، الكافي، مرجع سابق، كتاب الحجة من باب ٥٨ إلى باب رقم ١٦٧.
٦ العاملي، محمد الطاهر، مقدمة تفسير البرهان، مؤسسة علي للمطبوعات، بدون تاريخ، ص٦٣.

وكـان عـدم ذكـر الأئمـة والولايـة فـي القـرآن سـبباً لإهمالـه حفظـاً وتفـسيراً وتدريـساً؛ - يقول علي خامنئي: "مما يؤسف لـه أن بإمكاننـا بدء الدراسة ومواصلتنا لها إلى حين استلام إجازة الاجتهاد من دون أن نراجع القرآن ولو لمرة واحدة".

و يقول: "إذا أراد شخص كسب أي مقام علمي في الحوزة العلمية كان عليه أن لا يفسر القرآن حتى لا يتهم بالجهل... حيث كان ينظر إلى العالم المفسر الذي يستفيد الناس من تفسيره على أنه جاهل لا وزن له علمياً لذا يضطر إلى ترك درسه".

- ويقول العلامة السيد محمد حسين فضل الله: "فقد نفاجأ بأن الحوزة العلمية في النجف أو في قم أو في غيرهما لا تمتلك منهجاً دراسياً إلزامياً للقرآن" [١].

فهذه قيمة كتاب الله عندهم، وما تجرؤوا عليه إلا لاعتقادهم بأنه قد حُرف وقد أخفيت منه عقيدة الإمامة لآل البيت.

ومعظم فرق الشيعة ظهرت نتيجة للخلاف على من يتولى قيادة الطائفة بعد موت زعيمها، وكذلك فإن معظم الفرق الشيعية تنظر إلى قائدها بعد وفاته على أنه لم يمت وأنه غائب وسوف يرجع في آخر الزمان، فالباقرية والناموسية و الممطورية وأصحاب الانتظار كلها فرق شيعية قائدها غائب وسوف يرجع [٢].

و الإمامية منهم تعتقد برجعة علي بن أبي طالب ﷺ لينتقم من الشيخين أبي بكر وعمر – رضي الله عنهم أجمعين - [٣].

والغالية من فرق الشيعة تعتقد بحلول الله في علي والأئمة من بعده مثل فرقة البنانية والسبأية و الحطابية و المغيرية والمنصورية وكذلك المفوضية التي أعطت السلطان لعلي بن أبي طالب في الآخرة فإن الله عز وجل – بزعمهم - يفوض أمر الخلائق إلى علي بن أبي طالب [٤].

و ادعاء أن الإمام غائب من جهة زمناً ومن جهة ثانية قولهم بضرورة أن يكون هناك خليفة للإمام لا تخلُو الأرض منه مع عدم ظهوره حالياً؛ فأدى ذلك إلى تطور فكرة الإمامة إلى فكرة ولاية الفقيه، الذي ينوب عن الإمام الغائب [٥].

---

١ هذه النقول من: الباقري، جعفر، الثوابت والمتغيرات في الحوزة العلمية، دار الصفوة، بدون تاريخ، ص١١٠ وما بعدها.
٢ اعتقادات فرق المسلمين، للرازي، مرجع سابق، ص٥٣ وما بعدها.
٣ المرجع السابق، ص٥٣.
٤ المرجع السابق، ص٥٧ وما بعدها.
٥ الكاتب، أحمد، تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، دار الجديد، ط١، ١٩٩٨م، ص٤٠٢.

فالخلاصة: أن التشيع بدأ فكرة سياسية، ونزاعاً على القيادة السياسية للدولة الإسلامية، ثم وبظروف معقدة ومختلفة تحول هذا النزاع السياسي إلى مسألة عقدية وإلى ركن من أركان الدين لأجلها اتهمت الأمة بالردة لأنها تركت ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب□، ثم طبقت هذه النظرية على القرآن الكريم وعلى النبوة وعلى اليوم الآخر، وتم تفسير القرآن بما يوافقها وتفسير الأحداث التاريخية السابقة بما يبرر هذه العقيدة السياسية الدينية الجديدة.

لقد نشأت هذه العقيدة في زمان فتن سياسية وفي أرض هي العراق عموماً والكوفة تحديداً، وهي بقعة خصبة بكل التيارات الأخرى غير الإسلامية، فتفاعلت أحداث الزمان مع هذا المكان لتخرج على المسلمين بعقيدة جديدة لم تكن لتوجد لولا الخلاف السياسي الذي استمر من سنة (٣٥ هـ) إلى سنة (٦١ هـ).

المبحث الرابع: تأثير الحاكم السياسي في نشر بعض المذاهب العقدية

يعدُ اعتناق الحاكم في دولة ما لمذهب معين أو اعتقاد محدد، يعدُ سبباً في تسريع انتشار هذا المذهب في تلك البلاد، فما إن يظهر مَيلُ الحاكم إلى معتقد ما إلا وتبعه بعد ذلك انتشارُ هذا المذهب بين أهل العلم – القريبين من السكان -.

فنجد أن منصب قاضي القضاة والمفتين والمدرسين في هذه البلدة قد أصبحوا على هذا المعتقد، ويتبع ذلك انتشار وتعليم وتدريس لهذا المذهب بين العامة في المعاهد والجامعات والمدارس على اختلاف مستوياتها.

يقول ابن كثير في تأثير الحاكم على شعبه:

"... لقد كانت همة الوليد في البناء، وكان الناس كذلك يلقى الرجل الرجل فيقول: ماذا بنيت؟ ماذا عمرت؟ وكانت همة أخيه سليمان في النساء، وكان الناس كذلك، يلقى الرجل الرجل فيقول: كم تزوجت؟ ماذا عندك من السراري؟ وكانت همة عمر بن عبد العزيز في قراءة القرآن، وفي الصلاة والعبادة، وكان الناس كذلك، يلقى الرجل الرجل فيقول: كم وردك؟ كم تقرأ كل يوم؟ ماذا صليت البارحة؟ والناس يقولون: الناس على دين ملوكهم، إن كان خمارا كثر الخمر. و إن كان لوطيا فكذلك وإن كان شحيحا حريصا كان الناس كذلك، وإن كان جوادا كريما شجاعا كان الناس كذلك، وإن كان طماعا ظلوما غشوما فكذلك، وإن كان ذا دين وتقوى وبر وإحسان كان الناس كذلك وهذا يوجد في بعض الازمان وبعض الاشخاص، والله أعلم.[١]

يقول العجلوني ت(١١٦٢) هـ في معنى الناس على دين ملوكهم:

"... والأظهر في معنى الترجمة أن الناس يميلون إلى هوى السلطان؛ فإن رغب السلطان في نوع من العلم مال الناس إليه، أو في نوع من الآداب والعلاجات كالفروسية والرمي؛ صاروا إليه، ثم قال: وأظهر ما في معناه قول عمر بن عبد العزيز "إنما السلطان سوق فما راج عنده حمل إليه"[٢].

لذا كان الإمام أحمد يقول لمن يسأله عن الحاكم:" ليس لك إلا أن تدعو له "[١] و يقول فضيل بن عياض ت (١٨٧)هـ: " لو كان لي دعوة مستجابة ما جعلتها الا في السلطان قيل له يا أبا علي فسر لنا هذا قال إذا جعلتها في نفسي لم تعدني وإذا جعلتها في السلطان صلح فصلح بصلاحه العباد والبلاد فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن جاروا وظلموا لأن جورهم وظلمهم على أنفسهم وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين "[٢]

لقد كان السلف الصالح يعلمون مقدار تأثير الحاكم في عقائد الناس لذا كانوا ينهون الناس عن الدعاء علي الحاكم و يحثونهم على الدعاء له، فصلاح الحاكم صلاح للرعية و فساد الحاكم به المشقة على الرعية، لذا كان من علامة اهل السنة أنهم يدعون للحاكم بالصلاح و يدعون له أن ييسر الله بطانة صالحة تدله على الخير و تعينه عليه.

و مقولة (الناس على دين ملوكهم) تصدق على الكثير من الأمثلة في التاريخ الإسلامي، بل إن المخالفين للحاكم في المعتقد يمتحنون في معتقداتهم، وقد يتم سبهم ولعنهم على المنابر بأمر من الخليفة أو الحاكم.

ومن أمثلة أنتشار العقائد بسبب اعتناء الحاكم بها:

١. العقيدة الأشعرية أو الأشاعرة – أتباع أبي الحسن الأشعري – ت (٣٢٤) هـ:

وجد في التاريخ الإسلامي دول قامت بنشر العقيدة الأشعرية في دولها واعتمدته بشكل كامل مثل الدولة السلجوقية ودولة الموحدين ودولة الزنكيين والأيوبيين، وقد أقامت في هذه الدول مدارس خاصة بالمذهب كالأزهر والزيتونة والنظامية والنورية في الشام ومصر وأفريقيا وخراسان [٣].

يقول المقريزي: "... أما العقائد فإن السلطان صلاح الدين الأيوبي ت (٥٨٩) هـ حمل الكافة على عقيدة أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري أبي علي الجبائي وشرط ذلك في أوقافه التي بديار مصر، كالمدرسة الناصرية... و المدرسة المعروفة بالقمحية و خانكاه سعيد السعداء بالقاهرة" [١].

وكذلك وُجِدَ من يضطهد هذه العقيدة مثل الخليفة العباسي القادر بالله (ت ٤٢٢ هـ)، الذي نكل بالمعتزلة والرافضة ثم أصدر اعتقاداً رسمياً عرف بـ (الاعتقاد القادري) يوافق معتقد أهل الحديث قطع به الطريق أمام الفكر الأشعري وقرئ في ديوان الخليفة ببغداد بحضرة الزهاد والعلماء، وكتب الفقهاء خطوطهم فيه أن هذا اعتقاد المسلمين ومن خالفه فقد فسق وكفر [٢].

---

١ المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر ت ٨٤٥ هـ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ، ج٤، ص١٦٦ وكما بعدها.

٢ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٩٧ هـ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢، ج١٥، ١٩٧، أحداث سنة ٤٢٠هـ.

٢. أهل الحديث:

و فتنتهم مشهورة جداً على يد المأمون حين جمع العلماء واختبرهم في فتنة خلق القرآن. وكان المأمون على رأي المعتزلة، وكانت خلافة المأمون هي العصر الذهبي للمعتزلة، حيث انتشر مذهبهم، وتقلدوا أرفع المناصب العلمية والسياسية.

وتم في هذه الخلافة محاربة أهل السنة في معتقداتهم، من خلال السجن والضرب كما حصل مع الإمام أحمد بن حنبل.

فقد بقي حال أهل الحديث بشر حال طيلة فترة حكم المأمون (ت ١٩٨ هـ) و المعتصم (ت ٢١٨ هـ) و الواثق (٢٢٧ هـ) ولم يتغير حالهم إلا بعد أن تغير الحاكم حين استلم المتوكل الخلافة في سنة(٢٣٢ هـ) الحكم والخلافة، فما كان منه إلا أن حارب المعتزلة ونصر أهل الحديث بأن سمح لهم بإعطاء دروس العلم ونشر مذهب أهل الحديث.

٣. الماتريدية أتباع أبي منصور الماتريدي (٣٣٣) هـ:

" انتشرت الماتريدية في الخلافة العباسية حيث التزمت بمذهب أبي حنيفة فأصبح لا يعين قاضٍ ولا وال من ليس بحنفي **وأكثر الحنفية ماتريدية** خصوصاً المتأخرون منهم حتى صار من يدعو لمذهب الحنفية يدعو لمذهب الماتريدية ولا تكاد تجد حنفياً ليس بماتريدياً.

وكذلك الدولة العثمانية فقد كانت مصرحة باتباع المذهب الحنفي الماتريدي، وقامت بنشره بالقوة والسلطان "[١].

وقد حُرِمَ بعض العلماء من مناصبهم بسبب بعض الآراء العقدية التي خالفوا بها السلطان:
- كما حصل مع العلامة ابن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٢ هـ)، حين رفض بعض المبالغات في حق رسول الله ﷺ بقصيدة كتبها الأديب علي بن أيبك الصفدي، فقام علي بن أيبك بإثارة العلماء على ابن أبي العز حتى وصل الأمر إلى السلطان فأمر بإنزال ما يقتضيه الشرع من تعزير وغيره لأبي العز الحنفي، ثم جاء كتاب آخر بإخراج ابن أبي العز من كل وظائفه التدريسية ثم اعتقل وسجن [٢].

---

١ الغامدي، خالد بن علي، نقض عقائد الأشاعرة والماتريدية، دار أطلس الخضراء الرياض، ط١، ٢٠٠٩م، ص٤٨ وما بعدها – بتصرف واختصار .

٢ العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، إنباء الغمر بأنباء العمر في التاريخ، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٦م، ج٢، ص٩٥.

وهذه الحادثة- أي تسلط الحاكم على العلماء - دفعت العلامة ابن أبي العز الحنفي إلى إخفاء اسمه حين شرح متن العقيدة الطحاوية[١]، خوفاً من مطاردة السلطان له لما بها من آراء خالفت رأي السلطان في عدم المبالغة بمدح رسول الله ﷺ.

وكذلك ما حصل للحافظ المزي (ت ٧٤٢ هـ) الذي ما استطاع أن يتولى مشيخة دار الحديث بالأشرفية إلا بعد أن وقع بخط يده وأشهد على نفسه بأنه أشعري، و كذلك ما حصل مع الإمام الحافظ الذهبي (الذي كان قد رشحه المزي من بعده)، فاعترض السلطان على الذهبي بأنه ليس أشعرياً[٢].

يتضح مما سبق أن الحاكم له دور كبير في نشر عقيدة ما في البلد الذي يحكمه، بما له من سلطان في تعيين العلماء في المراكز القيادية العلمية، وما يتبعه بعد ذلك من تدريس وإفتاء وتأليف للمؤلفات العلمية التي توافق فكر الحاكم وعقيدته.

وكذلك يسعى بعض الناس لاسترضاء الحاكم عن طريق مهاجمة الخصوم والتشهير بهم، ونقد عقائدهم ومطاردتهم في وظائفهم وأعمالهم فقط لمجرد المخالفة في المعتقد مستعينين بسيف السلطان وسطوته.

وكل عقيدة إذا تيسر لها حاكم ينصرها؛ فإن لسان حال ومقال أصحاب هذه العقيدة يقول: لولا أننا على العقيدة الحقّة لما يسر الله لنا الحاكم لينصرنا.

---

١ الحنفي، علي بن علاء الدين بن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: الألباني وآخرون، المكتب الإسلامي، ط٩، ١٩٨٨م، ص١١ وما بعدها.

٢ السُبكي، عبد الوهاب بن علي ت ٧٧١ هـ، طبقات الشافعية الكبرى، دار إحياء الكتاب العربي، بدون تاريخ، ج١٠، ص٢٠٠ بتصرف.

تأثيرات أخرى:

لقد كانت الأحداث السياسية الأولى في زمن الصحابة سبباً لدخول بعض المسائل السياسية في متون العقيدة الإسلامية، ومع أن المسائل السياسية ليس محلها كتب العقائد وهي ليست من أركان الإيمان، إلا أنها دخلت في كتب ومتون العقائد؛ لأن هذه الأحداث السياسية أصبحت علامة فارقة تميز الطائفة والفرقة عن غيرها من الفرق والطوائف ومثال ذلك:

١. مسألة أن معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه – خال المؤمنين:

ذكرها ابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ) في متن لمعة الاعتقاد فقال: "... ومعاوية خال المؤمنين، وكاتب وحي الله، أحد خلفاء المسلمين ﷺ "[١].

فهذه مسائل ليست من المسائل العقدية، ولكنها ذكرت في متن للعقيدة للرد على الروافض لتكفيرهم معاوية بن أبي سفيان ﷺ وأصل هذه المقولة – معاوية خال المؤمنين – أن جيش معاوية بن أبي سفيان أسر بعض المقاتلين من جيش علي بن أبي طالب – رضي الله عن الجميع

وكان من بين الأسرى عمرو بن أوس الأودي، فقال لمعاوية حين أراد قتله: لا تقتلني فإنك خالي، فقال معاوية: من أين أنا خالك ولم يكن بيننا و بينكم أودٌ و مصاهرة؟! قال عمرو: إن أخبرتك فهو أماني عندك؟ قال: نعم، قال: أليست أختك أم حبيبة –يقصد زوج النبي ﷺ هي أم المؤمنين؟- قال: بلى، قال: فإني ابنها وأنت أخوها فأنت خالي... فخلى سبيله[٢].

٢. مسألة ترتيب الخلفاء الراشدين:

ذُكر ترتيب الخلفاء الراشدين في متون العقيدة المتنوعة على الرغم من أنه ليس من الأصول التي يضل عليها المخالف[٣].

ولكنها ذكرت في متون العقائد مثل:

١ -الطحاوية لأبي جعفر الطحاوي ت (٣٢١)ه: فقال: " و نثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ:أولاً لأبي بكر الصديق...ثم لعمر بن الخطاب...ثم لعثمان... ثم لعلي بن أبي طالب.

٢ - لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي ت (٦٢٠)هـ فقال:"... و أفضل أمته: أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي المرتضى "

---

١ ابن قدامة، عبد الله بن محمد المقدسي ت ٦٢٠ هـ، لمعة الاعتقاد، سلسلة فنون العقيدة، دار ابن عمر للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٤، المتن الثامن، ص١٩٦.

٢ ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد، ت ٦٣٠ هـ، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٧م، ج٣، ص١٨٩.

٣ الواسطية، سلسلة المتون العالمية، مرجع سابق، المتن التاسع، ص٢٤١.

٣ - وشيخ الإسلام ت (٧٢٨) ه في العقيدة الواسطية: فقال: خير الأمة بعد نبيها: أبوبكر ثم عمر و يثلثون بعثمان و بربعون بعلي [١].

فترتيب الخلفاء الراشدين ليس من أركان الدين، ولكنه ذُكِر في متون العقائد للرد على المخالفين في مسألة الأفضلية والأولوية في الخلافة، فأدرج هذا الترتيب لتمييز أهل السنة عن المخالفين، فأصبح فيما بعد علامة على أهل السنة في مواجهة الروافض بالذات.

١المرجع السابق، ص١٩١، ٢٤٠، ٢٧١، ٢٩١، ٢٩٢، ٣٤٤. و فيه كذلك قول السفاريني ت ١١٨٨ هـ و حافظ الحكمي ت ١٣٧٧ هـ.

الفصل الرابع

تأثير البيئة الاجتماعية في التفكير العقدي الإسلامي

المبحث الأول: البيئة الاجتماعية وتأثيرها في التفكير العقدي الإسلامي

المبحث الثاني: نماذج من تأثير البيئة الاجتماعية في التفكير العقدي الإسلامي

الفصل الرابع

تأثير البيئة الاجتماعية في التفكير العقدي الإسلامي

المبحث الأول: البيئة الاجتماعية وتأثيرها في التفكير العقدي الإسلامي

يعدُ المحيط الاجتماعي الذي يمارس الفرد به نشاطه من البيت الذي يسكنه إلى مدرسته ومسجده الذي يؤدي به صلواته وفرائضه، يعدُ هذا المحيط أكثر ما يؤثر في بنية الفرد الفكرية ثم العقدية.

والبيت الذي يحيا به الفرد له أثر كبير في توجيه أفكار المكلف وتصوراته الغيبية والعملية، فالبيت الذي تكثر به الحوارات العلمية والمناقشات الدينية والأسئلة الفقهية، و تكثر به الكتب، ويسهل الوصول إليها، فإن المكلف الذي ينشأ في هذا البيت سوف يتأثر حتماً بهذه البيئة التي يحيا بها، ويخرج من هذا البيت وقد تشبع بأفكاره عبر الزمن، وتصبح هذه الأفكار – بغض النظر عن صوابها وخطئها – تصبح هي الركائز الأساسية التي يعتمد عليها في بنائه العلمي والعقدي.

فهذه الأفكار وجدت لها مكاناً عميقاً في عقل المكلف، دعمها بما شاهده من محيطه وما سمع من حوارات علمية فيربى عليها معتقداً لها، ومتشرباً لهذه الأفكار حتى بدون أن يرغم عليها، فالطفل يحاول أن يجاري الكبار في مناقشاتهم فيهتم بالمسائل التي يتحدثون بها، ورويداً رويداً تصبح هذه الأفكار هي عقيدته.

يقول ﷺ: " كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه"[١] فلسان الطفل حين يتكلم أو حين يبني فكره و عقيدته فهو يستخرج ذلك من المحيط الذي عاش فيه حتى و لو لم يقصد ذلك، وينطبق عليه قول المعري[٢] (ت ٤٤٩ هـ): **وَيَنشَأُ ناشِئُ الفِتيانِ مِنّا عَلى ما كانَ عَوَّدَهُ أَبوهُ**

---

١ سبق تخريجه.

٢ المعري، أحمد بن عبد الله بن سليمان، **اللزوميات**، (تحقيق: أمين عبد العزيز الخانجي)، مكتبة الهلال، بدون تاريخ،ج٢، ص٤١٣، قافية الهاء، المجموعة السادسة.

والتاريخ الإسلامي ملـيء – بمثل هذه الأمثلـة –التـي يصعب حصرها، فوجد فـي التـاريخ عائلات كانت منبعاً للعلم، وخرج منها العشرات من العلماء على مر الزمان، مثل عائلـة ابن مندة ت (٣٩٥) هـ[١] فابنه محدث و جده محدث، وعائلة ابن شيبة مثل الحافظ أبي بكر بن أبي شيبه ت (٢٣٥) هـ و ابنـه الحـافظ ابراهيم بـن ابـي بكـر بـن شـيبة وابـن أخيـه الحـافظ أبـي جعفـر بـن عثمان[٢]،وبقي بن مخلد الذي خرج من ذريته ما يقرب من سبعة علماء[٣].

١ سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ، ج٧ ، ص٢٨
٢ سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ، ج١١، ص ١٢٢
٣ ابن مخلد، بقي (ت ٢٧٦ هـ)، **مقدمة مسنده** (تحقيق: أكرم ضياء العمري)، ط١، ١٩٨٤، ص٦٠، ص٦١.

المبحث الثاني: نماذج من تأثير البيئة الاجتماعية في التفكير العقدي الإسلامي

أولاً: بعض العلماء الذين عاشوا في بيئة اجتماعية علمية منذ الصغر

الأمثلة كثيرة ولكن يبرز مثلان:

١. الإمام أبو الحسن الأشعري (٣٢٤ هـ):

كان ربيباً لأبي علي الجبائي، محمد بن عبد الوهاب الجبائي (ت ٣٠٣ هـ) شيخ المعتزلة. وقد تأثر به الإمامأبو الحسن الأشعري وبقي على مذهبه في الاعتزال ما يقرب من أربعين سنة ثم تركه وخالفه عائداً إلى الحق [١].

مع أن أبا الحسن الأشعري كان والده سنياً جماعياً حديثياً[٢]، إلا أن أبا الحسن بدأ معتزلياً و استمر لأربعين سنة، والسبب في ذلك أن شيخ المعتزلة أبا علي الجبائي كان زوج أم أبي الحسن فأثرت هذه القرابة والمصاهرة في عقيدة أبي الحسن في بداية الأمر فخرج معتزلياً جلداً، تشرب الاعتزال وعرف أصوله وفروعه حتى منّ الله عليه وخرج من الاعتزال.

٢- شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ):

نشأ في بيت علم، وأصوله كلهم علماء، فجده أبو البركات مجد الدين عبد السلام بن عبد الله (ت ٥٩٠ هـ)، كان مفسراً ومحدثاً وفقيهاً[٣].

وكان والد شيخ الإسلام محدثا و فقيها وكان له كرسي بجامع دمشق يتكلم عليه عن ظاهر قلبه، وولي مشيخة دار الحديث السكرية بالقصاعين.[٤]

وكذلك عمته ست الدار بنت عبد السلام (ت ٦٨٦ هـ)، كانت محدثة ويزدحم عندها طلبة العلم، فهذا بيت علم لا عجب أن أخرج شيخاً عظيم العلم كابن تيمية.[٥]

---

١ القرشي، عبد القادر بن أبي الوفاء، ت ٧٧٥ هـ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، كراتشي، مير محمد كتب خانة، ص٣٥٤.

٢ ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله ت ٥٧١ هـ، تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، بدون تاريخ، ص٣٥.

٣ الإعلام، للزركلي، ٤٦٠ / ص٦١، مرجع سابق.

٤ البداية و النهاية، مرجع سابق، المجلد السابع، ج ١٤،ص ١٦

٥ ابن مفلح، ابراهيم بن محمد بن عبدالله ت ٨٨٤ هـ، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب أحمد، تحقيق عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد، ١٩٩٠، ج ١، ص ٤٣٣

ثانياً: بعض العلماء نفروا من بيئة اجتماعية ليصبحوا علماء في بيئة أخرى

بعض من العلماء كان منذ صغره في بيئة علمية، إلا أنه نفر منها وتوجه في علومه إلى وجهة أخرى فأصبح من رؤوس العلم في بيئته الجديدة، ومثال ذلك:

١. أبو جعفر الطحاوي:

أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (٣٢١ هـ)، كانت أمه أخت الإمام المزني، إسماعيل ابن يحيى المزني الشافعي (ت ٢٦٤ هـ)، وقد درس الطحاوي الفقه الشافعي على يد خاله الإمامالمزني، وناقش الطحاوي التلميذ شيخه وخاله المزني في مسألة في الفقه الشافعي، فقال المزني لابن أخته: والله لا تفلح في هذا الأمر – أي في الفقه – فكانت كلمة المزني ونقده هذا للطحاوي سبباً في صدود الطحاوي عن الفقه الشافعي وتوجهه إلى الفقه الحنفي حتى أصبح عالماً ورأساً فيه، ثم مرّ على قبر خاله المزني[١] وقال: لو كنت حياً لكفرت عن يمينك[٢].

فكما ترى فإن الذي صد الطحاوي عن الفقه الشافعي خاله المزني، فأثرت كلمة المزني في الطحاوي، ولكنها مع ذلك كانت خيراً له، فقد أصبح عالماً في الفقه الحنفي.

٢. الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٩٩٩م):

عاش في بيئة يملؤها التعصب للمذهب الحنفي، حيث كان والده شيخاً حنفياً فيه تعصب، فانعكس ذلك على الشيخ محمد ناصر الدين فأصبح ينفر من التعصب والتمذهب، مما وجهه إلى أن يكون متبعاً للنص والدليل بغض النظر عن الاتجاه الفقهي أو المدرسة الفقهية التي توافق هذا الدليل[٣].

فهذه البيئة التي عاش بها الألباني كانت بيئة تزرع التعصب في النفس، وهذا ما كان يرفضه الشيخ، لذا توجه إلى وجهة أخرى لا يتعصب بها إلا للكتاب والسنة، مدركاً منه خطر التعصب لغيرهما.

---

١ أنظر: ترجمة الإمام المزني في طبقات الحنفية، مرجع سابق، ج١، ص٧٦. وسير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٤٩٢، ترجمة رقم ١٨٠.

٢ تاريخ دمشق لابن عساكر، مرجع سابق، ج٥، ص٣٦٩.

٣ الشيباني، محمد بن إبراهيم، حياة الإمام الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه، ط١، ١٩٨٧، مكتبة السداوي، ج١، ص٥٣، وص٥٣.

ثالثاً: بعض المسائل العلمية تقود إلى المصاهرة وتوجد النسب

قد يسعى صاحب الفكرة إلى أن يوجد ممن حوله من يعتنق فكرته نفسها، فيعجب به و وبعلمه وفكره، لذا يقربه بالمصاهرة والنسب، ومثال ذلك بين أهل العلم قديماً وحديثاً كثير ومنها:

١. واصل بن عطاء المعتزلي (ت ١٣١ هـ)

أول من قال بالاعتزال، وتنسب له فرقة من فرق المعتزلة هي الواصلية، و من الذين يقولون بقوله: عمرو بن عبيد المعتزلي (ت ١٤٣ هـ)، فأعجب عمرو بن عبيد بواصل بن عطاء فزوّجه أخته، فأصبحت أخت عمرو بن عبيد زوجة لواصل بن عطاء[١]..والذي أوجد هذا النسب وحثّ عليه هو أن كلاً منهما كان يقول بالاعتزال وأصوله فهذا نسب بين رجلين من رجال الاعتزال كان سببه التقارب في التفكير العقدي والاشتراك في الاقتناع بهذه المسائل العقدية.

٢. علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي الحنفي (ت ٥٤٠ هـ):

له كتاب تحفة الفقهاء، شرحه تلميذه أبو بكر بن مسعود الكاساني (ت ٥٨٧) ـ ه، في ثلاثة مجلدات، فما كان من المصنف علاء الدين إلا أن زوّج ابنته لتلميذه، وكانت ابنته أيضا فقيهة واسمها فاطمة[٢].

٣. ابن كثير زوج بنت الإمام المزي:

لازم ابن كثير صاحب التفسير (ت ٧٧٤ هـ) الإمام المزي[٣]، وقرأ عليه تهذيب الكمال وصاهره على ابنته[٤].

---

١ سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج٦، ص١٠٥، ترجمة رقم ٢٧.
٢ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله ت ١٠٦٨ هـ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ، ج١، ص٣٧١.
٣ أنظر: ترجمة المزي في: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، دار الجيل، ١٩٩٣، ج٢، ص١٧٦.
٤ المرجع السابق، ج١، ص٣٧٣. وأنظر: ترجمة الإمام ابن كثير في الأعلام للزركلي، مرجع سابق، ج١، ص٣٢٠.

رابعاً: بعض المسائل العقدية حافظ عليها بعض العائلات

بلغت مسألة خلق القرآن ذروتها في عهد الخليفة المأمون (ت ٢١٨ هـ)، و ما كان لها أن تستمر بعده إلى عام (٢٣٢ هـ) بعد وفاة الواثق إلا بسبب أن المأمون قد أوصى أخاه المعتصم (ت ٢٢٧ هـ) بالمحافظة على امتحان العلماء بمسألة خلق القرآن وحملهم عليها.

فهذه مسألة عقدية استمرت بسبب وصية عائلية، وإلا فإن المعتصم لم يكن من أهل العلم ليعتنق هذه المسألة، ولكنه حافظ على وصية أخيه[١].

والأمثلة في تأثير المحيط الاجتماعي كثيرة جداً يصعب حصرها لكثرة تطبيقاتها، ولكن هذا سرد سريع لبعضها:

١. الإخوة ابناء الأثير، عز الدين وضياء الدين وأبو السعادات، ثلاثة أخوة وثلاثة علماء[٢].
٢. القاضي أبو يعلى (ت ٤٥٨ هـ)، وابنه أبو الحسين بن أبي يعلى (٥٢٦ هـ)[٣].
٣. أبو زرعة الرازي (ت ٢٦٤ هـ)، وخاله أبو حاتم الرازي (ت ٢٧٧ هـ)[٤].
٤. المقرئ حفص بن عاصم بن المغيرة (ت ١٨٠ هـ)، وزوج أمه المقرئ عاصم بن بهدلة (ت ١٢٩ هـ)[٥].
٥. من المعاصرين: الكاتب والمحقق عبد السلام هارون (ت ١٤٠٨ هـ)، وابن عمته الشيخ أحمد بن محمد بن شاكر (ت ١٣٧٧هـ)[٦].

كل هؤلاء إما أخ أثر بأخيه، أو أب أثر بابنه، أو زوج الأم أثر بابن زوجته، أو ابن عمه وابن خال... وهكذا، تجد أن كل واحد منهم كان مؤثراً بقرينه لفترة زمنية طويلة كافية لتحفيز كل طرف لينال من العلم أو توجهه في بعض الجوانب من العلوم.

---

١ البداية والنهاية، مرجع سابق، مجلد ٥، ج١٠، ص٣١٦، أحداث سنة ٢١٨ هـ.
٢ أنظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء، ٤٨٨/٢١، ٣٥٣/٢٢، ٧٢/٢٣.
٣ سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٨٩، ترجمة رقم ٤٠، وطبقات الحنابلة، دار المعرفة، بيروت، ج١٩٣/٢.
٤ طبقات الحنابلة، ج١، ص١٩٨، وج١٣، ص٢٤٧.
٥ ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد ت ٨٣٣ هـ، غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م، ط١، ج١، ص٢٢٩ وص٣١٦.
٦ يوسف، محمد خير رمضان، تتمة الأعلام للزركلي، دار ابن حزم، ط٢، ص٢٩٠ وما بعدها.

خروج بعض العلماء عن البيئة التي عاشوا فيها ومخالفتهم لها:

إن تأثير المحيط الاجتماعي العلمي في الفرد قد لا يكون تأثيراً دائماً، بل وجد كثير من العلماء الذين تمردوا على بيئاتهم وخالفوها، وجاءوا بعلم وفهم جديد. من ذلك:

١. **الإمام أبو الحسن الأشعري:**

كان معتزلياً متمكناً من الاعتزال، ولكنه خالف بيئته وخرج عنها وعن محيط الاعتزال الذي طوقه منذ صغره، فاستطاع بذكائه وتوقد علمه أن يخرج من هذه البيئة بل ويرد عليها ويحاصرها ويكسرها، حتى قيل إن أبا الحسن الأشعري – رحمه الله – قد حجز المعتزلة في أقماع السمسم[١].

٢. **الإمام نعيم بن حماد (ت ٢٢٩ هـ):** يقول عن نفسه: "أنا كنت جهمياً فلذلك عرفت كلامهم، فلما طلبت الحديث عرفت أن أمرهم يرجع إلى التعطيل"[٢].

٣. **إمام الحرمين الجويني (ت ٤٧٨ هـ):** يقول: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام[٣].

وكتب التراجم و الرجال مليئة بمثل هذه الأمثلة.

---

١ تبيين كذب المفتري، مرجع سابق، ص٩٤.
٢ سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج١٠، ص٥٩٧.
٣ سير أعلام النبلاء، ج٤٧٣/١٨.

الخاتمة

النتائج:

في ختام هذه الدراسة تبرز النتائج التالية:

١- إن كتاب الله عز وجل يحوي المبادئ و الأصول الكافية التي تُعنى ببيئة المكلف العقدية، فكتاب الله يحوي الأصول اللازمة و المنهج الكافي لرعاية المكلف في بيئته العقدية.

٢- إن السنة النبوية مليئة بالتطبيقات العملية و التي تظهر رعاية رسول الله ﷺ للمكلفين على تنوع بيئاتهم.

٣- إن صحابة رسول الله ﷺ قد قاموا بتطبيق ما تعلموه من رسول الله ﷺ في رعاية المكلفين، فكان زمانهم عبارة عن تطبيق و تنفيذ عملي و واقعي لمسألة رعاية المكلفين في بيئتهم العقدية

٤- إن الإسلام يحوي كل الركائز العلمية من تأصيل و تطبيق و تنوع يغطي بيئة المكلف العقدية في كل زمان و مكان و في كل أحوال المكلف.

٥- إن التغير في الزمان و المكان يتبعه تغير في تفكير الفرد و في فهمه لبعض المسائل العقدية و كذلك تغير في أسلوب عرض و نقد هذه المسائل العقدية، فالإنسان ابن بيئته، يحاكي بأقواله و أفعاله و فهومه هذه البيئة، و لا يملك خلافها أو معاندتها.

٦- و من النتائج أيضا، يظهر أهمية عدم الحكم على المخالف، قبل معرفة البيئة التي ظهرت بها أقواله و أفعاله، فالبيئة المحيطة به تكون موجهةً له في سلوكياته، فكيف يعذر المكلف بعذر الإكراه مثلاً و لا يعذر بوجوده في بيئةٍ مخالفةٍ لا يعرف غيرها لسنوات طويلة أكثر من عذر الإكراه الآني اللحظي.

٧- إن كثيرا من الخلافات بين المدارس العقدية حاليا، وُجد بسبب النقاش حول بعض المسائل العقدية التي نشأت بظروف تاريخية خاصة، و قد تم تجاوز هذه الظروف و لم يعد لها أي وجود في زماننا، فلم يستمر الخلاف في هذا الزمان على هذه المسائل و قد عفا عليها الزمن؟!.

التوصيات

و مما يوصي به الباحث في الختام:

١- دعوة الكليات الشرعية إلى زيادة الوعي و الاهتمام لدى طلاب العلوم الشرعية في مراعاة بيئة المكلف العقدية، و فهم الظروف المحدقة بالمكلف و التي توجهه في سلوكاته، قولاً و فعلاً.

٢- إيجاد مساق علمي مستقل يُدرس في الكليات الشرعية يُعنى هذا المساق بظروف نشأة الفرق و يبين كيفية ظهور المسائل العقدية، و الدافع لظهور بعض الأقوال و الآراء العقدية المخالفة لمنهج أهل السنة و الجماعة.

٣- إبراز البيئة كعذر يمنع من الحكم على المخالفين تماماً كما هو الحال بعذر الإكراه و الجهل لتعلقه بهما تعلقاً كبيراً.

٤- دراسة بعض البيئات –التي لم تبحث في هذه الدراسة – مثل: بيئة القهر و بيئة المغتربين في بلاد غير المسلمين، وبيئة الأقليات المسلمة في بلاد غير المسلمين، و بيئة الأقليات غير المسلمة في البلاد الإسلامية.

٥- دراسة البيئات المختلفة في مظانها، أي بيئة المغتربين في البلاد غير الإسلامية دراستها في تلك البلاد، لتكون الدراسة و نتيجتها أكثر واقعيةً و قبولاً

٦- التماس العذر للمخالفين من أبناء المسلمين الذين نشأوا في بيئة عقدية غير سليمة و لم يتوفر عندهم المرشد الصادق.

٧- رصد البيئات الفاسدة و العمل على إصلاحها باستخدام المنهج النبوي الرباني

٨- مخاطبة ولاة الأمر للعمل على صيانة بيئة المكلفين من المظاهر العقدية الفاسدة، بجميع مظاهرها.

والختام فهذا ما وفقني الله إليه، وأعلم أني ما تركته أضعاف ما كتبته، و الزلل طبع البشر والمعصوم من عصمه الله عز وجل، فإن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطات فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه بريئان.

وصلِ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله و صحبه أجمعين

قائمة المراجع

القرآن الكريم

١- ابن ابي شيبة، عبدالله بن محمد ت (٢٣٥ هـ)، **مصنف أبي شيبة**، ط١ (تحقيق كمال يوسف الحوت) مكتبة الرشد الرياض ، ١٤٠٩ هـ

٢- ابن أبي هاشم، أحمد بن الحسين، **شرح الأصول الخمسة**، (تحقيق: عبدالكريم عثمان)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩

٣- ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد، (١٩٨٧م)، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، ط١،

٤- ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الكريم، **الكامل في التاريخ**، دار الكتب العلمية –بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

٥- ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد (٢٠٠٦م)،**غاية النهاية في طبقات القراء**، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

٦- ابن الجوزي عبدالرحمن بن علي، ت (٥١٠)، الضعفاء و المتروكين، دار الكتب العلمية ١٤٠٧ هـ.

٧- ــــــ، (١٩٩٢)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

٨- ابن بطة، عبد الله بن محمد بن بطة العكبري (ت ٣٨٧هـ)، **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة**، ط١، (تحقيق: يوسف بن عبد الله الوابل)، دار الراية، (١٤١٥هـ).

٩- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ)، **اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم**، (تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل) مكتبة الرشد.

١٠-ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ)، **منهاج السنة النبوية**، ط١، (تحقيق محمد رشاد سالم)، مؤسسة قرطبة.

١١-ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (٢٠٠١م)، **مجموع الفتاوى**، ط٢، دار الوفاء، دار ابن حزم.

١٢-ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم(ت ٧٢٨هـ)، **الإيمان الأوسط**، ط١، دار طيبة للنشر، (١٤٢٢هـ).

١٣-ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم(٢٠٠٤)، **العقيدة الواسطية، سلسلة المتون العلمية متون التوحيد والعقيدة،** ط١، دار ابن عمر.

١٤-ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم(ت ٧٢٨هـ)، **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية،** مؤسسة قرطبة.

١٥-ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد (ت ٣٥٤هـ)، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان،**(تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط) مؤسسة الرسالة.

١٦-ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٩٩٣م)، **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة،** بيروت، دار الجيل.

١٧-ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٢٠٠٨)، **الإصابة في تمييز الصحابة،** ط١،(تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي)، نشر مركز البحوث و الدراسات الإسلامية.

١٨-ــــــ، **لسان الميزان،** (تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة)، مكتبة المطبوعات الإسلامية.

١٩-ــــــ، (٢٠٠٠)، **هدي الساري مقدمة فتح الباري،** ط٣، دار السلام.

٢٠-ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، (المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية)، (تحقيق: عبد الله بن ظافر الشهري)، دار العاصمة، ط١، (١٤٢٠هـ)،

٢١-ــــــ، (١٩٨٦م)، **إنباء الغمر بأنباء العمر في التاريخ،** ط٢ دار الكتب العلمية.

٢٢-ــــــ، (١٩٩٩م)، **تقريب التهذيب،** مؤسسة الرسالة، ط١.

٢٣-ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، تهذيب التهذيب، بدون تاريخ.

٢٤-ابن حزم، محمد علي بن أحمد (٢٠٠٧)، **الفصل في الملل والأهواء والنحل،** ط٣، بيروت، دار الكتب العلمية.

٢٥-ابن حنبل، أحمد بن محمد (ت ٢٤١ هـ)، المسند، ط١، (تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون)، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ.

٢٦-ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الأشبيلي (ت ٨٠٨هـ)، **تاريخ ابن خلدون،** بيت الأفكار الدولية.

٢٧-ابن دريد، محمد بن الحسن (١٩٨٧)، **جمهرة اللغة،** ط١، (تحقيق: رمزي بعلبكي)، دار العلم للملايين.

٢٨-ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد شهاب الدين الحنبلي الشهير بابن رجب الحنبلي (٢٠٠٠)، **جامع العلوم والحكم**، ط٧، (تحقيق شعيب الأرناؤوط) مؤسسة الرسالة.

٢٩-ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد الشهير بابن رجب الحنبلي (٢٠٠١م)، شرح علل الترمذي، ط٢، (تحقيق: همام سعيد)، مكتبة الرشد.

٣٠-ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد الشهير بابن رجب الحنبلي ت (٢٠٠٣م)، ط٧، **لطائف المعارف**، دار ابن كثير.

٣١-ابن سعد، محمد بن سعد بن عبدالله (ت ٢٣٠) هـ، **الطبقات الكبرى**، ط١، (تحقيق: احسان عباس)، بيروت، دار صادر.

٣٢-ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن الكريم**، (تحقيق أحمد عبد الواحد الخياط)، من منشورات وزارة الأوقاف المغربية، بدون تاريخ.

٣٣-ابن صاعد، أحمد بن عبد الرحمن (١٩١٢م)، **طبقات الأمم**، (تحقيق: لويس شيخو)، المطبعة الكاثوليكية، نشر بشكل متتابع في السنة ١٤ من مجلة الشرق.

٣٤-ابن عاشور، محمد بن الطاهر بن محمد (٢٠٠٠م)، **التحرير والتنوير**، ط١، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي.

٣٥-ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد (٤٦٣)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد،، (تحقيق:مصطفى العلوي ومحمد البكري)، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الاسلامية، ١٣٨٧هـ.

٣٦-ـــــــ، (٢٠٠٠م)، **الاستذكار**، ط١، تحقيق (سالم محمد عطا، محمد معوض) بيروت، دار الكتب العلمية.

٣٧-ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله ت (٤٦٣) هـ **الاستيعاب في معرفة الاصحاب**، دار الجيل، ط١، ١٤١٢ هـ.

٣٨-ابن عربي المالكي، محمد بن عبد الله المالكي (١٩٨٧م)، **العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي**، ط٢، (تحقيق محب الدين الخطيب ومحمود مهدي الاستانبولي)، بيروت، دار الجيل.

٣٩-ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ)، **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**، بدون تاريخ.

٤٠-ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (٢٠٠١م) **المحرر الوجيز**، ط١ (تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد) بيروت، دار الكتب العلمية.

٤١-ابن فارس ، احمد بن فارس بن زكريا (١٩٧٩)هـ ، معجم مقاييس اللغة ، بيروت، دار الفكر .

٤٢-ابن فروخ، محمد بن الحسن، **فضائل أهل البيت**، مؤسسة النعمان.

٤٣-ابن قتيبة، محمد بن عبد الله بن مسلم (١٩٨٨)، **الأنواء في مواسم العرب**، بغداد، دار الشؤون الثقافية.

٤٤-ابن قتيبة، محمد عبد الله بن مسلم، **المعارف**، ط٤، (تحقيق: ثروت عكاشة)، دار المعارف.

٤٥-ابن قدامة، عبد الله بن أحمد (٢٠٠٤م)، **المغني**، (تحقيق: محمد شرف الدين و سيد محسن السيد) القاهرة، دار الحديث.

٤٦-ابن قدامة، عبد الله بن محمد المقدسي (٢٠٠٤م)، **لمعة الاعتقاد**، ط١، سلسلة فنون العقيدة، دار ابن عمر للنشر والتوزيع.

٤٧-ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن ايوب ت (١٩٩٤م)، ط٢٧، زاد المعاد في هدي خير العباد، بيروت، مؤسسة الرسالة.

٤٨-ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (١٩٩٧م)، **أحكام اهل الذمة، ط١**، دار رمادي للنشر.

٤٩-ـــــ، (١٩٩٧م)، **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، ط٢، دار الحديث.

٥٠-ـــــ، (٢٠٠٥م)، **مدارج السالكين**، بين إياك نعبد وإياك نستعين، القاهرة، دار الحديث.

٥١-ابن كثير، اسماعيل بن عمر (٢٠٠٤م) ، **تفسير القران العظيم** ، ط١، دار الصديق.

٥٢-ـــــ، (٢٠٠١م)، **البداية والنهاية**، ط١، دار ابن الجوزي.

٥٣-ـــــ، (٢٠٠٤م) **تفسير القرآن العظيم**، ط٤، دار الصديق ومؤسسة الريان.

٥٤-ابن كلثوم، عمرو بن كلثوم التغلبي، (١٩٩١م)، ط١، **ديوان شعر عمرو بن كلثوم**، (تحقيق: أميل بديع يعقوب)، دار الكتاب العربي.

٥٥-ابن ماجه، أبوعبد الله محمد بن يزيد ت (٢٧٣)هـ، **سنن ابن ماجه**، (تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني)، مكتبة المعارف.

٥٦-ابن ماكولا، على بن هبة الله بن أبي نصر ت (٤٧٥)هـ، **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف و المختلف في الأسماء والكنى**، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١١ هـ.

٥٧-ابن مخلد، بقي (١٩٨٤م)، مقدمة **مسنده**، ط١، (تحقيق: أكرم ضياء العمري).

٥٨- ابن مفلح، ابراهيم بن محمد بن عبدالله (١٩٩٠)، **المقصد الأرشد في ذكر أصحاب أحمد**، (تحقيق عبدالرحمن بن سليمان العثيمين)، مكتبة الرشد.

٥٩-ابن منده، محمد بن إسحاق بن مندة ت (٢٩٥)هـ، **كتاب الإيمان**، (تحقيق علي بن محمد بن ناصر الفقيهي) مؤسسة الرسالة،

٦٠-ابن منظور، محمد بن جمال الدين بن مكرم ت (٧١١)هـ، لسان العرب، بيروت، دار صادر.

٦١-ابن هشام، عبد الملك بن هشام المعافري (١٩٩٨م)، **سيرة ابن هشام**، ط١، (تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض)، مكتبة العبيكان.

٦٢-ابن وضاح، أبو عبد الله بن وضاح القرطبي، (٢٠٠٨م)، **كتاب البدع**، ط٣، (تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم) مكتبة ابن تيمية.

٦٣-أبو داود، سلميان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داود**، بيت الأفكار الدولية.

٦٤-أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، (٢٠٠٢م)، **المصاحف**، ط٢، (تحقيق: محب الدين عبد السبحان واعظ)، دار البشائر الإسلامية.

٦٥-أبو داود، سليمان بن الأشعث ت (٢٧٥)، **سنن أبي داود**، (تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني) طبعة بيت الأفكار الدولية.

٦٦- أبو زرعة، عبد الرحمن بن عمرو ت (١٩٩٦م)، **التاريخ**، ط١، دار الكتاب العلمية.

٦٧-ابو زهرة، محمد، (١٩٦٦م)، **محاضرات في النصرانية**، ط٣، دار الفكر العربية.

٦٨-أبو زهرة، محمد، **مقارنة الأديان في الأديان القديمة**، نشر معهد الدراسات الإسلامية، بدون تاريخ.

٦٩-أبو زهرة، محمد أحمد مصطفى، ت (١٣٩٤)، **زهرة التفاسير**، دار الفكر العربي بدون تاريخ.

٧٠-أبو زهرة، محمد أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، دار الحديث ودار الفكر، بدون تاريخ،

٧١-أبو زهرة، محمد، (٢٠٠٠م)، **الأديان القديمة**، ط١١، بدون تاريخ، ص٢٨. شلبي، أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة.

٧٢-أبو نعيم، أحمد بن عبدالله بن أحمد (١٩٩٨م)، ط١، **معرفة الصحابة**، دار الوطن.

٧٣-الأثري، عبدالله بن عبدالحميد، الوجيز في عقيدة السلف، بدون تاريخ.

٧٤-الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين الآجري (١٩٩٦)، ط١، **الشريعة**، (تحقيق الوليد بن محمد نبيه) مؤسسة قرطبة.

٧٥- الآجري، محمد بن الحسين الآجري (١٩٩٧م)، **كتاب الشريعة**، ط١، (تحقيق: عبد الله بن عمر الدميجي)، دار الوطن.

٧٦-ادغيم، سميح، (١٩٩٥م)، ط١، **أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام**، دار الفكر اللبناني.

٧٧-الأزرقي، محمد بن عبد الله (٢٠٠٣م)، ط١، **أخبار مكة**، (تحقيق: عبد الملك بن عبد الله)، مكتبة الأسدي.

٧٨-الأزهري، محمد بن أحمد (ت ٣٧٠)، **تهذيب اللغة**، الدار المصرية للتأليف (تحقيق عبد السلام هارون) بدون تاريخ

٧٩-ـــــــ، (٢٠٠١م)، ط١، **تهذيب اللغة** (تحقيق محمد عوض مرعب)، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٨٠-الإسفراييني، طاهر بن محمد، (١٩٨٣م)، ط١، **التبصير في الدين**، عالم الكتب.

٨١-الأشعري، علي بن إسماعيل (١٩٩٠م)، **مقالات الإسلاميين**، (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، المكتبة العصرية.

٨٢-الأصبهاني، أبو نعيم (١٩٨٦م)، **دلائل النبوة**، ط١، عمان، دار النفائس.

٨٣-الأعرابي، أحمد بن محمد بن زياد بن شر ت (٣٤٠) هـ، **معجم ابن الأعرابي**، ط١،(تحقيق: عبدالمحسن بن ابراهيم)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، سنة ١٤١٨ هـ.

٨٤-الألباني، (١٩٨٨م)، محمد ناصر الدين، الجامع الكبير وزيادته، **المكتب الإسلامي**، ط ٣.

٨٥-الألباني، محمد ناصر الدين (١٩٩٥-٢٠٠٢)، **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها و فوائدها**، ط١، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

٨٦-الألباني، محمد ناصر الدين، (١٩٨٥م)، **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، ط٢، المكتب الإسلامي.

٨٧-الألوسي، محمود شكري (٢٠٠١م)، **غاية الأماني في الردّ على النبهاني**، ط١، (تحقيق: الداني بن منير آل زهوي)، مكتبة الرشد.

٨٨-الألوسي، محمود شكري، (ت ١٢٧٠ هـ)، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، ط٢

٨٩-أمين، أحمد، ضحى الإسلام، مصر، الهيئة العامة للكتاب.

٩٠-أمين، أحمد فجر الإسلام، (١٩٦٩م)، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١٠.

٩١-أنظر: الحوالي، سفر بن عبد الرحمن، **ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي**، بدون تاريخ

٩٢-الباقري، جعفر، الثوابت والمتغيرات في الحوزة العلمية، دار الصفوة، بدون تاريخ.

٩٣-البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت ٢٥٦ هـ)، **صحيح البخاري**، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٩٤-البربهاري، الحسن بن علي بن خلف ت (٣٢٩)هـ، **شرح السنة**، (تحقيق: محمد سعيد سالم القحطاني)، دار ابن القيم، ط١، ١٤٠٨ هـ.

٩٥-البزار،أحمد بن عمرو بن عبدالخالق ت (١٩٨٨م)، **مسند البزار**، ط١، (تحقيق محفوظ الرحمن زين الله و عادل سعد و صبري عبدالخالق)، مكتبة العلوم والحكم المدينة.

٩٦-البغدادي، عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩هـ)، **الفرق بين الفرق**، (تحقيق: محمد عثمان الخشت)، مكتبة ابن سينا، بدون تاريخ.

٩٧-البلخي، أحمد بن سهل (١٩٩٧م)، **البدء والتاريخ**، ط١، دار الكتب العلمية.

٩٨-البهي، محمد، **الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي**، ط١، دار غريب للطباعة.

٩٩-بوست، جورج، **قاموس الكتاب المقدس**.

١٠٠- البيروني، محمد بن أحمد (ت ١٠٤٨هـ)، **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذوله**، بدون تاريخ.

١٠١- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (١٩٨٨م) **دلائل النبوة**، ط١، دار الكتب العلمية ودار الريان.

١٠٢- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، **نشر مجلس دائرة المعارف النظمية ببلدة حيدر أباد**، ط١، ١٣٤٤هـ.

١٠٣- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ)، **شعب الإيمان**، ط١، مكتبة الرشد - الرياض، ١٤٢٣هـ،

١٠٤- الترمذي،محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ت (٢٧٩ هـ)، **جامع الترمذي**، (تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني) طبعة بيت الأفكار الدولية.

١٠٥- التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر (١٩٩٨م)، **شرح المقاصد**، ط٢، (تحقيق: عبد الرحمن عميرة)، بيروت، عالم الكتب.

١٠٦- التهاوني، محمد بن علي بن محمد (١٩٩٦)، **كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم**، ط١، (تحقيق: علي دحروج)، بيروت، مكتبة لبنان.

١٠٧- الجارم، محمد نعمان، **أديان العرب في الجاهلية** ط١، مطبعة السعادة.

١٠٨- الجرجاني: علي بن محمد (٨١٦)هـ، التعريفات، (تحقيق محمد صديق المنشاوي)، دار الفضيلة -مصر، بدون تاريخ.

١٠٩- الجزائري، نعمة الله (٢٠٠٨م)، ط١، الأنوار النعمانية، بيروت، دار الكوفة.

١١٠- الجصاص، أحمد بن علي الرازي ت (١٩٩٤م)، **أحكام القران**، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

١١١- الجوهري، اسماعيل بن حماد (١٩٩٠م)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ط٤، دار العلم للملايين.

١١٢- الحاج، محمد احمد، **النصرانية من التوحيد الى التثليث**، ط١، بيروت، دار القلم.

١١٣- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٨ هـ)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، دار إحياء التراث العربي.

١١٤- الحاكم، محمد بن عبدالله النيسابوري (١٩٩٠)، **المستدرك على الصحيحين**، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

١١٥- الحسني، السيد نبيل، سبايا آل محمد، (٢٠١٢م)، **نشر** وحدة **الدراسات التخصصية في الإمام الحسن**، ط١.

١١٦- الحكمي، حافظ بن أحمد (١٩٩٠)، **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، دار ابن القيم، ط١.

١١٧- الحلبي، علي برهان ت (١٠٤٤)هـ، **إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون**، دار المعرفة، (١٤٠٠)هـ

١١٨- حلمي، مصطفى الإسلام والأديان، (٢٠٠٤م)، ط١، دار الكتب العلمية.

١١٩- حلمي، مصطفى، (٢٠٠٥م)، **منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين**، ط١، دار الكتب العلمية.

١٢٠- الحموي، ياقوت بن عبدالله ت (٦٢٢)هـ، **معجم البلدان**، بيروت، دار الفكر.

١٢١- الحميدان، عصام بن عبد المحسن، (١٩٩٩م)، **الصحيح من أسباب النزول**، ط١، دار الذخائر ومؤسسة الريان.

١٢٢- حنبل، أحمد بن حنبل، (٢٠٠٣م)، **الرد على الجهمية والزنادقة**، ط١، دار الثبات للنشر والتوزيع.

١٢٣- الحنفي، علي بن علاء الدين بن أبي العز،(١٩٨٨م)، **شرح العقيدة الطحاوية**، ط٩، (تحقيق: الألباني وآخرون)، المكتب الإسلامي.

١٢٤- الحوالي، سفر بن عبدالرحمن، (١٩٩٠)، **ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي**، ط١، دار الكلمة للنشر والتوزيع.

١٢٥- الخراشي، سليمان بن صالح، (٢٠٠٩)، **الشعوبية عند الشيعة الفرس**، ط١، دار المنتقى.

١٢٦- الخطيب، محمد أحمد، (١٩٨٦م)، **الحركات الباطنية في العالم الاسلامي**، ط٢، مكتبة الأقصى عمان.

١٢٧- الخطيب، محمد أحمد، (٢٠٠٩م)، **مقارنة الأديان**، ط٢، عمان، دار المسيرة.

١٢٨- الخلال، أحمد بن محمد بن هارون ت (٣١١)هـ، **كتاب الحث على التجارة و الصناعة والعمل**، دار العاصمة، ط١، ١٤٠٧ هـ.

١٢٩- الخياط، عبد الرحيم بن محمد، (١٩٩٣م)، **الانتصار**، ط٢، (تحقيق: الدكتور نيبرج)، بيروت، مكتبة الدار العربية مصر ودار أوراق شرقية.

١٣٠- الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن (٢٠٠٠م)، **سنن الدارمي**، ط١، (تحقيق: حسين سليم أسد الداراني)، دار المغني، السعودية.

١٣١- ـــــــ، (ت ٢٥٥ هـ)، مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي، (تحقيق: حسين سليم أسد الداراني)، دار المفتي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٢هـ.

١٣٢- الدارمي، عثمان بن سعيد (١٩٨٥م)، **الرد على الجهمية**، ط١، الدار السلفية.

١٣٣- دائرة المعارف الكتابية، **مجموعة مؤلفين**، دار الثقافة، بدون تاريخ أو مكان نشر.

١٣٤- الدوري، عبد العزيز، (١٩٨١م)، **الجذور التاريخية للشعوبية**، ط٣، بيروت، دار الطليعة.

١٣٥- دي بور، ت. ج دي بور، **تاريخ الفلسفة في الإسلام**، ط٥،(ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة)، مكتبة النهضة.

١٣٦- الدينوري، أبو بكر بن مروان المالكي، **المجالسة وجواهر العلم** ت(٣٣٣) هـ، (تحقيق مشهو حسن آل سلمان)، جمعية التربية الإسلامية دار ابن حزم بيروت ١٤١٩ هـ.

١٣٧- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (١٩٨٥م)، **سير أعلام النبلاء**، ط٣، (تحقيق شعيب الأرناؤوط و آخرون)، مؤسسة الرسالة.

١٣٨- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (٢٠٠٣م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ط١، (تحقيق: بشار عواد معروف)، دار الغرب الإسلامي.

١٣٩- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)، **مختصر العلو للعلي الغفار**، ط٢، المكتب الإسلامي، ١٤١٢هـ.

١٤٠- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان(ت ٧٤٨هـ)، **تاريخ الإسلام وفيات المشاهير**، ط١، (تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري)، دار الكتاب العربي.

١٤١- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان(١٩٩٨م)، **تذكرة الحفاظ**، ط١، دار الكتب العلمية.

١٤٢- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان(ت ٧٤٨هـ)، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، بدون تاريخ

١٤٣- الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (٢٠٠١)، **مختار الصحاح** ، مؤسسة دار الكتب الثقافية بيروت، طبعة جديدة.

١٤٤- الرازي، محمد الرازي بن ضياء الدين عمر (١٩٨١م)، **التفسير الكبير**، ط١، دار الفكر.

١٤٥- الرازي، فخر الدين الرازي (١٩٣٨م)، **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، (مراجعة: علي سامي النشار)، مكتبة النهضة.

١٤٦- الزرقاني، محمد عبد العظيم، (ت ١٣٦٧هـ)، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ط٣، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

١٤٧- الزركلي، خير الدين، (٢٠٠٢م)، **الأعلام**، ط١٥، دار العلم للملايين.

١٤٨- زيدان، عبد الكريم زيدان، (٢٠٠٦م)، **أصول الدعوة**، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة الناشرون.

١٤٩- السامرائي، عبد الله سلوم، الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية، بدون تاريخ.

١٥٠- الساموك، سعدون محمود، (٢٠٠٢م)، **موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة**، ط١، دار المناهج.

١٥١- السُبكي، عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١ هـ)، **طبقات الشافعية الكبرى**، دار إحياء الكتاب العربي، بدون تاريخ،

١٥٢- السجستاني، سليمان بن الأشعث، (ت ٢٧٥هـ)، **سنن أبي داود**، (تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني) نشر بيت الأفكار الدولية

١٥٣- سعفان، كامل، (١٩٩٩م)، **معتقدات آسيوية**، ط١، مصر، دار الندى.

١٥٤- سعيد، حبيب، أديان العالم، دار التأليف للكنيسة الأسقفية.

١٥٥- السكسكي، عباس بن منصور (١٩٨٨م)، **البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان**، ط١، (تحقيق: بسام العموش)، مكتبة المنار الزرقاء.

١٥٦- السليمي، هيلة بنت سعد، (٢٠٠١م)، **دور اليهود في إسقاط الدولة العثمانية**، جامعة أم القرى.

١٥٧- السيوطي، جلال الدين (٩١١)هـ، **مصباح الزجاجة في شرح سنن ابن ماجه**، نشر كتب خانه كراتشي.

١٥٨- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (١٩٥٢م)، **تاريخ الخلفاء**، ط١، مطبعة السعادة.

١٥٩- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد ت(٧٩٠) هـ، **الموافقات**، (تحقيق مشهور بن حسن)، دار بن عفان، بدون تاريخ

١٦٠- شاكر، محمود، (٢٠٠٠م)، **التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي.**

١٦١- شلبي، رؤوف، **أضواء على المسيحية**، بيروت، المطبعة العصرية.

١٦٢- شلبي، محمد، **المسيحية**، ط١٠، مصر، مكتبة النهضة.

١٦٣- شلبي، أحمد(١٩٨٨م)، **اليهودية**، ط٨، مكتبة النهضة المصرية.

١٦٤- شنودة، البابا شنودة، (١٩٩١م)، **لاهوت المسيح**، ط١، الكلية الاكليريكية للأقباط الأرثوذكس.

١٦٥- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (٢٠٠٦م)، **الملل والنحل**، ط١، مصر، مكتبة جزيرة الورد.

١٦٦- الشوكاني، محمد بن علي ت (١٢٥٠هـ)، **فتح القدير**، ط١، بيروت، دار ابن كثير، (١٤١٤هـ)،

١٦٧- الشيباني، محمد بن إبراهيم، (١٩٨٧م)، **حياة الإمام الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه**، ط١، مكتبة السداوي.

١٦٨- الشيرازي، إبراهيم بن علي (١٩٧٠)، **طبقات الفقهاء**، ط١، بيروت، دار الرائد العربي.

١٦٩- الصلابي، علي محمد، (٢٠٠٢م)، **الانشراح و رفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق،** شخصيته وعصره، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٧٠- الصلابي، علي محمد، (٢٠٠٦م)، **الدولة الأموية،** ط١، دار ابن كثير.

١٧١- الصنعاني، عبد الرزاق همام (ت٢١١هـ)، المصنف، ط٢، (تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي)، توزيع المكتب الإسلامي من منشورات المجلس العلمي، ١٤٠٣.

١٧٢- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (ت ٣٦٠ هـ)، المعجم الكبير، ط٢، (تحقيق: حمدي السلفي)، مكتبة ابن تيمية.

١٧٣- الطبرسي، أحمد بن علي ت (٦٢٠) هـ، الاحتجاج، **منشورات الشريف الرضي،** ط١، ١٣٨٠ هـ.

١٧٤- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (٢٠٠١م)، **جامع البيان في تأويل آي القرآن،** ط١، (تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر.

١٧٥- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، **تهذيب الآثار،** مطبعة المدني، بدون تاريخ.

١٧٦- الطبري، محمد بن جرير (٢٠٠٠)، **جامع البيان في تأويل القرآن،** ط١،(تحقيق: أحمد شاكر)، مؤسسة الرسالة.

١٧٧- الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، **تاريخ الأمم والملوك،** ط١، بيروت، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٧.

١٧٨- طرفه، طرفه بن العبد، (٢٠٠٠م)، **ديوان طرفه،** ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ودار الفارس.

١٧٩- الطويل، عبد الله بن ابراهيم، **الصحابة الذين غيَّر النبي أسماءهم،** ط٣، جامعة الملك سعود، ١٤٢٧هـ.

١٨٠- ظاظا، حسن، **الفكر الديني اليهودي،** (١٩٨٧م)، ط٢، دار القلم ودار العلوم.

١٨١- الظاهر، سليمان أحمد، **لاهوت يوحنا الدمشقي، من كتاب القدس عاصمة الثقافة العربية،** من منشورات جامعة دمشق.

١٨٢- العاملي، محمد الطاهر، **(١٩٩٩)، مقدمة تفسير البرهان،** مؤسسة علي للمطبوعات، بدون تاريخ.

١٨٣- عبد الله مصطفى، (١٩٩٩)، **البوذية وعلاقة الصوفية بها، أضواء السلف،** ط١.

١٨٤- العثيمين، محمد بن صالح (ت ١٤٢١هـ)، **أصول في التفسير،** ط١، المكتبة الإسلامية، ، ١٤٢٢هـ.

١٨٥- العثيمين، محمد بن صالح، (٢٠٠٥م)، **شرح رياض الصالحين**، ط١، مصر، دار الغد الجديد.

١٨٦- العجلوني، اسماعيل بن محمد بن عبدالهادي (٢٠٠٠)، **كشف الخباء و مزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، ط١، (تحقيق: عبدالحميد بن أحمد بن يوسف الهنداوي)، المكتبة العصرية.

١٨٧- العجماوي، صلاح، (١٩٨٩)، نصرانية عيسى **ومسيحية بولس**، ط١، نشر لواء الحمد للنشر و الاعلان القاهرة.

١٨٨- عجيبة. أحمد علي، (٢٠٠٤م)، **دراسات في الأديان الوثنية القديمة**، ط١، دار الأوقاف العربية.

١٨٩- عجينة، محمد، (١٩٩٤م)، **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، ط١، دار الفارابي.

١٩٠- العزاوي، نعمة رحيم، **مقالات في أثر الشعوبية في الأدب العربي وتاريخه**، بدون تاريخ

١٩١- عسكر، عبد الله بن محمد عسكر، فسق الأعمال، **أحكامه ودلالاته الشرعية**، رسالة ماجستير غير منشورة، المملكة العربية السعودية، بدون تاريخ.

١٩٢- العسكري، الحسن بن عبد الله أبو هلال ت (٣٩٥)هـ، **الفروق اللغوية**، ط١، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ١٤١٢هـ

١٩٣- العقاد، محمود عباس، (١٩٧٠م)، **توحيد الأنبياء**، ط١، دار الكتاب العربي.

١٩٤- العلي، جواد، (١٩٩٣م)، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط٢، طبع بدعم من جامعة بغداد.

١٩٥- عواجي، غالب بن علي، (٢٠٠١م)، **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام**، ط٤، المكتبة العصرية الذهبية.

١٩٨- العوايشة، احمد عبد، (٢٠٠٧م)، دور قسطنطين في تطوير العقيدة الكنسية، **مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون**، الجامعة الاردنية،المجلد ٣٤ العدد الثاني.

١٩٩- العودة، سليمان بن فهد، **عبدالله بن سبأ و أثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام**،ط٣، دار طيبة، ١٤١٢هـ.

٢٠٠- عودة عبد القادر، (٢٠٠٠م)، **التشريع الجنائي الإسلامي**، ط١٤، بيروت، مؤسسة الرسالة ناشرون.

٢٠١- العوشن، محمد بن عبد الله، **ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية**، دار طيبة، بدون تاريخ

٢٠٢- العيني، محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ)، **عمدة القارئ شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث، بدون تاريخ

٢٠٣- الغامدي، خالد بن علي، (٢٠٠٩م)، نقض عقائد الأشاعرة والماتريدية، ط١، الرياض، دار أطلس الخضراء الرياض.

٢٠٤- الغريب، عبدالله محمد، (٢٠٠٥م)، **وجاء دور المجوس**، ط١، مكتبة الرضوان.

٢٠٥- الغزالي، محمد، (١٩٩٨م) فقه **السيرة**، ط٧، (تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني)، الرياض، دار القلم.

٢٠٦- الغزالي، محمد بن محمد الغزالي ت(٥٠٥)هـ، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة بيروت

٢٠٧- ـــــــ، (ت ٥٠٥هـ)، **فضائح الباطنية**، (تحقيق: عبد الرحمن بدوي)، الدار القيمة للطباعة والنشر القاهرة، ١٩٦٤

٢٠٨- ـــــــ، **المنقذ من الضلال**، بيروت، المكتبة الثقافية.

٢٠٩- الفراء، يحيى بن زياد بن عبد الله، (١٩٨٣م)، **المشهور بالفراء**، ط٣، معاني القرآن الكريم، عالم الكتب.

٢١٠- الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ت (١٧٣)هـ، **كتاب العين مرتبا على حروف المعجم** ، ط١، ترتيب عبدالحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ

٢١١- الفراهيدي، الخليل بن أحمد ت(١٧٣)هـ، **العين**، (تحقيق: مهدي مخزومي وإبراهيم السامرائي)، دار ومكتبة الهلال.

٢١٢- الفريابي، جعفر بن محمد بن الحسن (١٩٩٧م)، **كتاب القدر**، ط١، السعودية، أضواء السلف.

٢١٣- الفسوي، يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧ هـ)، **المعرفة والتاريخ**، ط١، مكتبة الدار بالمدينة، ١٤١٠هـ

٢١٤- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي ت (٧٧٠) هـ، **المصباح المنير في غريب الشرح** الكبير للرافعي، بيروت، دار القلم.

٢١٥- الفيومي، محمد ابراهيم، في الفكر الدين الجاهلي، **دار المعارف**، مصر، بدون تاريخ.

٢١٦- القاسمي، جمال الدين (ت ١٩١٤م)، **مذاهب العرب** وفلاسفة الإسلام في الجن، مؤسسة قرطبة، بدون تاريخ

٢١٧- القرشي، عبد القادر بن أبي الوفاء، (ت ٧٧٥ هـ)، **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، كراتشي، مير محمد كتب خانة

٢١٨- القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري، (٢٠٠٢م)،**الجامع لأحكام القرآن**، دار الحديث.

٢١٩- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (١٩٦٤م)، **الجامع لأحكام القرآن**، ط٢، (تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش) دار الكتب المصرية.

٢٢٠- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، **آثار البلاد و أخبار العباد**، دار صادر بيروت، بدون تاريخ أو رقم طبعة.

٢٢١- القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر ت (٩٢٣) هـ **ارشاد الساري لشرح صحيح** البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ

٢٢٢- قطب، سيد، في **ظلال القرآن الكريم**، دار الشروق القاهرة، بدون تاريخ.

٢٢٣- قطب، سيد قطب، (١٩٧٩م)، **معالم في الطريق**، ط٦، دار الشروق، منشورات وزارة المعارف والمكتبات المدرسية في المملكة العربية السعودية.

٢٢٤- الكاتب، أحمد، (١٩٩٨م)، **تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه**، ط١، دار الجديد.

٢٢٥- كساب، حنانيا الياس، (١٩٩٨)، **مجموعة الشرع الكنسي**، ط٢، ١٩٩٨، بيروت، منشورات النور.

٢٢٦- الكلاباذي، أحمد بن محمد بن الحسين (ت ٣٩٨ هـ)، **الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد**، ط١، رجال صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٢٢٧- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، منشورات الفجر، ١٤٢٨هـ

٢٢٨- الكوثري، محمد زاهر بن الحسن (ت ١٣٧١هـ)، **مقدمات الإمام الكوثري**، مقدمة كتاب التبصير في الدين للاسفراييني، بدون تاريخ، نشر المكتبة الأزهرية

٢٢٩- الماوردي،علي بن محمد بن حبيب (١٩٨٩م) **الأحكام السلطانية**، ط١،(تحيق أحمد مبارك البغدادي) مكتبة دار ابن قتيبة.

٢٣٠- مسلم، مسلم بن الحجاج ابو الحسين القشيري ت(٢٦١) هـ، **صحيح مسلم**، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار إحياء التراث.

٢٣١- محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي،(١٩٨٥م)، **مشكاة المصابيح، ط٣**، (تحقيق محمد ناصر الدين الألباني) المكتب الإسلامي.

٢٣٢- المصري، جميل عبد الله، (١٩٨٩م)، **أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب في القرن الأول الهجري**، ط١، مكتبة الدار، أطروحة دكتوراه.

٢٣٣- مصطفى، مغزاوي، (٢٠٠٨٥م)، دور العامل **السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي ومغربه**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ.

٢٣٤- المعايطة، عطا الله بخيت، (٢٠١٠م)، **الفرق الإسلامية وموقف أهل السنة والجماعة منها**، ط١، دار الفاروق.

٢٣٥- المعجم الفلسفي، اصدار **مجمع اللغة العربية**، (١٩٨٣م)، الهيئة العامة لشؤون المطابع، مصر.

٢٣٦- المعري، أحمد بن عبد الله بن سليمان، **اللزوميات**، (تحقيق: أمين عبد العزيز الخانجي)، مكتبة الهلال، بدون تاريخ

٢٣٧- مقاتل، مقاتل بن سليمان الازدي (٢٠٠٣م)، **تفسير مقاتل**، ط١، (تحقيق أحمد فريد)، لبنان، دار الكتب العلمية.

٢٣٨- المقدسي، المطهر بن طاهر، **البدء والتاريخ**، مكتبة الثقافة الدينية، بدون تاريخ

٢٣٩- المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥ هـ)، **المواعظ** و**الاعتبار بذكر الخطط والآثار**، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ

٢٤٠- المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر ت (٨٤٥)هـ، **المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بخطط المقريزي**، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ

٢٤١- المنقري، نصر بن مزاحم ت (٢١٢)هـ، **وقعة صفين**، (تحقيق: عبدالسلام هارون)، تامؤسسة العربية الحديثة للطبع و النشر.

٢٤٢- الميداني، عبدالرحمن حسن، (١٩٧٨م)، **مكايد اليهود عبر التاريخ**، بيروت، دار القلم.

٢٤٣- النحاس، أبو جعفر (١٩٨٨)، **معاني القرآن الكريم**، ط١، تحقيق (محمد علي الصابوني)، إصدار جامعة أم القرى.

٢٤٤- الندوي، ابو الحسن، **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**، مكتبة الإيمان، بدون تاريخ.

٢٤٥- الندوي، محمد اسماعيل،**الهند القديمة حضاراتها وأديانها**، دار الشعب، بدون تاريخ.

٢٤٦- النشار، علي سامي، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، بدون تاريخ

٢٤٧- نقولا، نبيل – (٢٠٠٧م)، **وهو مسلم ونصراني سابق، المسيحية دين الله الذي أنزله على المسيح أم ديانة بولس**، **بدون** دار نشر الطبعة الثانية.

٢٤٩- النووي، محي الدين بن شرف النووي ـ (٦٧٦)هـ، **تهذيب الأسماء و اللغات**، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ

٢٥٠- النووي، يحيى بن شرف الدين، (٢٠٠٤م)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط١، بيروت، دار المعرفة، بيروت، ترقيم خليل مأمون شيحا

٢٥١- النووي، يحيى بن شرف النووي، (١٣٩٢هـ)، **المنهاج** شرح **صحيح مسلم بن الحجاج**، ط٢، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٢٥٢- الواحدي، علي بن أحمد (ت ٤٦٨ هـ) **أسباب النزول**، (تحقيق: كمال بسيوني زغلول) دار الكتب العلمية بيروت.

٢٥٣- الوادعي، مقبل بن هادي، (٢٠٠٤م)، **الصحيح المسند من أسباب النزول**، ط٢، مكتبة اليمن، صنعاء الأثرية.

٢٥٤- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، **تاريخ اليعقوبي**، دار صادر.

٢٥٥- اليوبي: محمد سعد أحمد مسعود، **(١٩٨٨)**، **مقاصد الشريعة الإسلامية و علاقتها بالأدلة**، ط١، الرياض، دار الهجرة للنشر والتوزيع.

٢٥٦- يوسف، محمد خير رمضان، **تتمة الأعلام** للزركلي، ط٢، دار ابن حزم.

THE IMPACT OF THE ENVIRONMENTAL ON THE ISLAMIC DOCTRINAL THOUGHT "FOUNDATIONAL AND APPLICATION"

By

Abed Alraman " Maohmed Shafeq" Tabanga

Supervisor

Dr. Atallah AL-Ma'ayteh

ABSTRACT

this study examines the environment in which it is practiced by the individual activity lumpy embarks on a definition of the environment in the language and reform and then show how Islam care environment of the individual nodal and by reviewing the verses and hadith which regulate diverse environment that the individual and show some environment that is their commitment to Islam or forbidding it ، and display the sanctions for abuse in this study and then present for some applications of the impact of the environment on the thought nodal Islamic such as intellectual environment of religions eastern such as AL somonah and Buddhism , faris ,and such intellectual environment of the people of the book , as well as the role of social environment in shaping the beliefs of the individual nodal , and may come of this study an introductory chapter and seasons later , and sealed findings and recommendations.